TRIVAMOGA

تريفاموجا

(حالة اليوم الواحد)

محمد شويطر

دار القـ ـاري للنشر

(مسجل حماية الملكية الفكرية رقم 463 + 218 م)

تريفاموجا

(حالة اليوم الواحد)

تريفاموجا محمد شويطر

محمد شويطر

إهداء

قبل أن أهدي الكتاب لبشر .. أهديه لمن هو في غنى عن كل شيء ..
لمَن لا يقدر أحد على أن يقدّره حق قدره ولو إجتهد .. مَن خلق و ألهم ..و علّم بالقلم .. إلى النور الذي من أجله تهون الحياة بكل صعابها .

من الأشياء التي أنصف فيها الحظ جيلي أننا عاصرنا هذا الرجل العبقري "الإنسان" , تربينا على رواياته و مقالاته , كنا نتلصص على العالم من كوه صغيرة في كل عمل من أعماله يرينا فيها الحياة و البشر و الطبيعة و حتى .. ما وراء الطبيعة ..

إهداء إلى رجل لن يتكرر ليس في أدبه المكتوب فحسب و لكن في أدبه المنظور و أخلاقه التي يشهد لها الجميع .. أحببت القراءة بسببه و تعرفت على أعظم الأدباء بسببه .. تمنيت أن أقابله وندمت على فوات الأوان ..خاصة و أننا في مدينة واحده و أبناء مدينة واحده ! ..طنطا .. ربما لا يفصل بيننا سوى شوارع قليلة !

ندمت على عدم سعيّ لمقابلته أكثر من ذلك وتأجيل هذه الخطوة مخدوعاً في كرم الأقدار و لكني أجد في هذا الإهداء بعض التعويض ..

إهداء إلى عرّاب جيلي .. الطبيب عاشق القصص و الحكايات الخالد ..

د.أحمد خالد توفيق

إهداء إلى أبي مجدي و هو "مجدي أنا بل أمجادي" الذي جعلني أتأكد بأنني محظوظ في الحياة لأنه أبي ! نادراً ما تجد أب و صديق مقرّب في ذات الوقت ولكنه دائماً كذلك و يتقن الدورين , لا أدين له بحياتي فقط بل أدين له بأنه جعل هذه الحياة ممكنه و جميلة و جعل من هذا الزمن الصعب على الجميع وقتاً يصلح للعيش بسعادة .. هذه فلسفته و أنا أحبها .. لا أحب المدح في حياتي ربما أخجل أو أغضب أو أكره المجاملات إلا مدحاً واحداً يجعلني أسعد البشر !! حينما يلقاني أحد الأقارب أو المعارف و يخبرني بأنني أشبه والدي كثيراً !

أطال الله عمره و زاده الله علماً و حكمة وجمالاً , الرجل الذي أتعلم منه كل يوم الكثير و الكثير , كلما سرت بجانبه يحكي لي عن ذكرى هنا و حكاية هنالك و لازلت لم أرتو بعد من حكاياته !

لذا قررت أن ترى روايتي هذه النور في نفس يوم مولده 23 أكتوبر !

إهداء إلى أمي الغالية التي رحلت عن الدنيا مبكراً .. أنتِ أجمل نساء الأرض .

إهداء إلى إبنة عمي التي جعلها الله لي أمّاً ثانية , و الأذن التي أزعجها دائماً بحكاياتي

إهداء إلى كل من سيقرأ\ستقرأ لي كل حرف .. أنت تستحق سنوات عمري القليلة الماضية التي أفنيتها في دراسة فن القصة من أجل إمتاعك و سرقة قلبك عن قصد .

عن القاريء الذي تم "نشره" !!

أراهن على قوة ذكاء القاريء الشغوف بالقراءة , لذلك أراهن أنكم لاحظتم على غلاف هذا الكتاب "دار القاريء للنشر" , لا يوجد دار حقيقية بهذا الإسم !

فأنا في الأصل محامي ! بحثت كثيراً قبل إتخاذ هذه الخطوة , و إن وجد دار تحمل نفس الإسم فأنا أعتذر لهم أو هي مجرد مصادفة أقسم أنها غير مقصودة !

فأنا لم أضع هذا "المنشار" هباءاً , فكل قاريء عربي يفهم ما أرنو إليه !

جميعنا قراء و جميعاً يتم "نشرنا " في أسعار الكتب ليس مؤخراً فحسب بل منذ سنوات .. مع كامل إحترامي لكل المبررات و إرتفاع أسعار الورق و سعر الدولار و صعود دونالد ترامب إلى منصة الحكم في الولايات المتحدة .. ما زالت الأسعار في مستوى القاريء الذي يعمل في "بنك خاص" !

و لأن هذه أول رواية لي – من حيث النشر – و أول تعارف بيني و بين كل من يقرأ لي الآن .. فأحببت أن تكون البداية بلا مقابل مادي ! فأعظم مقابل سآخذه منكم هو ساعات غالية من عمركم ستقضونها في القراءة لن تعود ثانية .. تتمنون ألا أضيعها عليكم .. و أنا أعدكم بذلك .

لم أرد أن تتدخل أي دار نشر وتتحكم في هذه البداية .. أريدها هادئة و غير مُكلفه

أريدها للجميع ! للكبير و الصغير و حتى من لا تترك المنزل إلا لأمرٍ ضروري !

"الشهرة لا تعني الجوده حالياً , الوصفه أعتقد سهله صاحب 5 نقاد , إعمل صفحة في الفيس بوك إعمل حفلتين توقيع , شلة إصحابك تخش تشكر فيك في الجود ريدز .. شوية بشوية بقيت كاتباً ناجحاً "

– د.أحمد خالد توفيق في آخر حوار له "برنامج وصفولي الصبر" –

لو كنت ستشتري هذه الرواية من مكتبة شهيرة .. سيكون سعرها 45 جنيهاً تقريباً ..

أنت أولى بها ☺

ولو كنت من مرتادي سور الأزبكية أو شارع النبي دانيال .. فهناك 20 جنيهاً .. أنت أولى بها ☺

ربما سيأتي اليوم الذى تُباع فيه كتبي بهذه الأسعار و لن يكون لي يد في الأمر .. ولكن كل ما في وسعي أن أفعله هو أمرين :

– الأول لن ألوم كل من سيقرأها PDF أو يبتاع نسخة مزوره بسعر مناسب له .

– الثاني أنني أتعهد لقرائي الأعزاء أنني سأواصل نشر رواية إلكترونية جديدة كل فترة متاحة للجميع دون الحاجة إلى دار نشر أو وسيط بيني و بينكم .

شكراً على ثقتكم و أشتاق إلى معرفة آرائكم سواء عن طريق التواصل معي مباشرة على حسابي الشخصي بالفيس بوك \ تويتر \ الميل

أو على صفحة الرواية بموقع جودريدز بتقييماتكم و مراجعاتكم "تريفاموجا #حالة اليوم الواحد"

ما قبل الساعة الأولى

7:30 ص

كان يجب أن يعرف الجميع حكايته , هو إنسان مثل جميع البشر و لكنه أيضاً مختلف تمام الإختلاف ! إن رواية حكاية هذا المخلوق عبء ثقيل على كاهل أعظم الرواه ! لكل إنسان حكاية تستحق الإنصات لها فيكفيك أن تعرف أنك قادم إلى هذا العالم بمعجزة متكاملة ! عمليات معقده تجعلك كائن فريد يأتي و يعيش ثم يتلاشي وكأنه لم يكن و من المستحيل تكراره ! هذا أنت ! أما "هو" فقدومه للعالم مبكراً عن موعده كان مجرد بداية لقصة أسطورية لم يصدقها كل من سمعها لأول مره !

يتابع "حسين" بعين مرهقه متوتره حركة الأطباء و الممرضات الذين يزرعون طرقات المستشفى ذهاباً و إياباً في حركة غير إعتيادية ! يستوقف حسين إحدى الممرضات ويسألها بصوت أرهقته الساعات الأخيرة الماضية :

– سعاد كويسة ؟! أرجوكم حد يفهمني إيه اللي بيحصل ؟!

تنظر له الممرضه بوجه متعرّق و ترد :

– ربنا يستر .. إدعولها .. أنا لازم أدخل العمليات حالاً

يضرب حسين كفاً بكف ويقبض بعصبيه على الإطار الحديدي الجانبي الخاص بالحائط و يقترب من فاطمة شقيقته التي تكبره بعامين , تحاول فاطمة تهدئته على الرغم من أنها تشعر بأن هناك شيئاً ما يحدث خلف أبواب غرفة العمليات ! أو ربما حدث ! ولم يرد احد الإفصاح عنه !

"حسين" أربعيني العمر , رشيق القوام , يرتدي قميص كحلي اللون ويضعه داخل بنطاله الجينز المميز ويضع حزاماً يتفائل به كثيراً لأنه كان هدية من زوجته وحبيبته الراقده بين أيادي الأطباء الآن , من يراه على هيئته و نعومة شعره و ملابسة الأنيقة متناسقة الألوان , وملامحه الطفوليه عدا اللحية التي طالت في الشهور الأخيرة , لا يصدق أنه بهذا العمر !

لكن الليلة الأخيرة أضافت إلى عمره أعواماً أخرى , كان يتحدث مع زوجته سعاد الحامل في شهرها السابع و التي تصغره بثلاثة أعوام ويتجادلان حول بعض الحقائق التاريخية نظراً لعملهما في قطاع السياحة ! تحول الحديث إلى مواجهه ودفاع وهجوم بين الزوجين , وفجأة وجد نفسه يحملها وهي تنزف ويدخل بها هذه المستشفى التى لم يعد ينطق فيها أحد سوى بكلمة واحده ! "إدعوا لها " !!

– إهدى يا حسين ! دلوقت نفهم ! إن شاء الله هاتبقى زي الفل !

قالتها فاطمة وهي تربت على كتف شقيقها , يدق هاتفه بدون إنقطاع فيستجيب أخيراً :

– يا جماعه أنا مع سعاد في المستشفى دلوقت !

يرد عليه زميله في شركة السياحة و يستفسر عن حالة سعاد , حتى يقول حسين بعصبيه وهو يعتصر الهاتف المحمول في يده :

– آجي فين يا محمود ؟! يولع الجروب السياحي على الشركة !

يحاول الزميل تهدئة حسين دون جدوى , يغلق حسين المكالمة , سرعان ما يدق الهاتف مره أخرى ولكن هذه المره متصل مختلف ! لم ينظر حسين إلى شاشة الهاتف بإمتعاض كالمكالمة السابقة !

تنظر له فاطمة بإستنكار مفاجيء قائلة :

– إنت ها ترد ؟!

يغلق حسين هاتفه في إرتباك و يغادر الطرقة وهو يبحث عن مدير المستشفى , بينما تتابعه فاطمة بنظرها ويبدو عليها الإستغراب !

قبل أن يغيب حسين عن عينيها يخرج الطبيب من غرفة العمليات التي تقف أمامها فاطمة فتصيح منادية على شقيقها الذي يعود مسرعاً و كاد يتعثر ويسقط برغم رشاقته !

كلمات الطبيب قليلة وموجهه إلى حسين يقولها وهو يتصبب عرقاً :

– دي أصعب حالة ولاده في حياتي ! .. و أغربها ! .. ممكن نضطر نضحي بالجنين ..

– لأ الجنين !! .... المهم سُعاد يا دكتور !

قالها حسين فنظرت له فاطمه بشفقه و تعجب , عاد الطبيب إلى غرفة العمليات بعدما طلب من التمرجي إحضار دواء معين !

– ربنا يعوضك يا أخويا ! إنتوا صبرتوا كتير أوي !

يتنفس حسين ويشعر بأن الهواء أصبح ثقيل على رئتيه اللتان أنهكتهما رصاصات التبغ التي لا تهدأ في يده ساعة تلو الأخرى !

ينظر لفاطمه بعين تلألأت فيها دمعات حاره قادمه من أحد عشر عاماً مروا من الزواج المثالي السعيد !

ومن الصبر و الدعوات و روشتات الاطباء و حتى زيارات عديدة لبعض الشيوخ محترفي زراعة الأمل في النفوس التي أوشكت على الجنون من كثرة الإنتظار و الألم .

– أنا كنت حاسس !

قالها حسين و أخذ يحكي بصوت متقطع مكلوم عن منامه الذي راوده في الأيام الأخيرة بأنه يحمل طفل صغير جميل و يجلس حسين بالطفل في قارب يشق البحر , كان يصف حسين البحر كأنه يراه أمام عينيه الآن , المياة الصافية و الأسماك الملونة التي تراها في القاع من شدة نقاء المياة , الجو المُشمس الدافيء المُحمّل بأطيب النسائم الهوائية التي يغلفها اليود فتنتعش بها النفوس , وفجأة يهيج البحر و تفر الأسماك منذرة بحدث بحري جلل سيقع لا محاله , يفقد حسين توازنه فيفلت الطفل منه و يقع في الماء ويتابعه حسين حتى يختفي في القاع !

يسير بخطوات غير متزنه رجل خمسيني العمر نحيل لديه لحيه غير مهذبه على الإطلاق و يبدو على عينيه أنها لم تنم منذ أسابيع !

يقترب من فاطمة التي تنظر له بإرتياب و يقول لحسين :

– ماذا يحدث لو ... الزمان إحلو ؟!

ينظر له حسين ويعجز عن الكلام من الدهشه يقبض على أعصاب يده من شدة الإستفزاز ! تستعد فاطمة للإمساك بشقيقها الذي سينفجر في وجه هذا الرجل المجذوب لا محاله !

تجري أحد الممرضات على الرجل الخمسيني رث الهيئة الذي تفوح منه رائحة كريهه و تأخذه بعيداً وتقول له بصوت منخفض :

– يا عم الحاج إنت عايز أوضة كام زهقتنا ؟!

تنفتح غرفة العمليات اخيراً و تخرج ممرضتان يسمع حسين وفاطمة همهماتهما

"يا عيني الواد شكله هايموت .. عيب خلقي ! .. لا لا شكله سليم والله أنا شيلته بنفسي ! "

يهب حسين واقفاً ويبتسم وهو يمسك يد فاطمه البارده من برودة الجو داخل أروقة المستشفى الخاصه .

يخرج الطبيب مره أخرى ويبدو على ملامحه إرتياح أكثر من المره السابقة , يتنفس الصعداء ويقول لحسين :

– الحمد لله أنقذنا الجنين

يقاطعه حسين بلهفه :

– وسعاد ؟!

– كويسه بس متخدره , والأفضل إنها تفضل نايمه لحد ما نشوف هايحصل إيه !

ينظر الطبيب في عين حسين ويفهم ما يجول بخاطره فيقول :

– لما قولت لحضرتك إن دي أصعب ولاده مكانش قصدي الأم !

كان قصدي إن المشكلة في الجنين !

يسمع الطبيب نداء من داخل غرفة العمليات فيبدو عليه الإستعجال و يطلب من أحد العاملين إحضار دكتورة سالي حالاً !

■■■

الساعة الأولى

8 ص

تجلس "سالي" الطبيبة في مكتبها بالمستشفى , مكتب هاديء و راقي وبسيط , يتميز بأرفف من الكتب عانت سالي في تجميعها و تنويعها بين الطب و العلوم و الثقافة العامة , سالي في عاملها السابع و العشرين , والذي يعتبر أسوأ أعوام حياتها على الإطلاق لأنه بدأ بوداعها لوالدها الذي كان يمثل لها كل شيء !

إنقطعت سالي عن المستشفى بعد وفاته لمدة ليست بالقصيرة , بل و إنقطعت عن رؤية الشارع من الأساس !

كان والدها رفيقها و شقيقها و طبيبها النفسي ! كان الرئه الثالثه التي لا يعلم الناس عنها شيئاً , مع كل معاناة الحياة تظل هي حيه بفضل هذه الرئه !! ظلت سالي تردد بعد وفاته "ضهري إنكسر" !

سالي ملامحها رقيقة يكسوها بهاء الجمال المصري الجذاب المفقود من حقبة الخمسينيات , و أسفل حجابها الأسود هنا خصلات هاربه تخبرك بأنها شقراء ! ما زالت ترتدي الأسود حداداً على والدها الطبيب الراحل و صديق د.فريد الراوي صاحب هذه المستشفى الخاصة .

تقرأ سالي في أحد الكتب الطبيه وترتدي نظارتها – تهوى إرتداء نظارات غريبة الشكل – تستمع إلى مجموعة متناقضة من الأغاني , بعدما تبدأ يومها بسورة من القرآن بصوت الشيخ المفضل لها وهو عبد الباسط عبد الصمد !

يدق جرس هاتفها المحمول , تنظر للشاشه بفتور و ترد مُجبره :

– صباح الخير يا ست الحبايب

فترد كريمة والدة سالي :

– صباخ الفل و الياسمين يا نور عيني

– مش جايه على الغدا بردو

تقولها سالي فترد كريمة بعصبيها وصوت عالي :

– لا هاتيجي يا سالي ! عشان أنا مش هاعيش لك العمر كله ! ..

على الرغم من تكرار أمها لهذه الكلمة كل يوم عن قصد لكن سالي في كل مره يتمزق قلبها :

– ربنا يخليكي بعد الشر

– .. العمر يابنتي بنعيشه مره واحده !

تنظر سالي في سقف الغرفة بتململ ثم تقول :

– ماما .. مش هاتجوز عماد إبن خالتي .. إنسي !

– طب أقعدي معاه قبل ما يرجع الإمارات وبعدها قرري !

– يا كريمة جواز القرايب غلط ! الكروموسومات بتاعتي شبه الكروموسومات بتاعته كده هانجيب عيال أغبيا و أنا كفاية عليا أوي الأغبيا اللي بشوفهم كل يوم مش ناقصه يا كرمله !

تصمت كريمة لبرهه ولا ترد , فتقول سالي بقلق :

– ماما ؟!

– طب لو إتعالج من موضوع الكروبسونات ده تتجوزيه ؟!

لأول مره تشهد المستشفى على جمال ضحكة سالي المرتفعه اللا إرادية ! إنفجرت في الضحك بشكل هيستيري حتى أنها أوقعت الكتاب الموضوع أمامها

– لمي نفسك ووطي صوتك يا بت !

قالتها كريمة وهي تضحك آمله بأن توافق سالي على عرضها لتناول الغداء مع عماد , تلتقط سالي أنفاسها وتقول بوجه متورد من كثرة الضحك :

– ربنا يخليكي ليا .. أنا ماليش في الدنيا غيرك !

– ويخليكي ليا .. عشان كده عايزه يبقى ليكي غيري من بعدي ! .. هاستناكي !

– مقدرش أسيب المستشفى انهارده مش بإيدي !

– لحد إمتى هاتفضلي هبله ؟! طايره بالراجل السمج اللي إسمه فريد و هو مشقيكي ومش مقدرك ومع ذلك مش قادره تسيبيله المخروبه ؟!

– إقفلي يا كريمة !

– بردو ؟!

– إقفلي يا كريمة وروحي إعملي لعماد البط والوز بتاعكم وسيبيني أفتكر هاعمل إيه أساساً !

تغلق سالي المكالمة و فجأة تشعر بحركة غير عادية أمام باب المكتب , تطفيء الأغاني , وترتدي البالطو الأبيض فوق ملابسها , تخرج من الكتب لتجد إحدى الممرضات تُهرول تسألها سالي :

– رايحه فين ؟!

فترد الممرضة :

– عمليات الولاده ,,, الجنين بيموت !

بينما يأتي التمرجي مسرعاً ويطلب من سالي التي بدى على ملامحها القلق مع سيرة "الموت" و يحسها على الذهاب بسرعه إلى غرفة العمليات كما أمره الطبيب هناك !

■■■

يتحرك فريد الراوي بنفسه بجوار سالي متجهين إلى غرفة العمليات ! فريد يقترب من الستين من العمر , يبدو على ملامح وجهه الجديه و الصرامه , حتى نظارته المجرده من الحس الفني التي لم تتغير في الصحف و الجرائد منذ سنوات ! متوسط الطول و ما زالت بعض الوسامه في وجهه , حينما يرى أحد صور فريد برفقة شرف الدين والد سالي يظنهما الرائي شقيقان ! توقف الهواء في المستشفى و إحتبس إنتظاراً للخبر القادم الذي يحترق حسين أمام غرفة العمليات لمعرفته !

لا يرد أحد على حسين ! يقول فريد لسالي :

– خليكي جمبي اليوم شكله طويل !

تومیء سالي برأسها مؤكده , ويدخلا العمليات بعد الإستعداد و إرتداءهما للكمامات ويغلقا الباب خلفهما .

ترقد سعاد على السرير وخراطيم كثيرة متصله بفمها و يدها , يبدو أنها نائمة نوم هاديء وتتنفس بطريقة طبيعية !

كل شيء يبدو طبيعي عدا الطفل ! الذي يحمله الطبيب "زاهر" ثلاثيني العمر طويل القامه , يتكلم زاهر من وراء الكمامه الموضوعه على فمه و ملابسه ملطخه بدماء من أثر الولاده ويضعه على الطاوله بهدوء

– زاهر ! هو ده ؟!

يهز زاهر رأسه إيجاباً ثم يقول :

– للأسف مات يا دكتور !

ينخلع قلب سالي ويرتفع بدقاته مع الأدرينالين في جسمها , يتجه فريد نحو الطاولة الموضوع عليها الطفل ويكتفي بالنظر من بعيد ثم يتجه نحو الأم , يأمر زاهر الممرضات بأخذ الطفل لإكمال مراسم دفنه , تقول سالي فجأة :

– ثواني ! ثواني !

تقترب من الطفل وتقاوم رائحته بصمود تحسد عليه , تضع أذنها على قلبه فتهتف :

– عايش !!

يلتفت فريد بدهشه فتكرر سالي بفرحه طفولية :

– والله لسه عايش يا دكتور فريد !

يضرب زاهر الطفل بيده على ظهر الطفل وبعد لحظة يصرخ بشده ! يضحك فريد ! و لكن سرعان ما يزعجه صريخ الطفل المتواصل ! يحمله فريد فلا يكف عن الصراخ ! يحمله زاهر ثم تحمله أكثر من ممرضه يتبادلونه عسى أن يكف !

حتى حملته سالي فسكت على ذراعها ! شعرت بقشعريرة لم تشعر بمثلها قط !

تبدل ضخ الأدرينالين بدالخها إلى هرمون سعاده من نوع فريد و مشاعر مختلطه متضاربه بين الفرح والقلق!

تنظر للطفل بسعادة غامرة وسط إعجاب فريد بها و تعجبه من هدوء الطفل وسكونه المفاجيء !

– ما دام عايش يا دكتور يبقى لازم نتصرف بسرعه !

قالها زاهر إلى فريد الذي وافقه الرأي , بينما سالي غارقه في حنان أمومي كانت تنفي إشتياقها لإظهاره في المستقبل !

ينظر فريد للطفل ويتفحصه في يد سالي ويقول لها :

– الطفل ده هايقلب الدنيا انهارده !

حاولت سالي فهم ما يرنو إليه فريد ولكنها إكتفت بمداعبة هذا الكائن "كبير الحجم " عن أي طفل وليد يأتي إلى هذا العالم !

يخرج فريد من غرفة العمليات و يتبعه زاهر يتحدثان ويسيران , يجري حسين على فريد ويقول :

– أنا أبوه الطفل اللي جوا ده و جوز الست اللي جوا بردو و أظن من حقي أفهم إيه اللي بيجرا ؟!

ينظر له فريد بعينين مشفقتين على الرجل ويخشى عليه من معرفة الحقيقة فيرد فريد :

– ممكن حضرتك تيجي معايا مكتبي ؟!

فيتطوع زاهر ويقول لحسين :

– الحاجات دي ما ينفعش تتناقش قدام الناس كده !

ينظر حسين إلى فاطمة ويبدو عليهما الحيرة و القلق , يحاول فريد تهدئة روع حسين :

– المدام هاتتنقل حالاً أوضتها و الطفل حالته كويسه جدا هايتنقل على الحضانه .

يتنفس حسين الصعداء ويطلب من فاطمة مؤازرة سعاد حتى يعود لهما بعد زيارة مكتب فريد التي يساوره القلق بشأنها ! وقلما أخطأ حدس هذا الأب حديث العهد بالأبوه !

■■■

– تريفاموجا ؟!

قالها حسين محاولاً الفهم , قام فريد من على كرسيه الفاخر و إقترب من حسين وجلس بجواره و أعطاه مجموعة من الأوراق وقال فريد :

– دكتور مايكل هوفر الألماني من 20 سنة إكتشف أول حاله !

وهو اللي سماها الإسم ده , الطب لحد دلوقت مش قادر يحدد هل عيب خلقي ؟! ولا مرض وراثي !

إندفع زاهر بحماس وقال لحسين الذي يبدو على وجهه الهلع و العديد من الأسئلة :

– الحاله اللي حصلت من 20 سنة دي للأسف ماتت بعد 4 ساعات بس !

إنقبض قلب حسين و نظر في الأرض وحرّك لسانه الذي أثقله الحزن وقال بصوت أقرب للهمس :

– مفيش أي علاج لحد دلوقت ؟!

فقال فريد وهو يهب واقفاً بثقه :

– هو ده اللي عمله د.هوفر في ال 20 سنة يا أستاذ حسين !

عاد الأمل إلى حسين ودبت فيه أنهار الأمل القاتله ونظر لفريد الذي يقول :

– دلوقت الحاله ممكن تعيش لحد سن ال 70 !

و لو حظها حلو تعيش لحد 50 سنة !

كاد أن يضحك حسين ساخراً ولكن ألمه اكبر من الإحساس بروح الدعابة فقال :

– حظه حلو لو عاش لحد ال 50 إزاي وهو ممكن يعيش لل 70 ؟!

تريفاموجا - محمد شويطر

فقال زاهر وهو يتوجه نحو الهاتف ليتصل بمستشفى دكتور هوفر في ألمانية

– هي دي التريفاموجا يا أستاذ حسين !

■■■

يدخل حسين إلى الحضانه وهو يجر أقدامه جراً , من بين عدد من الأسرّه و الأطفال , ينظر لكل طفل و يتمنى لو كان هو إبنه ولكن سرعان ما لفظت رأسه الفكرة , فيقترب من سرير طفله الذي لم يختر إسمه بعد !

تقف سالي بجوار سرير الطفل وتتلألأ دمعه في عينيها , ما إن رأت حسين حتى إبتسمت و قالت :

– حضرتك أبو يحيى ؟!

إبتسم وقال وهو يشير عليه :

– يحيى ؟!

هزت رأسها بخجل وقالت :

– جدي كان بيقول كل واحد له حظ من إسمه !
لما سكت على إيدي إختارت له إسم يحيى ! .. بعد إذنكم !

تنفس حسين وهو يتشمم رائحة المكان و الأدويه و الإضاءات التي يتم تسليطها على كل طفل , لا يعرف لماذا يشعر بهذا الهدوء والسلام على الرغم من ثقل الحقيقة التي عرفها منذ لحظات !

– أقول لأمه إمتى ؟!

قالها حسين بصوت يوحي بالعجز و الإشفاق على زوجته سعاد , فصمتت سالي لحظات ثم قالت بعد أن إستجمعت أفكارها :

– أول ما تفوق ! .. أملنا في ربنا كبير ! .. على الأقل تلحق تشوفه !

أخذ حسين يداعب الطفل الذي يزيد حجمه بشكل ملحوظ ! ويقول :

– د.فريد بيقول الساعه بالنسبة لجسمه تساوي تقريباً ..

فترد سالي كأنها تكتم الألم :

– 3 سنين !

– عمرنا ما سمعنا عن حاجه زي دي يا دكتورة .. ؟!

– سالي .. عشان الحاله دي حصلت مره واحده بس ! في ألمانيا .. د.مايكل هوفر كان المسؤول عن الحاله وكانت أول صدمه للطب الحديث ! الطفل بيكبر و خلاياه بتتجدد بسرعة رهيبه ! في خلال ساعه الطفل بقى 3 سنين ! وبعدها إتكلم ! .. جسمه كان محتاج كمية فيتامينات ضخمه ومواد علاجية مش جاهزة طبعاً .. مع كمية الألم و نمو الجسم المذهل للأسف الطفل مات ! من بعدها د.هوفر وهب حياته كلها للإستعداد لأي حاله مشابهه !

سكتت للحظه ثم أكملت وهي تنظر ليحيى :

– في جزء في كل خلية من خلايانا إسمه تيلومير .. ده اللي بيصحح أي خطأ يحصل للخلية وده اللي بيأخر العجز والشيخوخة ! .. مع الوقت التيلومير ده بيقل و شكلنا بيكبر , ده جزء أساسي في حالة يحيى !

سكت حسين ثواني كأنه يقيم حداداً ويتخيل نفسه يدفن طفله الوحيد الذي جاء بعد سنوات الصبر , ثم خطرت في باله فجأة صوره جعلته يضحك بشكل هيستيري !

– أستاذ حسين ؟!!

قالتها سالي ثم سارت عدوى الضحك فيها فضحكت وقال حسين :

– إنتي متخيله يا دكتور أمه هاتشوفه وهو عنده كام سنة ؟!

ضحكت ونظرت سالي للطفل وقالت :

– أنا عندي أمل في الحاله دي !

– يا رب !

وضعت يدها على يحيى وقالت :

– يحيى لازم يعيش !

– إن شالله حتى يعيش ال 50 سنة اللي بيقول عليهم د.فريد !

قاطعته سالي وقالت :

– قصدي حتى لو يوم واحد بس ! لازم يعيشه بجد !

■■■

أخرج حسين هاتفه المحمول و إتصل بعبد الله شقيق سعاد الأكبر , رجل تخطى الستين , بدأ حسين الحديث بالسؤال عن صحة عبد الله و الأولاد ثم أجهش بالبكاء وهو يقول :

– مش هاقدر أشوفه بيروح مني يا عبد الله

يواسيه عبد الله خال ولده الذي جاء للدنيا و قد يغادرها بعد ساعات ! , رد عبد الله :

– يا ريتني ما عرفت إنه عاش ! .. لا حول ولا قوة إلا بالله !
.. إجمد يا حسين , الحمد لله إنه رضيع مش هايحس بالألم !!

سكت حسين ليستوعب ثم قال موضحاً :

– رضيع ؟! يا عبد الله كمان شوية و الواد هايمشي ويجري !

فرت دمعه من عين عبد الله وقال :

– خليك مؤمن يا حسين , يمكن لو كان هايمشي ويجري بجد كان هايتعبكم معاه !

إنتهت المكالمة التي لم يكن هناك مفر منها , إتصلت ثريا والدة حسين فلم يستطع الرد , بينما حاول الإتصال بممدوح شقيق سعاد الأصغر رغم ثقل هذا الإتصال على قلبه ولكنه يعرف رد فعل سعاد حينما تعلم أنه لم يخبر أحد أشقائها بالخبر !

لم يجب ممدوح على الإتصال فشكر حسين الله كل الشكر , لم ينس حسين أن ممدوح لم يأت إلى فرحهما هو وسعاد , ولم ينس عدم مباركتة لهذه الزيجه من بدايتها !

■■■

بينما يحاول فريد الإتصال بدكتور هوفر , حاول زاهر الإطمئنان على بعض حالات المستشفى خاصة غرفة 26 حيث يرقد رجل خمسيني مثير للدهشه من غرابة أطواره ! رجل محافظ يذكرك بالأجيال التي لم يتبقى منها سوى الذكريات !

وقف زاهر و إطمأن على الرجل و تركه في الغرفه مع زوجته و أخذ الإبن من معصمه إلى خارج الغرفة وقال زاهر :

– حاولوا تخرجوه من مود العملية ! الحمد لله نجحت بس العامل النفسي مهم !

تسائل الإبن :

– حضرتك أكيد عرفت طريقته ! قافل على نفسه دايماً ومش بيقبل الهزار !

تعجب زاهر من شخصية الأب و ترك الإبن في حيرته !

عاد الإبن إلى الغرفه فقال الآب :

– في حاجه ؟!

إرتبك الإبن و نظرت الأم بينما قال الإبن :

– أقولك آخر نكته ؟!

إمتعض وجه الأب و فارت بداخله كرات الدم "المحافظة" وسعل وهو يعنّف إبنه :

– النكت الأبيحه بتاعتك دي خليها لإصحابك الفاقدين !

إقترب الإبن من الأب بينما تترقب الأم وهي تكتم ضحكاتها , يحاول الأب سد أذنيه كأنه لا يريد سماع صوت الرعود في ليلة شديدة المطر و البرد !

بينما إصرار الإبن و إبتسامته كانت أقوى من مقاومة الأب فقال الإبن :

– بيقولك مره واحد من الأرياف سافر ألمانيا يكمل تعليمه , كل سنة ينزل أجازة البلد ويرجع , في آخر سنه مانزلش أجازة أبوه كلمه الواد رد وقال له سامحني يابا أنا إتجوزت واحده ألمانيه هاتحبوها أوي !

أبوه زعل وقاله : بتتجوز واحده كافره ! بس لما أشوفك !

يحاول الأب سد أذنه ولكنه يستمع لكلام إبنه رغماً عنه , بينما تتابع الأم ويكمل الإبن النكته وهو يبتسم إبتسامة شماته و إنتصار :

– الواد نزل مع مراته البلد في الأجازة , أهله قابلوها وحش و أم الواد خدته يزوروا قرايبهم في مصر , سابوا مرات الواد الألمانية مع أبوه .. تأكله وتشربه و تديله الدوا في معاده وتعمل له أكل عمره ما داقه ! , رجع الواد و أمه , الواد سأل أبوه : عامل إيه يابا أخبار الكفاره إيه ؟!

أبوه رد : كافره ؟!! دي أمك هي اللي كافرة !!

لم يستطع الأب كتمان ضحكته فإنفجر ضاحكاً حتى بانت نواجزه و كسى الدم الأحمر وجهه , حتى الأم ضحكت وتعجبت من إستسلام زوجها للضحك لأول مره بهذا الشكل !

ربما نحتاج التغيير ونؤجله سنوات خشية إتخاذ القرار الثقيل ! بارك الله الشدائد التي تجبرنا وتغيرنا وتوقظنا بعد سنوات الغفله والعتمه !

على الجانب الآخر تحدث مع د.فريد مديرة اعمال د.مايكل هوفر من ألمانيا , وقالت بلكنة إنجليزية :

– د.مايكل لن يأتي هذا الإسبوع

فقال فريد وهو يعتدل في جلسته :

– فقط أخبريه بأن الحاله التي ينتظرها من عشرين عاماً ولدت من دقائق !

على الفور طلبت مديرة الأعمال من فريد بعض الوقت لتقوم ببعض الإتصالات , أراح فريد ظهره على كرسيه و أدرك أنه سيتحدث مع أعظم أطباء العصر الحديث بعد دقائق قليلة !

وقف د.زاهر أمام سرير يحيى في الحضانه , تغير جسمه بالكامل , يزيد نمو الشعر و خلايا الجسم و طول العظام و الأسنان ! تظهر بعض البثور في وجهه وتختفي بسرعه ! أبصر يحيى الآن !

يستطيع السمع , تأكدت سالي من كل ذلك وهي تشرح لحسين أن أي طفل من لحظة ميلاده يحتاج إلى الثقه و الرعاية ! و أنه ينزل إلى الوجود بجهاز أخلاقي بالفطره !

لم يصدق حسين غرابة التجارب التي تحدث زاهر عنها في حضور سالي ! أخذ زاهر يستعرض ثقافته أمامها و يتلو عليهما تجربة أقيمت على أطفال في شهورهم الأولى , يختار فيها الأطفال دائماً جانب الخير !

– لكن يحيى غير باقي الأطفال !

قالتها سالي فقال زاهر :

– يحيى طفل عادي ! ظروفه هي اللي مختلفه !

نظرت له سالي ثم وجهت كلامها لحسين :

– أنا أراهن إن نموه العقلي هايكون جبار !
بدليل إنه هايتكلم بدري !

شعر الأب بقشعريرة تسري في جسده , أمسك رأسه وشعر أنه يحتاج إلى بعض النيكوتين و الشاي !

طرق أحد العاملين الباب و دخل إلى الحضانه , فعرفه زاهر وقال بهمس إلى حسين :

– أعتقد حضرتك مش مضطر تعمل شهادة ميلاد !

هز حسين رأسه بأسف , و رأى زاهر في عين سالي شيئاً لم يره إلا يوم وفاة أبيها !

دائماً ما يقع زاهر فريسة الإستسلام و الشعور بأن سالي خُلقت من أجله ! و بأنها غير باقي البشر حالة خاصة لم و لن ير مثلها ! كان يسبقها في كلية الطب فهو يكبرها بعامين , تفوقها أغلق الباب عليه ليساعدها إلا في حالات نادره كانت تجمعهما أنشطة الكلية حتى تفرقا و إجتمعا ثانية في هذه المستشفى التي شهدت على كثير من الحكايات التي أضحكتهما و أبكتها وحدها فهو لا يبكي !

■■■

إستدعى فريد كل من زاهر و سالي و حسين إلى مكتبه فذهب الجميع , وجلسوا يستمعون لفريد وهو يتكلم مع هوفر , بينما كان يستمع من خارج المكتب "عوض" ذلك الرجل الخمسيني أسود البشره النحيل !

قال فريد بلنكه إنجليزية متعاليه :

– أقسم لك أن الحاله بين أيدينا الآن ! ..

فرد هوفر بصوت إختلطت فيه مشاعر الفرحه و الإرتباك :

– أنا قادم مع فريقي الطبي بأسرع وقت !

– نحن في إنتظارك د.هوفر

أغلق فريد المكالمة و قص على الجميع ما قاله هوفر بالتفصيل و أنه سيحضر معه مجموعة عقاقير طبيه عمل عليها هوفر وطاقمه الطبي في السنوات الأخيرة , خصيصاً لهذه الحالة !
في الساعات القليلة القادمة سوف يأتي هوفر ولابد أن تكون الأمور على أتم إستعداد ! لابد أن يكون الإستقبال أسطورياً تمهيداً للحدث التاريخي !

يستعد زاهر ليكون فتى المستشفى الذهبي أمام هوفر ! ويستعد فريد ليظهر أمام الوفد الأجنبي عالي المستوى بمظهر لائق ! بينما لا تريد سالي للوقت أن يمر ! وتجمد الوقت تماماً لدى حسين !

خرج الجميع من الغرفة وكلٌ يعلم أين سيذهب عدا حسين الذي سار في الطرقه كأنه يحدث نفسه , يحاول تهدئة أمواج أفكاره التي تتقاذف مثل الموج في يوم عاصف !

عوض إستوقف حسين فجأة , وقال :

– الحقن موجوده !

بدى على حسين الإستغراب

– هي الحقن في مصر يا دكتور ؟!

هز عوض كتفاه في ثقه وقال :

– كل حاجه في مصر بس المهم تعرف تجيبها إزاي ؟!

تلفّت عوض يميناً ويساراً ثم أخرج علبة بيضاء من جيب البالطو الخاص به و قال :

– هي شاحّه في السوق بس ماتغلاش عليك !

سال لعاب حسين لما رأى العلبه و شعر بأن الله سيكتب لإبنه النجاة و الحياة المديده وتزول كل هذه الأوهام و الهواجس التي يرددها الأطباء الحمقى !

– ألف جنية بس !

قالها عوض فمد حسين يده في جيبة ولم يجد سوى سبعمائة جنيه ! نظر لهم عوض :

– عشان إنت راجل طيب بس ..

سكت عوض فجأة و نظر إلى د.زاهر الذي يقترب منهما , طار عوض وترك علبة الدواء , أسرع زاهر ووقف بجوار حسين و أخذ علبة الدواء ونظر فيها وقال بصوت عال ساخراً من عوض :

– يا إبن الكلب يا عم عوض !! هو إنت اللي بتسرق حقن الأولفين من الصيدلية !

وضع زاهر العلبة في جيبة ونظر للنقود في يد حسين الذي يقول :

– خد الفلوس وهات العلبة !

ضحك زاهر وقال :

– يابن النصابه يا عوض ! تعالى يا أستاذ حسين حقك علينا !

■■■

يجلس هوفر في طائرته الخاصه ويحمل في يده حقيبه بيضاء متوسطة الحجم , صلبه , يحتضنها مثل الأم التي تحتضن طفلها بعد ظنها أنها فقدته للأبد !

جلس بجانب هوفر طبيب ألماني شاب "بيتر" أشقر الشعر , أحمر الوجه , قال هوفر مداعباً :

– لم أشعر بتلك النشوه يا بيتر حتى في يوم زفافي !

إبتسم بيتر وقال :

– جميع من على هذه الطائرة يحلم بهذا اليوم يا أستاذي !
أنت رأيت الحاله الأولى وحدك ! واليوم سنشهد لك بإعجاز طبي فريد !

أرخى هوفر أعصابه و أسند رأسه على مقعده بينما تحلق الطائرة , أغمض عينيه و طافت أمام عينه صور شتى !

صورة الطفل الذي لم يستطع إنقاذه منذ سنوات ومات بعد أربع ساعات فقط ! لم يكن طفلاً ! كان جسمه كجسم طفل في الثالثة عشر من العمر ! ولكن قواه خارت فجاة ولم يحتمل أي علاج !

إمتعض وجه هوفر وهو يتذكر صرخات الطفل و ألمه مع دخول المحاليل إلى جسده ! كان الطفل يتشنج و تدب فيه قوى فولازيه سرعان ما تنتهي ! تمنى الطفل الموت و كانت دعواته كالرصاصات في قلب أي طبيب ! خاصة لو كان يقدس الطب ودوره مثل هوفر !

فاجأت هوفر صور أخرى مؤلمه لمعاركه مع زوجته التي تتهمه بهجرها مقابل مجد وهمي ! وصوراً باهته لإبنه و إبنته اللذان لا يعرف هوفر عنهما الكثير بسبب إنشاغله بدراساته و أبحاثه !
لقد عاش عمر طويل في المعامل ! تعلم كيف يقوم بتحضير أصعب العقاقير بمهاره فائقة ! ولم يتعلم كيف يحضر الكورن فليكس لطفله الوحيد حينها !

الجميع في إنتظار الطبيب الألماني الشهير , بدأت الحركة في المستشفى في إتخاذ أشكالاً جديدة أكثر حذر و أكثر إنضباط خاصة مع ظهور قوات الشرطة لتأمين مداخل المستشفى !

وقف حسين مع فاطمة التي طمأنته على صحة سعاد و أنها على وشك الإستيقاظ و الإدراك !

دق هاتف حسين المحمول فبدت العصبيه على فاطمة وهي تقول :

– إنت لسه بتكلمها ؟!

فقال حسين وهو يرفض الرد على المكالمة :

– دي ماما ثريا يا فاطمة !

سكتت فاطمة فقال حسين :

– هارد أقول لها إيه ؟! لما نشوف هايحصل إيه و أقول لها الخبر مره واحده على آخر اليوم ... أمك مش صغيرة وقلبها مش هايستحمل !

ربتت فاطمة على كتف شقيقها وقالت بهمس :

– طول عمري بدي للعيال دروس التاريخ و أنا مستغربه إزاي واحد زي الإسكندر و جان دارك يعملوا التاريخ ده وهما ماتوا صغيرين !

نظر لها وهو يخرج سيجارة من علبة سجائرة الفاخرة , أكملت فاطمة :

– لما راجعت حياتهم القصيرة عرفت إن السر كله .. إنهم عرفوا إزاي يعيشوا !

لم يشعل حسين السيجارة وتذكر أنه في المستشفى , أخرج هاتفه و إتصل برقم "سهير" شقيقة سعاد

بدأ المكالمة محاولاً إخفاء حزنه تفاجيء برد سهير :

– مبروك يا حسين يتربى في عزكم

ثم سكتت فتعجب حسين :

– أنا ما كنتش عايز أزعلك يا سهير .. الواد على آخر اليوم هايموت !
لو عايزه تشوفيه تعالي دلوقت ! سعاد محتاجاكي !

صاحت سهير في إبنها الذي يشاهد التلفاز ويرفع الصوت , ثم قالت بفتور :

– بعد الشر يا حسين إنت هاتكفر ؟! إن شاء الله يعيش و تجوز ولاده !

و ما تقلقش النقطه محفوظه له لما أشوفه !

– نقطة إيه يا سهير ؟! .. خليكي ما تتعبيش نفسك .. سلام

أغلق حسين المكالمة و إستأذن فاطمة بالخروج من المستشفى من أجل التدخين و إلا سينفجر عقله من الإستفزاز بدلاً من رئتيه ! , فذهبت فاطمة إلى غرفة سعاد ربما لتمهد لها الخبر بل الأخبار الماضية و القادمة لا محاله !

كانت سالي في مكتبها , أغلقت على نفسها و جلست على الأريكه الصغيرة التي يعلوها نافذه تطل على حديقة المستشفى , و أخذت تتذكر والدها الطبيب الراحل , قبل وفاته بأسابيع قليلة اخذها في رحلة صيد إعتاد عليها لينسى هموم المهنه و الحياة , يحتاج القلب للنسيان و الترويح و إلا سنتحول إلى آلات لا مشاعر لها ولا طاقة على الصبر على حماقات البشر !

كانت سالي صامته أغلب أوقات الرحله – وتندم الآن على هذا الصمت – حتى تكلمت و بكت وهي تجلس بجانب أبيها على الشاطيء الهاديء ! تركت صنارة الصيد و أخذت تبكي مثل الطفله الذي لا يعبء بما سيُقال عليه ! باحت بكل شيء كانت تكتمه عن حياتها مع خطيبها الذي تركته منذ أيام !
كم تحملت و إنتظرت التغيير ولكنه أبى ! , ضمها أبوها ضمه مازالت أوصالها تحتفظ بإحساسها للآن , شعرت بأنه ما زال هناك أمل , طالما يهتم أحد لأمرنا يمكننا تحمل أي شيء !

أعاد د.شرف الدين لإبنته صنارة الصيد فضحكت ولو من وراء قلبها فالجراح لا تلتئم في ثواني مثل الأفلام التجارية الخادعه التى ترى الحياة أسهل من تغيير أوراق النتيجة مع كل صباح ! ولكنها ضحكت !

و قص عليها أبوها حكاية الأفعى التي تسللت إلى ورشة النجار في عتمة الليل , كانت تبحث الأفعى عن الطعام الموضوع في نهاية الطاولة , وفجأة جرحها المنشار المسنون الموضوع قبل الطعام ! إستفز الجرح الأفعى فحاولت بخ الشم في سبب الألم فإنقطع لسانها ! لم تكتف ! و قامت بلف جسدها على المنشار المميت وهي لا تدرك ماذا ستفعل بنفسها في هذا الظلام ! وحاولت إعتصار المنشار فتقطعت إرباً !

وطلب من سالي بأن تتجاهل الماضي ! وإلا ستكون كالأفعى ! لم تتجاهل المنشار و مع كل محاولة للثأر أو الإقتراب يزيد الخطر و الجرح وتسيل الدماء !
ألم الولادة هو ثاني أصعب ألم بعد الحرق حياً ! .. ولكن الأصعب من ألم الحرق حياً هو أن يخذلك شخص

كنت تظن يوماً أنك محظوظاً لأنك أحببته !!

– فاكرة قولتلك إيه قبل ما توافقي على الواد ده ؟!

قالها شرف الدين فقالت :

– إيه ؟!

– ما تتعشميش في حاجه قرارها في إيد حد غيرك !

فكرت ثم قالت بيأس ساخر :

– إبن أمه

ضحك و ضمها ثانية ثم صاح مبتهجاً :

– الغدا وصل

قالها وهو يشد الصنارة التي ثقلت للغاية و يبدو أنها تحمل رزق بحري وفير , فقامت سالي وساعدته في سحب الصيد الثمين .

عادت سالي من شرودها و كأن كل ذلك كان بالأمس ! لم تتمالك نفسها و جففت دموعها التي سالت

شعرت بأن الدموع الحارقه تركت ألم في عينيها لا يقارن بألم حرائق أخرى تندلع في القلب .

تمنت من الله بألا تفقد عزيزاً آخر ! تفكر في الهروب من هذا اليوم , تفكر جدياً بترك المستشفى حتى ينتهي أمر يحيى ! ولكن شجاعة غير متوقعه هبطت عليها فألزمتها بالبقاء !

ربما شعورها بالمسئولية ! ربما تريد حضور هذه التجربة الفريدة ! ربما يحيا يحيى !!!

■■■

الساعة الثانية

9 ص

– ماما

أول كلمة نطق بها يحيى , كانت الممرضة "نرجس" البدينة تجلس بجوار الأطفال , إتسعت عيناها و شعرت بدوار سريع وقامت وهي تُتمتم :

– ويخلق ما لا تعلمون .. بسم الله اللهم إحفظنا

ثم نادت أقرب طبيب رأته أمامها فإذا به د.مرزوق الثلاثيني الملتحي , الذي يبدو على وجهه النضج و الجديه أكثر من أي شيء , دخل دكتور مرزوق ليجد الطفل قد قام ووقف على سريره وعاري تماماً !

توقف مرزوق مُكبراً للحظة و قال و هو يستجمع أفكاره :

– الكاميرا بسرعه يا نرجس ونادي د.فريد !

إنطلقت نرجس و هي تشعر بأن جميع أوصالها ترتعش , تذكر مرزوق شيئاً فقال لها بسرعه قبل أن تختفي عن بصره :

– هاتي محاليل جديدة و شوفيلي الأم فاقت ولا لسه ..

كان حسين في حديقة المستشفى الخارجية , يدخن سيجاره بعصبيه , يتحدث إلى "دلال" شقيقته ويخبرها بحالة الطفل الوليد , إنكسر قلبه على الرغم من أنه لم يتوقع منها سوى هذه الردود البارده الجافه !

دلال شقيقته و سهير شقيقة زوجته وجهان لعمله واحده إلا أن سهير تأتي بها المصالح إلى بيته ! أما دلال فهي بعيده كل البعد حتى لو إحتاجت إلى مساعدته لن تطلبها .. مكابره حمقاء !

ما إن علم حسين بتطور سلوك و حالة إبنه حتى إختار إنتهاز الفرصة ليشتري لأول مره ملابس جديدة لطفله !

ذهب لأقرب متجر ملابس , كان يشعر بدغدغه في قفصه الصدري مع كل مره تلامس فيها أصابعه قمصان و ملابس الأطفال الزاهيه ! إبتاع العديد من الملابس و إضطر لإستخدام كارت الإئتمان "كريديت كارد" الذي يزيد عليه الديون يوماً بعد يوم ! ولكن اليوم يوم عيد ! اليوم إستثناء ! وما أكثر إرتكابنا للكوارث حينما نغرق في لحظات الفرح ولا نريد التفكير في النتائج غداً !

إشترى ملابس تناسب الطفل في أعمار مختلفه حتى سن المراهقة ! قمصان و بنطالات جينز وجميعها ملابس صيفيه , أثار تنوع الإختيارات فضول البائع فضحك حسين وقال :

– محدش عارف الأسعار بكره عامله إزاي !

■■■

تركت سالي هاتفها المحمول في مكتبها لتتخلص من نداءات أمها المتكرره , وذهبت إلى الحضانه لتجد يحيى وجسمه قد فار و صار طفلاً تخطى الثالثة من العمر ! ينطق بعض الكلمات ! الممرضات يقفن ويتابعن من وراء الزجاج ولا يردن الإقتراب منه إلا إذا طلب منهن أحد الأطباء شيئاً !

كانت نرجس الممرضة تتابع حركة يحيى الذي يتغذى جسمه على المحلول , أكثر كلماته هي "ماما , بابا " إستنتجت سالي بالطبع أن هذا الطفل ليس طبيعياً في كل النواحي ! من الواضح الآن أنه يمتلك ذاكرة ليست خالية ! عقله ينمو و يربط الأشياء بسرعه جنونية ! لديه ذخيرة من المعلومات إكتسبها من والديه وراثياً , كل هذا حدث مع الحاله الأولى التى ماتت على يد د.هوفر , فكان الطفل في ساعته الثالثه ويستطيع حل معادلات حسابية بسيطة و عد الأشياء كأنه طفل في العاشرة من العمر !

كان حسين و فاطمة يتابعان الطفل مع الأطباء و يبدو عليهما السعاده و تملكهما إحساس عميق بان الأمر جنوني ! أو مجرد حلم !

تُتمتم فاطمة ببعض آيات القرآن التي تحفظها , تراجع معجزات التاريخ التي تعرفت عليها طوال سنوات الدراسة والعمل ولكنها لم تجد مثل هذه المعجزة قط !

بينما حسين يقاوم الإرهاق و يقف على أقدام لم تعد تحتمل هذا الجهد العصبي , كم تمنى أن يرى طفله الأول ! كم تمنى أن يراه وهو يحبو , وهو يتعلم , ويجري و يتكلم و يضرب الأرض بأقدامه ! كم تخيل نفسه وهو نائم ويوقظه هذا الوغد الصغير في الصباح الباكر بإزعاجه و قذفه لألعابه و ضحكاته البريئه !
وفجأة تبخرت كل هذه الأحلام ! ولم يعد سوى الحقيقة ! أيقن حسين الآن أن أسوأ كابوس في الحياة هو أن تتلوث ذكرى كنا نعُد الليالي الطوال في إنتظارها !!

قاوم حسين هواجسه و قرر أن يعيش اليوم فلا نعرف كيف ستجري الأمور غداً ! كان يتابع سالي وهي تلعب مع الطفل و تحتضنه بحنان أمومي غريب !

– دول كام ؟!

وترفع أصابعها و يجيب يحيى بالرقم الصحيح ! إذن الطفل يملك مخزون معلوماتي كبير سيخرج كلما إحتاج له ! كأنه عاش حيوات و حيوات قبل اليوم ! إذن هذا جزء من العدالة الإلهيه !

إقتربت سالي من حسين وتركت زاهر يقوم بتصوير الطفل هو ود.مرزوق , وقالت سالي :

– تقريباً هو 5 سنين دلوقت , الطفل في السن ده محتاج يحس بالثقه !

حاول يحيى الجري في أرجاء الغرفة و يريد الخروج من باب الغرفة فحاولت إحدى الممرضات منعه وهي في قمة الذعر , نهرتها سالي بشده و طلبت منها السماح له بالتحرك ومتابعته !

– إنتي عايزاه يتوه مننا ؟!

فترد سالي بوجه عنيد :

– لازم يتحرك براحته ! طالما المداخل متأمنه لازم نسيبه !
أي قيود عليه ها تأثر على نموه العقلي !

ثم تنظر ليحيى الذي يتأفف وتقول :

– روح المبادرة للطفل في السن ده طبيعية !
.. سيبوه يخرج !

خرج يحيى و تم نزع المحلول مؤقتاً من يده ! أخذ يجري هنا وهناك وسالي تسير وراءه وتتابع خطواته من التعثر الشديد إلى السير بإتزان تام مثل الكبار !

كانت فاطمة في غرفة سعاد و ما إن خرجت و أغلقت الباب حتى إصطدم فيها يحيى فصرخت !

ضحكت سالي وهي تراقب يحيى و يجري د.زاهر بالكاميرا وراءهم !

إنتهى يحيى من جولته الطويله بين الطرقات حتى عاد أمام الحضّانه ووقف أمام الباب المفتوح يتابع الأطفال النائمين فيها , ينظر بتعجب و يقترب من أحد الأطفال ليلمسه !

شعر حسين بان سالي على وشك تفسير ما يحدث له فأصغى لها وهي تقول بصوت خافت كأنها لا تريد إزعاج يحيى بصوتها العالي وتشتت تفكيره :

– هو مستغرب إن الأطفال اللي كانوا معاه نموهم واقف !
ومستنيهم يتحركوا زيه !

إعتلت الدهشه على وجه حسين , بينما قال مرزوق :

– هو الطفل ده يُسأل يا جماعه مش كده ؟!

لم يرد أحد من الواقفين فقالت سالي :

– ده لسه ما إتفطمش يا دكتور !
وبعدين اللي زي ده هايلحق يعمل إيه يتسأل عنه ؟!

أشاح مرزوق بوجهه عنها وقال مزمجراً :

– ماشي يا شيخة سالي ! علمينا الدين !

إنتبه الجميع إلى صوت هروله في الطرقات الجانبية و رأت سالي د.فريد يجري ووراءه لفيف من تلامذته

أدرك الجميع أن د.هوفر وصل للتو و هذه مراسم إستقباله !

بينما ظل يحيى يعبث بأنف طفله كانت نائمه في سريرها فأيقظها .

■■■

في مكتب د.فريد الأنيق جلس د.هوفر و الوفد الطبي الخاص به , قدم له مشروباً على سبيل الترحيب لكن هوفر جاء من أجل شيء محدد !

– أين الطفل ؟!

قالها هوفر بلكنته الإنجليزية قاطعاً سيل المدح و الإطراء الذي أطلقه فريد , فقال فريد :

– حسناً هيا بنا نذهب إلى الحاله

فتح هوفر حقيبته البيضاء لأول مره فنظرت سالي و زاهر و فريد لما بداخلها !
تسعة عقاقير , ثمانية بهم سائل أصفر وعقار وحيد تلون سائله باللون الأحمر !

– هذه العقاقير الصفراء من أجل التغذية الضخمه التي سيطلبها جسمه للنمو !

ثم حمل العقار الأحمر وقال هوفر :

– أما هذا العقار الأغلى .. إكسير الحياة لمثل هذه الحالات !

وقال تركيبة كل عقار و مدى قوته , و أن العقار الأحمر يجب أن يأخذه المريض في فترة شبابه حتى يحتمل قوته و يستجيب لمفعوله ! حينها سيكمل حياته مثل باقي البشر ويعود معدل نموه طبيعي ! وتعود وظائف جسده البيلوجية إلى الحالة الطبيعية , أما العقاقير الأخرى فتؤخذ على مدار اليوم كل ساعتين او ثلاث حسب الحاله ! هز فريد رأسه بإنبهار و إجلال لهوفر و كذلك فعل زاهر ولكن ما لم يكن في الحسبان هو قول سالي وهي تعترض بحده :

– العقار الأحمر ده يموت الحاله ! .. د.فريد إنت أكتر واحد
عارف إن يحيى مختلف عن الحاله الأولى !
يحيى إبن 7 شهور وجسمه أضعف من إنه يستحمل الحقنه دي !

شعر هوفر بأن سالي تعترض رغم أنه لم يفهم ما قالت حتى ترجم له المترجم الخاص الذي يعمل في المستشفى لدى فريد من الأساس و يجيد تحدث الإنجليزية و العربية , إمتعض وجه هوفر وقال :

– عشرون عاماً كفيلين بجعلي لا أستمع إلى تراهاتك !

تحرك الجمع و إستغربت سالي من موقف فريد المتخاذل ! حاولت التحدث معه لكنه مبهور بحضور الطبيب العالمي ! شعرت سالي لأول مره بأن فريد مجرد بشر ألبسته هي بالخطأ ثوب الملائكة !

كلما إقترب هوفر من غرفة الحضّانة يزيد إفراز الأدرينالين في جسمه , يشعر بلسعه خفيفه في رقبته ربما برودة المكان الذي يعاني من كثرة التكييفات ! أو ربما ذكريات مؤلمه كأنها بالامس !
يخشى أن تُكرر مأساة الطفل الأول , ليس هناك أسوأ من شعور الطبيب حينما تفلت منه حاله إلى العالم الآخر وهو عاجز عن إبقاءها حيه !

حضر وزير الصحه فور علمه بوصول د.هوفر و دخل إلى المستشفى وسط حرسه الخاص , بينما كانت فاطمة تتابع ما يحدث قدر الإمكان ! حتى كانت في غرفة سعاد وتنظر فاطمة من النافذه بفضول , وسمعت فجأة :

– خالد فين ؟!

قالتها سعاد بصوت ضعيف للغاية بين اليقظه و النوم , سرت المفاجأة في شرايين فاطمة كالتيار الكهربي ! لم ترد أبداً أن تكون هي من ينقل الأخبار لسعاد ! و لكن لا يأمن القدر سوى خالقه !

في ذات الوقت وصل الوفد الطبي أمام الحضّانه ليتفاجيء هوفر بأن يحيى غير موجود !

حاول فريد تبرير الموقف و تهدئة هوفر الذي يوشك على الإنفجار , فتطوع د.مرزوق :

– أكيد راح هنا ولا هنا .. إسألوا الست سالي كان معاها !

تحرك فريد في الطرقه بجنون فوجد سالي واقفه تستند على الحائط كأنها تفكر في شيء , ولا أثر ليحيى بجوارها , صاح فريد فيها فقالت :

– يا دكتور أكيد قريب من الحضانه ! حركته محدوده ومش ها يقدر يستخدم السلّم !

طاف فريد في المستشفى فلم يجد أي أثر للطفل المعجزة ! , حتى عادت سالي إلى مكتبها الذي كان بابه مفتوح , لتجد يحيى يجلس على اللاب توب الخاص بها و كأنه يعرف ماذا يفعل !

– عيب لما تستخدم حاجة حد من غير إذنه !

قالتها بطريقة أموميه معاتبة إياه فرد يحيى عليها وكأنه لم يسمعها :

– يعني إيه تريفاموجا ؟!

إحمر وجه سالي و توقف الكلام في حنجرتها , شعرت بعجز تام من الصدمه ! طفل يعادل عقله ست سنوات ويتفاعل كأنه شاب ناضج واثق من أفعاله !

– إزاي ؟!

لم تجد سالي سوى هذه الكلمة فرد يحيى :

– أووف .. أنا كنت مفكرك عارفه ! .. البقع الحمرا دي
مفيش أي علاج ليها على النت !

– إنت بحثت بالإنجليزي ؟! يا قادر !! دانا مش بعملها غير للضرورة !

قالتها سالي وهي تنظر للبقع الحمراء التي تحتل يد يحيى اليُمنى , حتى قالت :

– لما تاخد الحقنه هاتخف يا حبيبي

– أنا جعان ! إنتي إسمك إيه ؟!

– سالي !

– و أنا آآ.. يحيى !

– عاشت الأسامي يا يحيى !!!

■■■

لم تستطع سالي مقاومة الجلوس بجوار يحيى و الحديث معه , شعرت برغبه عميقه في معرفة ما يفكر فيه في كل لحظة ؟! إلى أي مدى يصل مخزون المعلومات لديه ؟!

أغلقت باب مكتبها بهدوء و تركت من يهرولون بالخارج يذهبون للجحيم , كان يحيى مشغول للغاية في البحث و كلما إنتهى من البحث في شيء على الإنترنت ذهب إلى بحث آخر دون أن يشعر ! كان لديه نهم غير معقول لمعرفة كل شيء ! كل شيء على سبيل التخصص وليس العلم بالشيء !

تفحصت سالي ملامحه جيداً كأنها تريد حفظ كل شيء في ذاكرتها , قاومت تيار الرهبه بداخلها الذي يذكرها بآلام الفقد التي تخشاها منذ الصغر , كانت تلمس وجهه و البقع الحمراء القليلة تختفي وكذلك في يده !

شعره البني اللامع الذي يذكرها بأحب الألوان إلى قلبها ! عينيه السوداء التي لا تكف عن الحركة كأنها تبتلع كل ما هو أمامها و ترسله إلى عقله الذي لا يشبه أي عقل في هذه المستشفى و خارجها في هذا الزمن !

– إنت شوفت نفسك ؟!

قالتها سالي و هذا كل ما دار في بالها !
إنتبه يحيى و إحتار في الإجابة , ربما لم يجد الأمر مفيداً ! أو أنه أمر عاطفي و هو غارق الآن في قمة الأمور العملية ! ولكنه لم يقاوم الرغبة الإنسانية في رؤية نفسها على أكمل وجه !

ضغت سالي على أزرار اللاب توب و فتحت الكاميرا الأمامية , وفجأة رأى يحيى نفسه ! أغمض عينية و بدأ بعمل حركات متعدده بفمه و يده ووجهه ورقبته ويضحك حينما تتحرك الصورة تماماً كما يفعل !

هو يعلم أن هذا سيحدث بالطبع , لكن المفاجآة ! تجربة الشيء لأول مره لها طعم خاص لا يمكن أن يتكرر إطلاقاً ! حتى لو كانت تجربة مريره !

إبتسمت سالي و إستأذنته لتحضر له بعض الطعام و خرجت من المكتب , بمجرد أن رأى يحيى ورقه وقلم رصاص موضوعين أمامه , حتى أمسك القلم و أقام معركة يسابق فيها الزمن بمهاره يحسد عليها !

شعر بصداع بسيط وهو يتخيل ويستعيد بذاكرته وجه سالي , لكن الأمر نجح ! وجاءت سالي بعد دقائق قليلة ومعها بعض الطعام الساخن !

إشتم يحيى رائحته فوقف و إنتزع الطعام من يد سالي و أقام معركة أخرى نتائجها محسومه !

بينما تضحك سالي على شدة نهمه حتى وقعت عينيها على ورقه كانت فارغه أمام اللاب توب و الآن أصبحت لوحه كامله متكاملة بالرصاص لوجهها !

– إنت إزاي كده ؟!!

لم يرد يحيى وظل يأكل , مذاق الطعام الشهي بعد الجوع لا يمكن مقاومته فما بالك بمذاق أول مره !

أمسكت سالي الورقه بيد مرتعشه ! كأنها تنظر في المرآة ! كل ما دار بذهنها , كيف رسمها بهذه السرعة ؟!

كيف يكون لدى أي بشر ذاكره بصرية جباره بهذة الطريقة ! من يحتفظ بوجه لم يره إلا دقائق بسيطه ويرسمه بهذه الدقه , يمكنه فعل أي شيء مهما كان مستحيلاً !

أفرغ يحيى من طعامه فقالت له :

– ألف هنا يا جميل

– الله يهنيكي الحمد لله شبعت !

تذكرت للتو نفسها وهي صغيرة كانت لا تكف عن سؤال والديها : أين الله ؟! هل هو يرانا ؟! ماذا نفعل لكي يحبنا ؟! وكان والدها يصيح بها أحيانا ويقول : أنتِ طفله مزعجه لا تملين من الأسئلة !

ثم عادت من شرودها لتتابع بعينيها طفل في السادسة يعرف كل شيء مسبقاً , وكأنه حاسب آلي وتم تجهيزه بكل المعلومات و "الويندوز" الخاص به حتى يتعامل مع البشر مباشرة دون عناء !

– عارف إني بحب الرسم ؟!

قالتها سالي فإندهش , وشعرت هي بزهو كبير وهي تفتح أحد الأدراج وتخرج أوراق رسم كبيرة , شهق يحيى حينما رآها و كان يمسك اللوحات الصغيرة بحذر شديد , بمجرد أن إنتهت سالي حتى أمسك هاتفها المحمول و عرضت على يحيى بعض الصور التي أخذتها للوحاتها الكبيرة المُلونه في غرفتها !

لم يقاوم يحيى رغبته فقال بتسرع طفولي :

– عايز أتعلم أعمل لوحات كبيرة زي دي دلوقت !

– ده إنت اللي تعلمني !

إنتهزت سالي الفرصه و أجلسته بجانبها وهو يمسك أحد اللوحات و أخذت مجموعة صور "سيلفي"

كان يبدو فيها أنه سعيد للغاية و ينظر لها في كل مره كأنه يراها لأول مره !

– إيه اللي جابك هنا ؟!

– الرسم هوايه يا يحيى , إنما الطب ده مهنتي وبحبها ؟!

– إنتي عملتي كل ده في الرسم , عملتي إيه بالطب ؟!

سكتت ولم تعرف بماذا ترد نظرت إلى الأرض فوجدت صورة خطيبها السابق مُلقاه على الأرض , إلتقطتها فلما رآها يحيى قال ويبدو عليه الشفقه :

– لقيتها في كتاب الأمراض الجلدية

– ده كان مريض هنا ونسيت أرمي الصورة

– خف ؟!

قطّعت الصورة وألقتها في سلة القمامة الموضوعه وراءها وقالت :

– حالته صعبه و أمه قررت تعالجه بره

ضحك يحيى وقال :

– ودنه طويلة أوي يا عيني !

قهقهت سالي و قالت :

– أصل أمه صوتها عالي

ثم مرت لحظة صمت , فبادر يحيى وقال :

– إنتي بتحبي الرسم أكتر !

– عارف .. كنت بحلم يكون ليا جاليري على البحر .. أي بحر ..
مع إني كنت عايزه أطلع نجاره !

قالتها وهي تضحك فضحك يحيى ببراءة و قال :

– و إيه اللي يمنع إنك تعملي كده ؟!

داهمه دوار قوي فجأة وسكت عن الكلام وكاد يقع و يمزق اللوحه الصغيرة التي في يده , إنقبض قلبها و أجلسته على الكرسي و أسندت ظهره و خرجت من المكتب تنادي :

– د.فريد .. يحيى هنا .. حد ينادي د.فريد بسرعه !

نقل عدد من الممرضات يحيى إلى غرفة كبيرة في نفس الدور , غرفة مجهزة بالطبع , و هنا دخل هوفر لأول مره على مكان به يحيى ! كأن الزمن يعيد نفسه على طريقة الديجافو !

إقترب هوفر بخطوات سريعة لاهثه و لمس بيده وجه يحيى فوجد حرارته مرتفعه

– أريد خافض للحرارة حالاً

قالها بلكنته الألمانية و لم تفهم الممرضات ولا المترجم و لا د.فريد حتى أعادها هوفر بالإنجليزية , في دقيقتين أعطى ليحيى جرعه من الدواء و جلس بجانبه , و ظل يحلل و يكشف على كل أجزاء جسم يحيى و الأخير يتابع بلامبالاة , ظل هوفر يلاحظ و أحد تلامذته يسجل ما يقول بالحرف !

– بعد خمسة عشر دقيقة سأعطيه أول عقار أصفر !

و أخذ هوفر التقارير التي كُتبت عن يحيى في لحظات ميلاده الأولى و أخذ معه جهاز صغير أحضره معه من ألمانيا و ذهب مع الوفد الخاص به إلى مكتب فريد الذي يلازم هوفر كأنه تلميذ من ضمن تلامذته !

دخل د. مرزوق و معه حسين الذي إحتضن الطفل و قال :

– عقبال ما أقعد معاك لوحدنا هاتكون قدي ولا إيه !!

إنت كويس يا حبيبي ؟!! .. حاسس بإيه ؟!

بادر دكتور مرزوق بلهجة جديه وهو ينظر لساعته :

– يحيى داخل على الساعه التالته يا أستاذ حسين ..

يعني كسر السبع سنين !

– يعني إيه ؟!

– يعني دلوقت يُسأل ! علموهم من سبع !

إرتبك حسين و الطفل بين أحضانه , دخلت سالي وقد سمعت آخر ما قاله مرزوق فقالت له :

– يا دكتور أظن الحاله دي إستثناء زي المجنون وفاقد الأهليه ! سيبه لأهله الساعات اللي هايعيشها حتى !

لم يستطع مرزوق كتمان ما بداخله فقال :

– ده أعقل مني ومنك ! هاتودي الواد النار !!

– مين اللي بيحكم عليه بالنار دلوقت ؟!

أفلت يحيى من يد والده و أمسك قلم تركه هوفر و أخذ يحيى يرسم على الجدار شيئاً , إنتبه حسين وصاح فجأة :

– عيب يا بني !! .. إيه اللي بتعمله د.....

إتسعت عين حسين و إقترب من الرسم ! أخرج نظارته من جيبه وتلمس الجدار في ذهول تام وقال :

– لا يمكن !! ده لا يمكن أبداً !!

تسائلت سالي وهي تنظر لما رسمه يحيى على الجدار , كل ما إستوعبته أن الرسمه فرعونية بسيطه و بررت ذلك بأن والداه يعملان في الأثار و السياحة طوال عمرهما ! وبالتأكيد ورث منهم كم من المعلومات لكن ما المشكلة في الرسم ؟!

– موت !

قالها حسين وهو لا يحرك عينه عن الجدار , فقالت سالي :

– بعد الشر عنه !!

نظرت سالي بقلق ليحيى الذي يتثاءب , حتى أخذ حسين يفسّر :

– سُعاد زمانها فاقت ؟!

تطوع مرزوق وقال :

– غالباً

فقال حسين :

– يحيى عايز أمه !

فقالت سالي بفضول :

– إتفضلوا نروح لها ... بس هو قال لك إمتى ؟!

أشار حسين للجدار وقال :

– موت .. **Mut** .. إله فرعوني وكلمة معناها "أم" !
الكلمة دي إتحورت على مر الزمن وبقت **MOTHER**

فضلت سالي عدم الكلام إجلالاً للصدمه , قال لها حسين مخففاً عنها :

– على فكرة أنا مرشد سياحي يا دكتورة !

نظر مرزوق ليحيى بتعجب غير مصدق لما فعله , وكل ما جال بخاطر مرزوق :

– الله أكبر !! ... ده مش ها يُسأل !!!

■■■

كان زاهر يتقدم المسيرة في طرقة المستشفى , مسيرة صغيرة مكونه من سالي و يحي و حسين متجهين نحو غرفة سُعاد , كانت فاطمة تقف خارج الغرفة ويبدو عليها الإرهاق ما إن رأت حسين حتى قالت :

– إتصرف إنت يا أخويا !

ثم نظرت ليحيى وقالت وهي تشير له :

– هو ؟!

أومأ حسين برأسه , إحتضنت فاطمة إبن شقيقها و بكت , دخل حسين إلى سُعاد وهو يقاوم رغبة شديدة في الهروب من مواجهتها ! مهما كانت الأنثى مُنهكه فلن ينسيها التعب أسباب غضبها من زوجها !

وخيانته لها ! ...

دخل حسين وترك زاهر واقفاً أمام سالي و فاطمة اللتان تتحدثان بهمس , كل ما يدور في ذهن زاهر هو : لماذا أكرهك اليوم يا سالي ؟! ما ظننت أن يأتي هذا اليوم قط !

أجبرته ذاكرته على الإستسلام لومضات سريعه من ماضيه , شعر بغصه في حلقه حينما تذكر الموعد الذي إنتظر سالي فيه إحتفالاً بشفاءها من حادث بسيط تعرضت له , فوافقت و لم تأت ! إتصل بها فوجدها مع صديقاتها و نست موعده و إعتذرت بأسف مستفز ! و وعدته بموعد آخر !

تعلم يومها درساً ألا تعطي لأحدهم موعداً جديداً و أنت تعتذر عن الموعد الأول لأنك بذلك ستجعلك يكرهك مرتين !

بالرغم من كل ذلك مرت الأيام و أزالت ضحكاتها على نكاته كل ما كان في قلبه من غضب تجاهها , يرى ضحكتها بريئة و طفولية إلا إذا كانت لغيره !

– صح يا دكتور زاهر ؟!

قالتها سالي لزاهر فإبتسم و عاد من شروده و قال لها بعدما تذكر كلمة أو أكثر مما تحاورت بهم فاطمة وسالي :

– إن شاء الله ها يعيش ويبقى زي الفل !

دخل حسين الغرفة ليجد سعاد مستلقيه على السرير و يبدو عليها الإعياء , لم يصل إلى سمع سعاد أن حسين دخل الغرفه بعد وكأنها لم تستعيد وعيها كاملاً , كانت تتكلم معها إحدى الممرضات القصيرات

– يا جماعه خالد فين ؟!

قالتها سُعاد – جميلة الوجه , محافظة على نضارة بشرتها , شعرها البني القصير يجعلها أقرب إلى فنانات هوليوود القدامى , أو كما يقول عبد الله شقيقها أنها النسخة العربية من الممثلة الإيطالية جوليتا ماسينا !

عيناها زرقاوتان يلمعان طوال الوقت , أنفها الدقيق الذي يعتبر أبرز ملامح وجهها – سمعت الممرضة جملة سعاد فقالت :

– خالد مين يا حاجّه ؟! مش قولتوا خالد !

مخلفين عفريت اللهم إحفظنا !

– هو فين ؟!

– جوزك جه أهو هو يقولك , هو حد عارف لإبنك مكان ؟! ..خلصيني .. أربعين سنه صح ؟! عشان أعرف جرعة الدوا !!

قاومت سُعاد إعياءها وردت على الممرضة :

39 –

إنصرفت الممرضة وهي تُتمتم بسُباب خفي أتقنت التفوه به دون أن يميز أحد ما تقوله حتى لا تؤذى !

أشاحت سعاد بوجهها عن حسين الذي يقترب و كأنه تلميذ بليد يقترب من مدرسة وهو يعلم جيداً أنه راسب !

– حمد لله على سلامتك يا سوسو

سكتت لحظة مرت كأنها دهر ثم قالت :

– الله يسلمك .. خالد فين ؟!

– يحيى !

– مش متفقين نسميه خالد ؟!

– غصب عني والله ! دي قصة طويلة و كبرت ..أوي !

– طب عايزة أشوفه يا حسين !

– آه هاتشوفيه حاضر .. إنتي كويسة ؟!

– إبني فين يا حسين ؟!

سار حسين نحو الباب وهو يدعو الله أن تطول المسافة حتى الباب كبُعد المشرقين و المغربين , ولكن سبق السيف العزل , وفتح حسين الباب و أشار ليحيى بالدخول !

سرت الرهبه في دم يحيى وهو يحرك قدماه و يرى غرفة أمه منتظراً رؤيتها , حتى وقعت عينيه عليها تماماً كما توقعها قلبه ! يشعر أنه رآها من قبل ! .. يقسم داخل نفسه أنه رآها من قبل !

كان يرتدي قميص و بنطال قصير يناسبان طفل في الثامنة من العمر , شعره البُني زادت كثافته , و أثار أصابع يد سالي ما زالت تعمل على إبقاءه أنيقاً قدر الإمكان !

ما إن رأته سُعاد حتى صاحت بصوت منهك مبحوح :

– حمااااده !

نظر يحيى لحسين الذي قال لها بتعجب :

– حماده مين يا سوسو ؟!

– مش ده أحمد إبن فاطمة ؟! .. مش شايفه من هنا أصلي !
لا حماده أقصر من كده و بكرش .. مين الواد ده ؟!

تحولت نظراتها ليحيى إلى عتاب و إحتقار وقالت :

– هو ممدوح جه ؟! إنت ياسين ؟! يخرب عقلك !

آخر مره شوفتك كنت ...

– ده يحيى إبننا يا سعاد !

قالها حسين مقاطعاً إياها و ضارباً برد فعلها المتوقع عرض الحائط ! فكل ما يريده الآن هو المحافظة على ما تبقى من وقت في عمر يحيى ! و أن هناك عقار من الجحيم المجهول ينتظر هذا الفتى !

سكتت سعاد و بدأت تتنفس بعمق و تمط شفتيها وهي تنظر للسقف :

– إبني جرى له إيه يا بني آدم ؟!

– والله ده إبننا !

حاولت سعاد الإستناد على معصمها ونظرت لحسين وهي تشعر بألم فظيع في منطقة العملية :

– أنا كنت في كوما ؟! .. الحمار بتاع التخدير صح ؟!
أنا قلقت منه ساعتها أصله كان شبه بوب مارلي !

– سُعاد إنتي بتهرجي ؟! .. إحنا لسه يوم الولاده عادي !

إقترب حسين منها و جلس بجانبها وهي تنظر للولد الذي يحاول الإقتراب منها بحذر , وقال حسين :

– أنا عارف إن اللي هاقوله ده ما يتصدقش !

بس والله العظيم دي الحقيقية !

وقص عليها كل التفاصيل , وكل ما حدث ! و كل ما سيحدث , قاومت في البداية و حاول عقلها الدفاع ضد الصدمه بآليات الدفاع النفسي كعدم التصديق و السخرية و التسفيه من الأمر , حتى دخلت طور الإستسلام والإنصات ثم إنهارت فجأة و إنهمرت دموعها فبكى الفتى و إقترب منها و إحتضنها , كانت تعتصره , تقبض عليه بيديها وهي تحسب مدى خسائرها !
سبعة أشهر من إحتمال الألم ... و الوضع .. و القيصرية .. و سنوات الصبر .. وسيموت في نفس الليله !!

– جبتهولي ليه يا بني آدم ؟!

قالتها سعاد لحسين بصوت يملؤه الوجع , تحضن يحيى بشده و تنظر له و تقول له :

– أعمل إيه بس يا بني !

ثم نظرت لحسين وقالت فجأة :

– إطلع بره !

غادر حسين الغرفة و بدا عليه أثار الإهانة ! ضحكت فاطمة بشماته و شعرت بالإرتياح و قالت :

– عرفت ؟!

نظر للجميع شذراً وقال محاولاً حفظ ماء وجهه :

– محدش يخلش عليهم !

الواد بيرضع !

كتمت سالي ضحكتها الخجوله بينما فغر زاهر فاه وقال :

– ده إتفطم و أكل و شرب كمان !

فرد عليه حسين وكأنه مؤيداً :

– عشان سُعاد مش عشانه !

هزت سالي رأسها و أدركت ما يرنو إليه حسين , سحب حسين نفسه من بين الواقفين و أشعل سيجاره بالقرب من إحدى النوافذ و نظر للسماء متضرعاً و أغمض عينيه متمنياً أن يستيقظ من هذا الكابوس المجنون !

دقائق و خرج يحيى مودعاً أمه مؤقتاً , هرعت فاطمة إليها لتربط على قلبها , بينما مرزوق إنتزع يحيى من يد سالي و أخذه إلى مكتبه – مكتب مرزوق – و أجلسه وقال له :

– بص بقى يا بطل إنت مش عارف إن في ربنا ؟!

– آه

– مش عارف أبدأ منين الموضوع كبير ,, تعالى أخليك تتوضى
وهاعلمك حركه حركه عشان تصلي معايا !

بدأ يحيى يخلع حذاءه و يتابع مرزوق حركات يحيى حتى قال الأخير :

– القبله إزاي ؟!

– قبلة إيه ؟!

– إنت صليت الضحى ؟!

– يا مُبدع الأكوان !!

ضحك يحيى و قام ليتوضأ فقال مرزوق :

– أنا نفسي بدأت أصلي على كَبر ! .. ربنا جعل هدايتي على إيد شيخ !

– دانا مفكرك بدقن من زمان !

– مانا فعلاً بدقن من زمان ! اللي كان ناقصني الدين مش الدقن !

ذهب يحيى ليتوضأ وترك لمرزوق كم من الذكريات عبرت بحر خواطره و إحتلت ذهنه , الأصدقاء القدامى و حياة لاهيه لا معنى لها ولا مذاق ! أدخنه كثيرة ما زالت عالقه في ذاكرة أنفه , أدخنه تُذهب العقول و تذهب بالضمائر إلى مثواها الأخير !
صديقه المقرّب الذي لفظ أنفاسه الأخيرة بعد سباق الدراجات النارية المميت بينه وبين مرزوق و باقي الرفاق !

قطع تفكير مرزوق وقوف يحيى و إستعداده للصلاة , إبتسم مرزوق وقال :

– يا بختك يا عم ! إحنا إختبارنا سنين طويلة نتعرض لفتن و محن !
و إنت كل إختبارك يوم !

فكر يحيى قليلاً ثم قال وهو يمسك بسجادة الصلاة :

– و إنت بتستقل بيوم ؟! مين عارف هايحصل فيه إيه !

بالطبع كان مرزوق الإمام , شعر مرزوق بخفقان في قلبه كأنه يصلي لأول مره ! كأنه أدخل أحدهم للإسلام للتو و أنقذه من حافة النار كما يوقن هو بذلك !

إرتاح ضمير مرزوق كثيراً بعد تكبيرة الإحرام , يشعر وكأن مجره كامله من الذنوب قد تم محوها ! و على بعد سنتيمترات قليلة كانت قدم يحيى ترتجف , ترتعد أوصاله ! ربما لأن معرفته أقوى من معرفة كل من حوله في كل نواحي الحياة !

أول صلاة .. أول دعاء .. ولاده من جديد بلا شك !

إنتهى مرزوق من الصلاة هو ويحيى حتى سمعا صياح د.زاهر :

– يحيى .. معاد الحقنة !

قبّل مرزوق رأس يحيى وقال له :

– ما تخافش !

قرأ مروزق ملامح الرعب على وجه يحيى فربت على كتفه بشده , وتركه يغادر مع زاهر .

■■■

تريفاموجا - محمد شويطر

إرقص غنّي إضحك كركر

والدنيا دايماً غنيلها

إرقص غنّي إضحك كركر

و الدنيا دايماً غنيلها

و في أحزانك .. إوعى تفكر

و أهو زي ما ترسي دق لها

إسماعين يس – مونولوج من فيلم نور الدين و البحارة الثلاثة

تريفاميديا - محمد شويطر

الساعة الثالثة

10 ص

– آاااااااه

دوّت صرخة يحيى في أرجاء المستشفى تزامناً من إختراق العقار لأغوار جسمه الهزيل !

هذا السائل الأصفر اللعين على الرغم من صغر كميته إلا أنه عظيم التأثير ! حرائق جمه تم إشعالها في ذراعا يحيى و ساقيه و هنا في منطقة البطن و القفص الصدري ! دوار مخيف في الرأس و دموع تسيل دون توقف ! كان يحيى يتنفس ويشعر بحراره في أرنبة أنفه فصار الهواء الداخل و الخارج ساخناً !

أغلقت سالي أذنيها بيدها و شعرت بضيق شديد حتى إنخلع قلبها مع إنتهاء الصرخه ! ظنت أنه فارق الحياة !

فدخلت الغرفة حينها بعدما قررت الإكتفاء بالوقوف خارجها !

كان هوفر يقف ممسكاً بالحقنة وهي فارغه , يبدو عليه السعادة كأنه جندي أمريكي منتصر في الحرب العالمية الثانية و عائد للتو إلى الديار !

إستراح هوفر على الكرسي الأقرب له , طلب من المترجم كوباً من عصير الليمون !

كان الأطباء الألمان يدونون كل شيء يلاحظونه على يحيى أما فريد فإكتفى بهز رأسه و الإنصات إلى كلمات هوفر حينما يطلقها !

دق جرس هاتف فريد المحمول فإنتبه و قال بإحترام :

– معالي الوزير .. أنا راجع لحضرتك حالاً

طلب منه الوزير أن ينتظره و أنه قادم في الطرقه المؤدية للغرفة التي يرقد بها يحيى !

دخل وزير الصحه ليطمئن على حالة يحيى ودخل وراءه رجل يرتدي بذله سوداء فاخره , عرفه حسين بمجرد أن رآه في الطرقه و رحب به :

– معالي وزير الثقافة !!

قال زاهر في نفسه ما الذي جاء بوزير الثقافة إلى هنا ! حتى تذكر أن هناك وفد أجنبي و جاري الآن تبادل ثقافات وعقاقير بين مصر و ألمانيا فرحب به هو الآخر !

قدوم الوزراء دائماً ما يسبقه زحف كاميرات الإعلام و مارثون الصحفيين إلى المكان , كان أسفل المستشفى حشد لا بأس به من كل القنوات و مراسلي البرامج و عدد من الصحفيين المخضرمين الذين يحصلون على معلومات لا نعلمها نحن عن أنفسنا !

أمام الغرفة 225 جلست ممرضتان يبدو عليهما القلق و ينظران إلى باب الغرفة و تقول إحداهما :

– ربنا يستر .. بقى عصبي أوي !

– دلوقت يسمع الدوشه اللي تحت و يهدل الدنيا !

– مش عارفه دكتور فريد عامل له حساب أوي كده ليه !

– إنتي مش من هنا ولا إيه يا بت ؟ لعيبة الكورة أهم من دكاترة المستشفى دي نفسهم !

سمعت الممرضتان جرس قادم من الغرفة فقامتا و إستعدوا للدخول و نيل سيل من السباب لن ينتهي قريباً .

على الجانب الآخر كانت نرجس تجلس في غرفة سُعاد وتشاهد معها مسلسل "لن أعيش في جلباب أبي" , المره التاسعة التي تشاهده فيها سُعاد بينما هي التاسعة عشر لنرجس !

ومع تبديل القنوات إستوقف نرجس خبر عاجل من أمام المستشفى فإنتبهت سُعاد وجددت المذيعة تحكي عن قصة طفلها و تفاصيل الحاله , ولكن المذيعة اللامعة مُصره على أن الطفل لم يحظى بإسم بعد !

– قولنا خالد !

قالتها سُعاد بيأس ساخرة , ثم إستسلمت لحكاية من حكايات نرجس الثرثارة , أما فاطمة فذهبت لإحضار الطعام إلى الأم المكلومه على ولدها !

أمسكت سُعاد هاتفها المحمول بيد مرتعشه و إتصلت برقم حسين .. وبمجرد أن رد قالت :

– تيجي فين مفيش وقت ! .. خد الواد يا حسين بره المستشفى !

فرجه على الدنيا .. هاسامحك والله ساعتها لو خليته ينبسط !

رجعه في معاد كل حقنه ويشوفني ويمشي تاني غير كده .. خليه يعيش حياته بجد !

■■■

يطرق يحيى باب مكتب سالي فتفتح له وترحب به

– أنا ماشي !

قالها بصوته الطفولي المتقطع كأنه لا يريد تركها , لا تعرف سالي لما إنخطف قلبها فجأة مع الخبر

– تمشي فين ؟!

– بابا مستنيني بره بيقول هانخرج ونتفسّح !

– الدكتور الأجنبي اللي إدالك الحقنة عرف ؟!

أشاح يحيى بيده وقال :

– وفرح أوي !

ضحكت سالي وقالت :

– تمام كده يعني هاترجع في معاد الحقنه !

خطرت ببالها فكرة فطلبت منه الإنتظار و ذهبت إلى مكتبها و أشارت له بالإقتراب , أعطته هاتفها المحمول الإحتياطي الذي تضعه تحسباً للظروف , أمسك يحيى الهاتف بفرح طفولي فقالت له :

– هاكلمك عليه ... هاتظهر صورة سماعه خضره زي دي .. دوس عليها و كلمني !

– فيه باقة إنترنت !!

تسمرت عيناها عليه وهو يعبث بالهاتف ومحتوياته فقالت ساخرة :

– باقة واحد جيجا !

لمعت عينه فجأة وقال وهو ينظر لشاشة الهاتف :

– صورة أبو ودان طويلة هنا أهو !

إرتبكت و أخذت الهاتف و محت كل الصور وقالت له :

– حطه في جيبك .. و خد بالك من نفسك

– و إنتي كمان يا .. سالي !

إستدار و إستعد للذهاب فصاحت :

– إستنى !

خلعت ساعة يدها الجلدية و وضعتها في يده وقالت :

– الحقنة الساعه 12 ! .. هاستناك !

يلمس يحيى الساعه وهي تلتف حول معصمه و شعر بأن جزء من سالي سيرافقه حتى يعود !
لماذا يرتاح لوجودها ؟! لا يعرف لهذا السؤال أي إجابة معينه سوى أنها سالي !

غاب عن نظر سالي حتى إختفى في أحضان حسين الذي أشار لها من بعيد ثم سارا إلى خارج المستشفى !

نظرت سالي من النافذة فوجدت يحيى يسير في الحديقة الخارجية وسط الحراسة الأمنية المشدده و الحشد الإعلام المحجوب بطوق أمني فولاذي , كان يحيى يتابع بنظره ويلتهم كل ما تراه عينه من جمال الطبيعة و السماء و الجمال الأخضر الذي يكسو المكان و يراه لأول مره !

تنزل أشعة الشمس على جسمه فتلسعه حرارتها و يا لجمال تلك القشعريرة المؤلمة مع كل صباح !

بدأ يتذكر الألوان اللانهائية التي تحملها ذاكرته ومخيلته ! الآن يستطيع رسم سالي بالألوان وهو يعرفها و يشعر بمذاق كل لون منها !

توقف فضول يحيى و نظراته للأفق حينما إشتد الحاجز الأمني و الضغط , بدى عليه الذعر , حمله حسين و شق الطريق في حراسة أحد الضباط و أفسح له الجميع الطريق مما يوحي بأن أوامر د.فريد صدرت و أعطى للواقفين الضوء الأخضر !!

على بعد أمتار من المستشفى يقع سوبرماركت , دخل حسين و معه يحيى , كان ينظر بعض الناس ليحيى و يمسحون على رأسه و يداعبونه فظن أنها طبيعة الناس في مصر !

كان حسين يهز رأسه لكل من ينظر له مجاملةً و تاره أخرى يحمد الله على كل حال حينما يرى الشفقه في كلام أحدهم وهو ينظر إلى يحيى !

إقترب يحيى من ثلاجة الآيس كريم فأشار له حسين على نوع معين و انه يحبه بصفه خاصة !

إلتقط يحيى آخر قطعه متبقيه , بمجرد أن إلتفت حسين ليسأل عن قطعه أخرى من هذا النوع و عاد وجد يحيى قد إلتهم القطعه الوحيده

– ألف هنا يا بطل !

قالها حسين ضاحكاً ثم إشترى بعض الحلوى ليحيى و حاسب على القطعه التي إستقرت في معدة يحيى بسلام و إنصرفا

■■■

أغلق مرزوق ملف طبي عن أحد الحالات كان موضوعاً أمامه و أزاح الملف بعصبيه , قام ليدور في مكتبه بحثاً عن شيء يلهيه و يغير مجرى تفكيره دون جدوى ! عبث بلحيته الخشنه و إستسلم لرغبته في الذهاب إلى مكتب سالي .

وجد الباب مفتوحاً و وجدها تستمع إلى بعض الأغاني

– إقفلي البتاع ده !

لم تسمعه بسبب سماعات رأسها فطرق على مكتبها الخشبي بقوة فأفزعها و خلعت السماعات لتجده يقول

– إزاي تسيبوا يحيى يخرج بره المستشفى ؟!

في خطر على صحته ؟!

– إنت اللي إزاي تدخل مكتبي بالهمجية دي ؟!

– آسف ! ... بس أعتقد حياة الغلبان ده تهمك !

أمسكت سماعات رأسها و قالت بصوت منخفض ساخر :

– خرج مع أبوه و هايرجع كمان شوية !

معاه مِحرم يعني ما تقلقش !

إمتعض وجه مرزوق وغادر المكتب وهو يصب لعناته عليها و بعدكم لا بأس به من الدعوات توقف و طلب لها الهداية .

على أحد مقاهي الدقي الأقرب للروح الشعبية , جلس حسين و بجواره يحيى و أوقف حسين سيارته التي إبتاعها بالتقسيط بعد أن باع سيارته المتهالكه منذ عامين , كان يحيى ينظر في كل شيء !

أخبره والده بكل شيء يخص هذا المكان و أنه إعتاد الجلوس على هذا المقهى منذ عهد الشباب , و حكى له بإختصار عن ملوك هذا المكان الذين حفروا أساميهم بحروف زرقاء على المقاعد !

صوت لعب الطاولة و الدومينو لا ينقطع , صياح "مسعود" القهوجي و معه صياح المهزومين في شتى الألعاب ! هناك رجل يشتكي من غلاء المعيشة وهنا رجل يشتكي من شكوة زوجته منه !

شيوخ تخطوا سن المعاش و أطفال نجحوا في الفرار من المدارس ومراهقين ينتظرون بعضهم ليذهبوا في جولاتهم اليومية !

رائحة النرجيله "والتفاح" المختلطه بأطيب روائح النعناع و المشروبات التي لا تقدر على إحصاءها منظمة العد و الإحصاء , كل هذا سحر الصبي الصغير الذي قارب قميصه على الإنفجار من كبر حجم جسمة مع مرور

الوقت مؤخراً , ذهب حسين إلى السيارة التي ألهبت الشمس حرارة كل شيء فيها , و أحضر ملابس يحيى التي تناسبه الآن و أخذه إلى مكان خلف الأستار في المقهى ليغير ملابسه !

لأنه كانت هناك مباراة أوشكت على الإنتهاء لم ير أحد من الجالسين الأخبار ولم يعرف أحد بقصة يحيى ولا شكله فحمد حسين الله ألف مره .

إقترب شاب ثلاثيني يفوح منه عطر شديد الجمال و القوة , يرتدي قميص شبابي و بنطال أسود , سحب كرسياً وقال مبتهجاً :

– عندي ليكم عرض شركتنا !

أشاح حسين بيده في إشارة منه إلى الشاب المتطفل ليغادر الطاولة فوراً , فضحك الشاب وقال :

– إنت صدقت ! يا عم أنا بشوفك هنا كتير !

فاكر يوم عيد ميلادك اللي فات ؟!

إسترجع حسين ذاكرته فصاح فجأة :

– مغاااوري !! آه يا ندل !

ضحك الصبي في إنتظار معرفة من هو مغاوري , فحكى مغاوري للصبي أن والده كان يجلس في عيد ميلاده الماضي حزيناً لأن زوجته تشاجرت معه , كان حسين يوكز مغاوري بيده بخفه ولكن الأخير لم يتوقف !

– إبنك يا عم حسين ؟!

– آه

– ما شاء الله عنده كام سنه ؟!

حكى حسين الحكاية لمغاوري فضحك في البداية و ظن أن حسين يتلاعب به و لكنه إقتنع بعدما تأكد من هاتفه المحمول عندما بحث عن الخبر ! فمغاوري لا يصدق أحد إلا حبيبته التي فسخت الخطوبة معه ثلاث مرات ثم عادت و يوقن مغاوري أنها تحبه وتراه توم كروز في أفلامه الأولى .

أجهش مغاوري بالبكاء وهو يقول :

– عيني على اللي جه الدنيا و ما إستناش

هايفرق إيه حياته من خلده !

الكل مفارق بس القليل عاش

عِشِق الحياة رغم إنه مات بردو !

فغر يحيى فاه من سرعة بديهة مغاوري و تضايق حسين كل الضيق ولكنه مدح في أشعار مغاوري قهراً

أدار مسعود أغنية " آه لو لعبت يا زهر " فهلل البعض و صاح رجل طاعن في السن رافضاً تشغيل الأغاني إحتراماً لأربعين صديقة و رفيقه في المقهى ولكن أحداً لم يسمعه !

كان صوت الغناء يفوق طبقة صوته المتهالكه بمراحل ! دائماً يتفوق عنفوان الشباب لأنه يحب الحياة ويأتي منها !

غادر الرجل المُسن وهو يسب المقهى و رواده و يقسم أنه لن يعود لو تذكر غداً ما حدث له بالأمس !

وهذا الرجل لم يتذكر اليوم أنه أقسم بالأمس لنفس السبب ! .

– أنا عايز أتعلم الشعر !

قالها يحيى سائلاً مغاوري الذي بدى عليه الفخر و قطع حسين الحديث :

– إلعبوا دومينو أفيد !

جاءت الدومينو و معها هزائم لا حصر لها نالها مغاوري الذي لم يهزم من عام 2011 كما يزعم !

مع كل مره كان يزيد إنفعال مغاوري و تعجبه من قدرات يحيى الحسابية ! تعلم اللعبه في ثلاث دقائق و سحق مغاوري في وقت إعجازي كأنه إينشتاين !

كان حسين يتابع براءة و فرحة يحيى وهو يحتفل بكل إنتصار و يتمزق قلبه كلما نظر إلى الساعه !

كان يحيى ينظر في الساعه كثيراً فسأله حسين من أين له بها ؟! فأخبره يحيى بأنها من د.سالي !

مع مرور الدقائق على المقهى يتحرك شعر يحيى و تزيد كثافته و لكن الملحوظ بشكل جلي هو جسمه الذي يفور لولا أن قميصه الأخير كان أكبر من حجمه حينها لتحركت كاميرات رواد المقهى فوراً !

جاءت سيدة عجوز ستينيه ترتدي ملابس بسيطه تطلب من يحيى بصفته أصغر الجالسين أن يبتاع لها أرغفة الخبز من الفرن الذي يبعد عن المقهى أمتار قليلة !

رفض حسين فنعتته العجوز بالرجل قاسي القلب متحجر العقل ملعون ! شعر يحيى بالرهبه خوفاً من دعوات العجوز فوافق

– يابني إستنى .. إنت مش فاهم !

قالها حسين و نظر له مغاوري نظره تعني "هل ستتركه حقاً ؟! " , دون جدوى ذهب يحيى و ترجل مع السيدة حتى وجد طابور مُبهر و صف عشوائي من الرجال و النساء !

– هنا ؟!

قالها يحيى والشمس تلفح شعره البُني و مقدمة رأسه قاربت على درجة الغليان , أومأت العجوز وهي تربت على كتفه :

– ربنا يبارك فيك يا حبيبي ويديك الصحه !

دخل يحي متأففاً من كم الروائح و كمية العرق المقززه , بعد مرور دقائق قليلة , سمع يحيى صوت حسين ينتشله من يأسه و ساعدته قوته الناتجة عن العقار الأصفر المُكون من كم لا بأس به من الفيتامينات النادرة , خرج من الطابور خالي الوفاض مطأطأ الرأس , أعطى حسين السيدة أضعاف ثمن الخبز و طلب منها العفو عن ولده ! فتفضلت عليه و إنصرفت و أسمعته دعوات متقطعه من صوت مبحوح مُنهك .

عاد حسين وهو يمسك يد يحيى فضحك مغاوري وقال له :

– ما تسيب إيده يا عمنا الواد كبر !

جلس يحيى و مد يده ليشرب من كوب الشاي فزجره حسين فجأة :

– يا بني الشاي يسهرك ! إنت حر !

فكّر حسين في ما قاله وشعر بالأسف بينما إستوعب مغاوري و يحيى الكلام و إنفجرا فجأة في الضحك فضحك معهما حسين و أشار ليحيى لكي يشرب كما يحلو له !

■■■

كان ينظر يحيى ليد والده التي تقود السيارة و إلى قدماه كيف يحركهما و متى يفعل كل حركة !
ويسجل كل ذلك في عقله بسرعه جنونية , أثناء الطريق لمنزل حسين بالدقي حكى حسين عن مغاوري الذي كان زهرة شباب المقهى منذ أن كان طالباً في كلية العلوم ! و لكن إنحدر به الحال بعد وفاة والده الذي لم يترك له معاش أو أموال تعينه على الحياة في هذا العصر السعيد !

– أمال بيشتغل إيه ؟!

تسائل يحيى فرد حسين بحزن :

– مؤلف أغاني للأفراح الشعبية

ثم قال ضاحكاً :

– بيقبض أحسن مني إبن المحظوظة !

ضحك يحيى و عاد إلى النافذة ليتابع المنازل و المحال وهي تمر مروراً سريعاً , هذا كنتاكي و هذا وينبي و هذا .. منزلنا !

منزل قديم في حي راقي من أحياء الدقي التي ما زالت تحتفظ بسمعتها و بهاءها , أوقف حسين سيارته أمام المبنى كما يفعل كل يوم , وكما توقع حسين جاء "صبحي" حارس العقار المكير القصير مُهللاً

– يا مليون حمد الله على السلامة يا حسين باشا !

– الله يسلمك يا صبحي .. خد

وضع حسين حفنه من النقود من فئة العشر جنيهات في يد صبحي إحتفالاً بالمولود الجديد , إعتاد حسين على هذه الحيلة ! فطمع صبحي لا يقبل بمائة جنية في ورقه واحده ! لكن يملء عينه خمس أوراق من فئة العشرين جنيهاً !

– يتربى في عزكوا يا باشا .. المحروس سميتوه إيه ؟!

نزل يحيى من السيارة و جاء بالقرب من حسين الذي وضع يده على كتفه وقال :

– سميناه يحيى !

نظر صبحي ليحيى و إبتسم و قال وهو يعد النقود :

– يا 100 ألف مبروك .. عقبال ما ينور البيت بالسلامة

– أنا يحيى !

إتسعت عين صبحي و كاد أن يسعل من المفاجآة الغير منطقيه و التي لا يصدقها أي مخرج هندي ما زال يحتفظ بمخيلة الصبى

– بردو ؟!

قالها صبحي محاولاً إنكار ما يدور بخلده فأجهز حسين على ما تبقى من تفكير لدى صبحى :

– الموضوع كبير روح هاتلنا شوية طلبات و طلعهم و إتفرج على الأخبار و إنت تفهم !

صعد يحيى و حسين إلى شقته في الدور الثالث , قابل يحيى الذي يناهز عمره الآن تقريباً الحادية عشر من العمر , تصادف وقوفهم أمام باب الشقه مع نزول "مس أنجيل" العشرينية فائقة الجمال ذات العطر المتجدد سحره , مدرّسة اللغة الفرنسية التي تقيم مع والديها في نفس المبنى , لم يزحزح يحيى مقلتا عينه من على إنجيل , كان يرى شفاهها تتحرك بطريقة أنثوية ساحره ! و لكنه لم يسمع صوتها بإرادته !

كان يسمع صوت عقله الباطن الذي يُقسم له بأن العقار الأحمر سيجعله يحيا الباقي من عمره و أنه سيتوقف في مثل عمر إنجيل و يعيش حتى الخمسين من عمره بجوارها !

وسوف ينجب منها كل عام ولداً لا محاله ! و ...

– يحيى ! أووه !!

قالتها إنجيل وعيناها ترسل الدموع إلى أسفل وجهها دون إنقطاع , ادرك أنها عرفت الحقيقة , إكتفى بالإبتسام و هز الرأس , بعد ثواني داعبت شعره بأصابعها فتركت أثر عطرها فيه , قبّلته في وجنتيه و إنصرفت , تذكر يحيى سالي فجأة ثم غابت عن مخيلته و تمنى أن يتوقف الزمن مع نشوته الحالية !

– هي عندها كام سنة بظبط ؟!

قالها يحيى لحسين الذي رد ساخراً :

– و أنا هاعرف منين ! يا يحيى الست عمرها ما تقول عمرها !

دخل حسين الشقه وبمجرد أن فتح الباب تعثر يحيى في خطابات خاصه بالبنك كانت على الأرض تركها ساعي البريد الوغد الذي يعتبره حسين نذير شوؤم و سفير جهنم !

جرى يحيى و ترك والده يحمل الخطابات , جرى يحيى نحو الشرفه ليشاهد إنجيل وهي تركب سيارتها الرقيقة الصغيرة من أمام المبنى , للحظة تمنى أن يبقى في هذا العالم ليشاهد هذا المنظر كل يوم !

ولو مجرد المشاهد ! هذا يكفي عاطفته و سروره ! .. نظر في الساعه فشكر الله على نعمة سالي على أنها أفضل الخيارات المتاحه في الوقت المتبقي !

عاد لوالده فأخبره حسين أن هذه الخطابات روتينيه من البنك تذكره بأنه يجب عليه سداد الديون , كلما نقص حجم الديون كلما قلت الفائدة عليها و زال الخطر سريعاً !

كل ليلة يبقى السؤال الوجودي الذي لا إجابة عليه في رأس حسين وسعاد : فيما صُرفت كل هذه الديون ؟!

– يعني ممكن تتسجن يا بابا !!

قالها يحيى وهو يقف أمام حسين , فضمه الأخير و فرح قلبه بكلمة "بابا" , فهو لم يسمع سواها من الأساس , لم يتوقف قلب يحيى عن التفكير وتسارعت دقاته , نظر بعينه على خطابات البنك اللعينه متمنياً أن تتوقف .

■■■

أشعل حسين سيجارته بعد أن أعد فنجاناً من القهوة المميزة غالية الثمن , كان يحيى يقف أمام شيئاً ضخماً مكوّن من مجموعة أخشاب و ألواح زجاجية وبداخله عدد لا حصر له من الأطباق و الصحون و الأكواب و الكؤوس المُحرم خروجهم من هذا المكان , فتح يحيى باب هذا الشيء و أمسك كوباً كبيراً عتيقاً ما إن رآه حسين حتى صاح وقال :

– حاسب النيش !

تعجب يحيى من قلق والده فأخبره بأن هذا "النيش" من علامات أي منزل مصري أصل , يحتوي على أشياء زجاجية تراثية يتم شراءها بأسعار مرتفعه , يرجع بعضها إلى زمن الأجداد !

– دي كوباية جدتك ثريا !

قالها حسين و حكى لولده عن جدته ثريا طيبة القلب التي شاب شعر رأسها , حكى له عن تناقض ملامح وجهها الذي ينم عن حكمة بالغه و صرامه خفيه و وصف له ملابسها الأنيقه التي ما زالت تهتم بتناسق ألوانها حتى الآن !

هذه العجوز التي تحمل من التناقضات ما يكفي للإنبهار بشخصيتها ! دائماً ما تصيب نصيحتها و تنقذ أحباءها ! تحزن حينما ترى قطاً جريح على قارعة الطريق و تبكي بالدموع عليه وهي ترتدي فراء مصنوع من جلد حيوان آخر !

– دي كانت أوضتك يا سيدي

قالها حسين وهو يُدخل يحيى غرفة صغيرة جميلة , تعج بالألوان و الدُمى و الألعاب البلاستيكية الناطقة و الصارخه , دخل يحيى وهو يتفحص الغرفة بقلب طفل في عهد البراءة , أمسك ببعض الألعاب و وسائد السرير الصغير الذي لم يعد يناسب حجمه الآن !

يقطع تفكير يحيى صياح الصبيان أسفل شرفة المنزل فبدى عليه الفزع , طمأنه حسين بأنهم يلعبون لعبة تسمى كرة القدم ! نسخة الشوارع !

جرى يحيى بحماس و فضول شديدين و ألقى على الصبيان نظره طويلة , بينما حسين كان يقف و يتابع بعينه عين إبنه الشغوفه إلى اللعب و الحركة

– عايز تلعب معاهم ؟!

هكذا عرض حسين على يحيى الذي قبل العرض بحماس شديد ! , حذره حسين من التمادي في اللعب و نسيان خطورة مرور السيارات و خطورة الإحتكاك العنيف من زملاءه فإستوعب يحيى ذلك , و ركض على السُلم كأنها يطير بجناحين غير مرئيين , مر في طريقة على صبحى حارس العقار الذي يتمتم ببعض الآيات كلما رآى يحيى .

وافق اللاعبين على إنضمام يحيى , ففرح بشده , وكان ينظر إلى الشرفه حيث يقف حسين الذي تخلص من عبء قميصه و إختار تشجيع إبنه بالفانله البيضاء الداخلية كأي أب مصري يجلس في منزله في هذا الجو الحار .

عانى يحيى أول الأمر بشده من عدم إتقانه في اللعبه , كان يتعثر و يسقط ! شعر بدوار خفيف سرعان ما رحل مع نشوة اللعب و حماس الطفولة المُعدي , مع كل سقطه كان ينخلع قلب حسين , بعض الجروح الحارقه في ذراع يحيى نتيجة السقوط سببها الإحتكاك بالأسفلت , كان يشعر بمتعه في النهوض كلما سقط على الرغم من ضحك الأطفال من أخطاءه فإغتاظ , وطلب من أحد اللاعبين أن يعلمه كيف تُلعب هذه اللعبه ! ومن هو رونالدينهو الذي يحمل أحد اللاعبين قميص أصفر بإسمه ! فأخرج الفتى هاتفه المحمول و عرض على يحيى مقطع لمهارات رونالدينهو و كريستيانو رونالدو , إنجذب يحيى للأخير و إحتفظ في ذاكرته و طبع حركات القدم و المراوغه !

ثم عاد إلى ساحة اللعب فإبهر الرفاق جميعهم بما فيهم الفتى الذي عرض عليه المقاطع ففغر فاه و أخذ يسجل ليحيى مقطع فيديو جديد !

كان يتذكر الحركه في رأسه وينفذها بدقه متناهيه ! وقوة جسمانية إكتسبها مع دخول سائل العقار الأصفر إلى شرايينه , كان يطرح هذا أرضاً و يجعل من هذا الصبي أضحوكة و يغيظ حارس المرمي بمراوغه على طريقة الكبار !

ذاكرة أي طفل طبيعي تكون في أفضل حالاتها في العشر سنوات الأوائل , يمكنك تحفيظة المصحف كاملاً و قاموس مصطلحات عاميه و عدة لغات , فما بالك بشخص وُلد بعقل مُحمل بخبرات ومعلومات إنسانية و خلايا المخ مُحفزه بشكل هائل ! زد فوق كل ذلك .. الشغف ! للحياة و للتجربة !

كان يضحك و يلعب و يشتم رائحة المغامرة التي يعرفها كل طفل عاشق لكرة الشارع جيداً .

كان حسين يتابع التطور المذهل لقدرات إبنه ! ويشعر بغصه في قلبه سرعان ما يمحوها الفرح المؤقت !

وصل إلى حاله من الألم أربكته ! لم يعد يعرف أيهما المُخدّر أكثر الفرحه المؤقته أم الأمل الكاذب ؟!
جلس حسين على كرسيه في الشرفه ونظر إلى أكواب و بقايا طعام تركها هو وسعاد من الأمس حينما جاءها الطلق و حملها إلى المستشفى !

على الجانب الآخر كان د.هوفر منهمك في دراسة بيانات الحاله , ينظر بين اللحظة و الأخرى في ساعته يشعر تاره بأن الوقت يمر ببطء شديد حينما يريد رؤية يحيى و إلى ماذا وصل شكله الآن ! وتاره يشعر أن الوقت يمر كالبرق حينما يتذكر أن عمر يحيى الجسدي ينقضي مع دقات الساعة القاسية الغير مباليه !

بينما كانت سالي تُحرك هاتفها على الطاوله منتظره إتصالاً من رقمها "الإحتياطي" ولكن دون جدوى , حاولت إشغال نفسها في أي شيء فلم تجد أي شيء سوى الذي تفكر فيه مثل أي أنثى !

■■■

Buddy you're a boy make a big noise

Play in the street gonna be a big man someday

You got mud on your face

You disgrace

Kicking your can all over the place

"we will We will Rock you"

Britney Spears – we will rock you

الساعة الرابعة

11 ص

جلس يحيى أمام اللاب توب الخاص بوالده بعدما غسل وجهه من أثر الغبار و اللعب , شعر بالجوع فأعد له حسين شطيره من الجبن الرومي التي أبدى يحيى إعجابه بها , ظل يبحث على اللاب توب عن أشياء متفرقه في كل نواحي الحياة و أعجبه أشعار الأبنودي وصلاح جاهين للغاية , دندن يحيى بصوت غير مسموع :

– بس خلاص أنا نفسي إتسدت .. بعد ما إيدي ..

و قام بتشغيل الأغنية على اللاب توب فجاء حسين من الشرفه ونظر له وقال :

– إيه اللي إنت مشغله ده يا إبني ؟!

– أمال أسمع إيه ؟!

– يا سلام ! إسمع أم كلثوم و إتسلطن !

– أم كلثوم .. طب قول لي إسم أغنية بتحبها ليها

في نفس اللحظة دق جرس هاتف حسين المحمول فبدى عليه السعاده و كأنه ينتظر هذا الإتصال منذ فترة , أجاب على الهاتف وقال وهو ينظر ليحيى :

– أيوا .. أيوا

ودخل حسين إلى الشرفه و وضع يحيى سماعات الرأس ليستمع إلى الأغنية , بينما كان يقول حسين لمن معه على الهاتف :

– غصب عني والله يا هاله ! .. إسمعيني بس ! إنتي شوفتي الأخبار ؟!

كانت المتحدثه هي هاله زميلته في شركة السياحة , إمرأة عشرينية العمر مُطلقه , ليست في جمال سعاد بالطبع لكنها تحمل كم غير معقول من الدلال و بداخلها مليون سر يجعل الرجال ينجذبون إليها !

حكى حسين لهاله حالة يحيى و أنه حزين لأجله , شعرت بالأسف و إنحدرت المكالمة من الثرثرة إلى الفتور و كأن المشاعر نضبت عدا الشعور بالآسف .

للحب الحقيقي مراحل إختبرها و مر بها الجميع أما الحب الذي يعيش في الظل و يقاوم الظهور للنور فمراحله مختلفه و قصيرة و متقلبه , بدأ حسين بالتقرب لهاله عن طريق إبنتها التي تحتاج إلى أب يحبها و يرعاها ! ثم إنتقل إلى مرحة القرار و حرق جميع السفن التي ستعود به إلى الوراء ! و إلى علاقته الطبيعية و إخلاصه لزوجته التي تحولت إلى رمز للشجون و الهموم بسبب تأخر الإنجاب ! , كانت هاله في نفس الوقت تتألق في عينيه دائماً المرآة المطلقه أجمل من المتزوجة ! لم يصل أحد العلماء إلى يومنا هذا إلى تفسير واضح أو يهتدي إلى مبرر علمي سوى أنها غريزة الأنوثة و الرغبة في الأفضلية و إثبات الذات !

مع فتور المكالمة إزداد شعور حسين بالندم على تماديه في العلاقة مع هالة خاصة بعد رؤيته ليحيى الجالس هناك ! نحن نتغزّل في من نحب كالأطفال و حينما يمر الوقت و تزداد الخلافات و يرتفع سقف المطالب و تسقط الأقنعة كلها و يزول العمى الذي يسببه الحب نحتقر أنفسنا !

ونندم على كل حرف غازلنا به المحبوب ! ونتسائل : كيف وصلنا إلى هذه الدرجة ؟! ماذا داهاني لأحبه في الماضي و ماذا دهاني الآن لأكرهه لهذه الدرجة ؟!

أغلق حسين الهاتف وهو يعد هاله بلقاء قريب لأنه يفتقدها وطلب منها الدعاء ليحيى , بمجرد أن إستدار و عاد إلى الصالة التي يجلس فيها يحيى على اللاب توب حتى وجد يحيى يضع سماعات الرأس ويرقص بطريقة هيستيرية و يغني :

– أيوا أيوا .. غنوا معايا .. هلا هلا .. ما في أحلى مالحياة

ما في أي معلومات ..

لمح يحيى والده فقال بحماس :

– أم كلثوم دي خطيرة !!

لم ينطق حسين و قرر الإقتراب ليفهم ماذا يجري وماذا يسمع إبنه , نزع "بن" السماعات من اللاب توب ليدوي في الصالة صوت دارين في أغنية أيوا أيوا !

لم يتمالك حسين نفسه من الضحك وجلس على الأريكه بالقرب من يحيى

– يخرب عقلك يا يحيى !!

و إنتهز حسين الفرصة و الأغنية التي ما زالت تدور حتى قام ورقص مع إبنه مستمتعاً لحظة ذهبية تحتفظ بها الذاكرة للأبد !

– إنت لازم تسمع أم كلثوم بجد !

قالها حسين و إختار أغنية "سيرة الحب" , بدأ العزف و الموسيقى

– إسمع الطرب الأصيل !

– هي أم كلثوم اللي بتعزف يا بابا ؟!

قالها يحيى وهو يضع يده على خده الأيمن , ثم نظر في السقف متأملاً تناسق الزخرفه مع وضع الثريا المضيئة , حتى طال به الإنتظار وقال بعد عدة دقائق :

– أنا كده عمري يادوب يخلص في أغنيتين أم كلثوم !

ضحك حسين ساخراً سرعان ما إنقبض قلبه بعدما إستوعب فكرة إنقضاء عمر ولده في هذا اليوم !

– إيه رأيك نزور خالك عبد الله ؟!

– يا ريت !

– طب قوم غير هدومك بحاجة أوسع !

طار يحيى ليبدل ملابسه و إرتدى ملابس تناسب حجمه الحالي الذي يوحي بأنه مراهق تخطى الرابعة عشر !

أثناء إرتداء يحيى لمح بعينه نظارة شمسية خاصة بحسين , أخذت تلابيب عقله , فخرج مرتدياً إياها ,

شد ما إنبهر حسين بهيئة والده ! كان جميلاً و يمتلء بالحيوية و الشباب و الوسامه !

ساخرة هي الحياة ! .. أحيانا تقذفنا بأكثر مما كنا نتمنى من الله ! .. و تعمينا المفاجآة فنأمن مكر الحياة !

ذهب حسين ليرتدي قميصاً آخر غير الذي أهلكته الساعات الأخيرة , بينما أخذ يحيى ورقه وقلم كانا بجوار اللاب توب و كتب بطريقة عشوائية ما يجول بصدره :

"يمكن و يمكن !

أي شيءفي الدنيا ممكن !

بس حاول !!

قوم وجرّب

و إوعى تهرب

اللي قال لك .. إن الفرصة راح تجيلك .. مره واحده

ضحك عليك !

الفرصة أصلاً .. إنت اللي بتصنعها بإيديك !

عيب عليك !

تقعد حزين

وتفوت سنين

و إنت لسه لم تحاول ؟!

إوعى تهرب مالحقيقة

وحتى لو عمرك دقيقة

عيشها يا صاحبي للنهاية !

كلنا في النهاية

هانعيش نفس النهاية

بس نفضل

بردو نسأل

لو رجع العمر بينا

هانكرر نفس الحكاية ؟!

ولا يمكن ؟! "

■■■

– إن شالله تكون كويس يا يحيى بيه ؟!

قالتها سالي في الهاتف المحمول وهي تجلس بجوار سُعاد في غرفتها , تبتسم سُعاد وتنظر لسالي وتتعجب من طريقة كلامها ليحيى كأن سالي الأم وليست هي !

ضحك يحيى و قال وهو في السيارة بجوار والده متجهين إلى خاله عبد الله :

– الحمد لله مبسوط أوي ! روحنا القهوة و البيت !

ولعبت كورة و دومونه و إتعرفت على ناس كتير !

– طب تمام المهم إنك مبسوط .. ناس مين ؟! .. خد مامتك عايزه تكلمك !

أخذت سعاد الهاتف و إنطلقت :

– حبيبي أكلت حاجه ؟! .. شوفت بيتنا ؟! معلش كان مكركب شوية !

سلم لي على عبد الله أوي .. ما تتأخرش عليا يا يحيى ونبي !

تناست سالي ضجرها عندما قالت سُعاد "يحيى" وليس "خالد" , أغلقت سُعاد المكالمة و أخذت تحكي لسالي وأجهشت بالبكاء دون توقف , تتألم وتتكلم بلا إستراحة !

تذكرت سالي كل آلمها و ذكرياتها مع والدها , شعرت بمراره في حلقها و هي تنظر للسيدة المُتعبه العاجزه عن فعل أي شيء و يبدو عليها القلق في كل أفعالها و حركاتها !

كان حسين يقود السيارة و يدندن مع إعلان يذيعة الراديو , يوزع النظر بين الطريق و بين يحيى ولكنه لم يكن موزعاً عادلاً ! فإنحاز لولده أكثر !

– بتتفرج على إيه ؟!

قالها حسين ليحيى الذي ينظر لهاتفه المحمول ويقول :

– عايز أتأكد أنا مبسوط ولا لأ !

– عايز تعيش سعيد ؟!

إبتسم يحيى ساخراً ونظر للجهه الأخرى حيث النافذه و الشوارع التي تجري أمام عينه , فقال حسين :

– تسع أعشار السعادة في اللامبالاة !

– و العُشر الباقي ؟!

– التطنيش !

قهقه حسين و ضرب كتف يحيى مداعباً إياه فضحك بشده ثم نظر إلى الطريق أمامهما .

■■■

طرق يحيى باب منزل خاله , تأخرت مديحة زوجة خاله بالطبع في فتح الباب , حالها كحال أي أم مصرية تجلس أمام التلفاز وتفكر في السؤال الوجودي اليومي المؤرّق "ماذا سنتناول على الغداء اليوم ؟! "

لكن مديحة اليوم قد أعدت الغداء مبكراً ! أخبرها عبد الله زوجها بأن حسين قادم إليهم عند الظهيرة و أنه في حاله يرثى لها بسبب خوفه الشديد على حياة وليده الرضيع المريض !

إنفتح الباب و ظهرت مديحة بعباءتها المنزلية التي إبتاعتها من الخليج منذ زمن , تضع الطرحه على رأسها بطريقة عشوائية نظراً لإستعجالها , حملقت في يحيى وقالت :

– عايز شقه كام يا بابا ؟!

بدى على يحيى الإرتباك فظهر حسين مبتسماً , هنا إبتسمت مديحة و رحبت به :

– إتفضل يا حسين تعالى ... إستنى يا حبيبي إنت عايز مين طيب و أنا أقولك شقة كام ؟!

– ده يحيى يا مديحة سيبيه يدخل !

قالها حسين فوافقت مديحة على دخول الفتى الغريب , كان يتفحص يحيى الشقه و كأنه مُحضر محكمة جاء لحصر الممتلكات , جلس يحيى وحسين في صالة المنزل , حيث الأثاث البسيط و الكراسي الكبيرة الواسعة التي تشعر أنها بداخلها إنسان ضعيف الحيلة ضئيل الحجم ! كراسي لها أقدام خشبية ضخمة كانت تستهدف الأقدام كل صباح و على الرغم من ذلك كانت تعج بها منازل مصر في الثمانينات !

كانت هناك صورة كبيرة مُعلقة على الحائط لعبد الله وهو في الأربعينيات من عمره يرتدي ملابس الإحرام ويقف بالقرب من الكعبة ! تبدو السعادة على وجهه فتوحي الصورة بالإرتياح !

دخلت مديحة إلى غرفة عبد الله الرجل الذي أقام صداقة طويلة مع المقعد المتحرك وقالت :

– جوز أختك جه ومعاه عيل غريب !

– عيل ؟! ودخل الشقه ولا لسه واقف على الباب ؟!

طلب منها أن تأخذه إلى الخارج بعد أن عدّل من ملابسة المنزلية و هيئته , خرجت به ووجهه متهللا يرحب بقدوم حسين الذي طار من فوق مقعده و أخذ يقبّل عبد الله ويبدو على حسين الفرح !

تعجبت مديحة و معها عبد الله من فرحة حسين !

– حسين إنت كويس ؟!

قالها عبد الله فطمأنه حسين على صحته ثم جاءت اللحظة الحاسمة :

– سلّم يا يحيى على خالك !

قام يحيى فارداً قوامه الممشوق و عضلاته التي نفخها هذا العقار الأصفر اللعين , كان ينظر له عبد الله لأعلى و يراه وهو يقترب منه ويقبله !

– يحيى مين ؟! .. إنت مين يابني ؟!

أوجز حسين ما حدث منذ الأمس من لحظات المخاض حتى الدقائق القليلة القادمة ! شهقت مديحة أكثر من مره ! فرت دمعه من عينها و إحتضنت يحيى و أخذت تقبل رأسه ويده بينما يكتفي يحيى بالإبتسام خجلاً !

– لا إله إلا الله ! ده ولا الأفلام الهندي القديمة يا حسين !

– وحياتك ولا الجديدة !

ضحك عبد الله قاصداً السخرية لتحويل أجواء الدموع و البكاء إلى المرح :

– لا معلش ! عامر خان عامل طفرة في بوليوود دلوقت !

سكت عبد الله و نظر نظرة طويلة إلى وجهه يحيى و قال له :

– تعالى يا ابن الغالية .. حبيبي يابني !

إقترب يحيى من خاله الذي إحتضنه بشده ولم يرسله إلا مع صوت مديحة معلنة عن إنتهاءها من إعداد الأكلة المصرية الأشهر على الإطلاق ! .. الملوخية فائقة الشهيه !

إشتم يحيى الطعام قبل الجميع و إنقض على صحن الملوخية الخاص به كأنه لم يضع أي لقمة في فمه من قبل ! لماذا ذكرته نشوة مذاق الملوخية بوجه سالي ؟! لم يعرف الإجابة ولكنه برر هذا بأنه يحمل هاتفها و ساعتها ويشعر أنه مدين لهذه القصيرة ذات الوجه الأحمر بشيء ما !

– يابني كل على مهلك ! ها تزور كده !

قالها حسين فنهاه عبد الله وكان ينظر لإبن شقيقته بسعادة تحمل بداخلها قلق ورعب شديدين , صدق قلب حسين حينما سعل يحيى فجأة , هرعت مديحة و أعطته بعض الماء ولكن دون جدوى !

بعد ثواني من الهلع و الترقب و كميات وفيرة من الماء و سعال شديد أخرج "حاتم" من غرفته صائحاً :

– في إيه ؟!

– حاتم !!

قالها يحيى و هو يخبط على ظهر إبنه فسكت السعال و ذهب الخطر و إستراح يحيى و أخذ ينظر بعين متعبه إلى حاتم , ذلك الشاب طويل القامه النحيل المُلتحي منذ أسابيع قليلة ماضية !

–إنت فين من الصبح ؟! .. سلّم يا حاتم على يحيى إبن عمتك !

قالها عبد الله وهو يشير إلى يحيى , إقترب حاتم من يحيى و هما يتبادلان النظرات المتردده , حتى سلّم حاتم و نزع يده بسرعه وهو يقول :

– يحيى إبن عمتو سهير ؟! مش كان إسمه ميدو ؟!

– إيه الدقن دي ؟! بس تصدق حلوه عليك يا حتوم !

قالها حسين فبدى الضيق على وجه مديحة و الإستنكار ! بينما لم يبال عبد الله , أما حاتم فتهللت أساريره وسرعان ما عاد ليقول :

– خسيت أوي يا ميدو !

قص حسين على حاتم ما حدث بإيجاز كالعاده ! كان يكتم حاتم إندهاشه و إكتفى بالحملقه في جسد يحيى كأنه يتأكد من حقيقة ما يسمع !

جلس حاتم بجوار يحيى و بدأ حواراً معه ! سأله حاتم عن إحساسه و بما يشعر ! إشتكى له يحيى من ألم الحقنة الصفراء فبدى الحزن على وجوه حسين و مديحة و عبد الله !

أشار يحيى على صورة خاله في الحج فقال عبد الله متفاخراً و شارداً في أجمل ذكرياته حينما كان يسير و يطوف بالكعبة :

– ياااه يا يحيى ! منظر الكعبه يشرح القلب ! .. كأن قلبي كان حاسس باللي هايحصل فقررت أسافر و أنا صغير بدري بدري .. فاكرة يا حاجّه ؟!

هزت مديحة رأسها بإبتسام فأكمل عبد الله :

– الحج يا يحيى كلمة معناها "قصد" ! إنك تقصد ربنا ! أنا روحت في السنة دي وكلي هموم ! كنت خايف ! و إستبيعت وقولت اللي يحصل يحصل ! .. الحج خلاني أفكر في حاجات كتير كأني بشوفها و أحس بيها لأول مره ! بقى لشروق الشمس معنى ! و لغروبها معنى ! بقى المشي و الجري و حتى الحصى و الوقوف له معنى !

كان يستمع يحيى لكلام الخال بشغف حتى قال :

– و إتحلت مشاكلك بعدها يا خالو ؟!

– حليت كتير و إتعلمت حاجة أهم من حل المشكلة !

– إيه هي ؟!

– الصبر على المشكلة نفسه ! في مشاكل طلعت مش مشاكل !

– دي إسمها قلة حيلة يا خالو مش صبر !

ضحك ثم قال :

– أنا كنت على وشك فض شراكتي مع صاحبي , كنت هاموت !

ولما رجعت فعلاً إنفضت شراكتنا !

– يعني المشكلة فضلت زي ما هي أهو و زادت !

– صاحبي بعدها بشهور إتسبب في إنهيار الشركة و إتقفلت من الخساير !

تنهد عبد الله ثم عطف على حديث آخر مع حسين وسأله عن سعاد و عن حالها بالتفصيل فأخذ حسين يروي له بألم شديد أنه حزين من أجلها و أنها أكثرهم ألماً و خسارة ! فبعد سنوات الصبر و أشهر الحمل المؤلمه و زد فوق ذلك الأمل ! .. الأمل اللعين الذي يساور الحالمين المُسالمين قبل أن يصدمهم بواقع يجعلهم أكثر نضجاً و لامبالاة !

طلب حاتم من يحيى أن يأتي معه إلى غرفته فوافق يحيى بحماس , غرفة لا تنتمي إلى المنزل تماماً !

على الحائط مجموعة صور "بوسترات" متناقضة لجيفارا و الشيخ الشعراوي و فريق ريال مدريد الإسباني !

كتب مبعثره هنا و هناك ! من كل المجالات ! يتشتت ذهنك من كثرة الكتب فلم تعد تعرف ما هي طبيعة دراسة هذا الحاتم !

– لو عايز أي حاجة خدها !

– بجد ؟!

قالها يحيى رداً على عرض حاتم السخي بأن يأخذ ما يعجبه من الغرفة ! حتى قال يحيى :

– بس دي حاجتك أكيد إنت مرتبط بيها ! أنا مش هاخد حاجة !

يقولها يحيى وهو يدور بعينه اللامعه على بعض الأشياء الثمينة حتى القداحة الفضية التي تتخذ شكل المسدس

إبتسم حاتم وقال :

– لأ أنا ما بقيتش أرتبط بحاجة يا يحيى !

أخذ حاتم يفتح اللاب توب الخاص به و يمسك بنظارته الشمسية المُلقاه على المكتب أمامهما ويعبث بها بفتور ويقول :

– تعرف إني بحسدك ؟!

– أنا ؟!

– اه والله ! يا بختك ! لو الحياة إختبار فإنت يادوب الإمتحان بتاعك
يوم واحد بس ! وكمان كلنا عايزينك تتدلع فيه ! الدور والباقي
علينا ! الزمن ده صعب ما يتبكيش عليه يا يحيى صدقني ! مضطرين نستحمل سنين طويلة..
ماسكين نفسنا و صابرين وقابضين على الجمر ! .. الأكل نفسه يا إبن عمتي
بقى تقليد ! اللي كل الأكل المسبك خلاص كل ! و اللي مشي في الشوارع النضيفه مشي
, و اللي حج زمان لحق الحج الحقيقي ! .. حتى النوم بقى مُمل ده لو جه !

– كل ده جواك يا حاتم ؟! إنت كده بتصبرني ولا أولع في نفسي وفيك و نخلص !

قالها يحيى ضاحكاً فتعالت ضحكات حاتم و لم يعبء بأحد على غير عادة !

مع إقتراب عقارب الساعة من معانقة الرقم 12 صاح حسين من الخارج منادياً يحيى ومستعجلاً إياه

فقام يحيى و عانق حاتم بشده فرت دمعه من عين حاتم وهو يوصي يحيى على نفسه , ثم وضع حاتم يده في جيب يحيى و أخرج القداحة الفضية , شعر يحيى بالخجل فقال حاتم ضاحكاً :

– دي مني ليك يا حرامي ! .. إنت مش مستحمل يوم وبتسرق كمان فيه !

ضحك يحيى و إحتضن حاتم للمره الثانية ولكنه شعر فجأة بشيء غريب ! إنقبض صدره و إرتعشت يده القابضه على حاتم و أحس بأنه لابد لهذا العناق بأن يطول ! هناك إحساس فطري يجعلنا نتمسك بلحظات الوداع الأخيرة قبل أن ندرك بأنها كانت النهاية !

ثم غادر حسين و يحيى المنزل بعد عناقات و قبلات حاره من الخال للولد , و دموع سقطت و إستسلمت و أخرى رفضت الظهور إلى ما بعد مغادرة الفتى المنتظر رحيله مع حلول شمس الغد المرتقب !

أغلقت مديحة الباب وراء حسين ويحيى فغرق عبد الله في بكاء طويل و دعاء و إبتهال أعادة إلى روح الحج الضائعة منذ سنوات ! فحينما تضيق عليك الدنيا بما رحبت وتتذكر أن لها كبير يضمك إليه فتتنازل عن ملكوتك البشري و عنفوانك , حينها تعبر بوابة التواضع بإعترافك بضعفك , تعترف ولو لمره وتبكي بين يدي الله كما لم تبكي من قبل ! تتناسى أنك من الكبار المُحرّم عليهم بالبكاء ! وفقد تتذكر بانك عبد له رب عظيم رحيم يصغى إليه الآن ... فدعى عبد الله ليحيى بقلب خاشع يتألم بأن يحيى يحيى طوال عمره المقدر له في سعاده وبلا ألم ! ... آميين

■■■

أغلق فريد التلفاز في مكتبه و نظر إلى وزير الصحه بخجل وقال :

– حضرتك الولد هايرجع إن شاء الله في معاد الحقنة !

– لو الولد جرا له حاجة .. هوفر هايقلب الدنيا !

– هايجي معاليك .. المستشفى طول عمرها صورة مشرفه لمصر !

غادر الوزير المكتب وتوجه إلى الغرفة التي يجلس فيها هوفر الآن , هرول فريد وراء الوزير و دخلا على هوفر الذي ينظر لساعته بتأفف , ينظر هوفر لتلاميذه و للوزير بأعين تلونت بالصبغه الحمراء نتيجة عدم النوم منذ يوم و أكثر !

تقف سالي بجوار د.مرزوق يتابعان حوار فريد و الوزير و يبدو على فريد دفاعه الشديد عن المستشفى و يعطي فريد تعليماته لكي يتصل أحدهم بحسين !

أخذت سالي تطقطق أصابع يدها بحركة عصبية إعتادت عليها حينما تكون منتظره شيئاً ما !
تسارعت دقات قلبها وهي تفكر في أنها قد لا ترى يحيى مره أخرى ! هي على كل حال لم تعرفه سوى صباح اليوم ! هي لم تعرفه إلا منذ ساعات ! ربما لأنه بكى في يد الجميع و سكت على ذراعها ؟! ربما لأنها تتذكر تفاصيل لم يستطع أحد تأويلها سواها !
أحياناً نرفض التظاهر بأننا نمتلك الشجاعة ! تصبح فكرة سخيفه ! ونفصح عن آدميتنا ! نعم هي قلقه حد الموت من فقدان هذا الكائن الإستثنائي !

– إنتي معاكي رقمه فعلاً يا سالي ؟!

قالها فريد فردت سالي :

– موبايله مغلق ! مفيش شبكة ! .. زمانه جاي !

– ممكن تجربي تاني ؟! .. أرجوكي يا سالي !

رفعت حاجباها من الدهشه ! فريد أصبح هش إلى درجة غير معقوله ! , تعالت الأصوات من الخارج و صوت جلبه كبيرة من خارج المستشفى , نظر فريد من النافذه و تنفس الصعداء حينما رأى حسين يشق الطريق مع ... فتى في الخامسة عشر من العمر ! تغير كثيراً ! كل شيء تغير في يحيى تقريباً !

ما إن سمعت سالي الخبر , حتى شقت الجموع بجسدها الضئيل و قامتها القصيرة و ياللعجب ! لم يستطع أحد إيقافها حتى وصلت إلى أحد ممرات المستشفى حيث وصل حسين و معه يحيى !
وقف يحيى يتأملها كأنها هي التي تغيرت ! فيض من المشاعر دب في أوصاله و يده التي تم سحبه منها كأنه مسجون هارب و ذهبوا به فوراً إلى د.هوفر الذي أمسكه بقبضه حديدية على الرغم من قوة عضلات يحيى إلا أنه شعر بألم شديد في ذراعه من أثر يد هوفر !

– العرب دائماً ما يأتون متأخراً !

قالها هوفر بالألمانية , سحب العقار الأصفر بيد مرتعشه و أعطى يحيى العقار مصحوباً بصراخ شديد

أعاد لسالي صرخات الحقنة الأولى , تتلألأ دمعه لا إراديه في عينيها , أحيانا نبكي عدة مرات لنفس السبب !

لا يشترط أن يكون لنا ذنب يكفي أن يكون لنا قلب !

على جانب آخر في غرفة 225 كانت الممرضة المرافقة للكابتن محمد غزال لاعب الكرة الشهير المعتزل تحكي له كل ما رأته بعينها أثناء ركض يحيى في المستشفى بعد ساعتين من ولادته فقط ! لولا أن رأى غزال في التلفاز الأخر لما صدقها !

كان الكابتن غزال بدين إلى درجة مفرطه يعاني من كل شيء تقريباً عدا التريفاموجا ! منكوش الشعر يسير مستنداً على عصا حديدية أهداها له رجل أعمال محب للنادي فقبلها غزال بكل سرور !

لأنها تشعره بأنه ما زال هناك معجبين به و ثمة شهرة ما زالت في أذهان الجماهير التي أمتعها لسنوات وسنوات

– هاتي النضارة كده !

إرتدى نظارته بإهتمام وهو يرى مقطع فيديو تم تسجيله بكاميرة هاتف رديئة من أمام منزل حسين بالدقي حيث كان يحيى يلعب و يراوغ و يجري و كأنه ساحر هبط من السماء و يتنفس كرة القدم !

– يا إبن اللذينة !

قالها بضحك ثم كررها بأسف و طلب من الممرضة أن تخبر أهل يحيى بانه يريد رؤيته ولو لدقيقة !

– لو صح اللي بتقوليه وممكن يعيش طبيعي هايبقى أحسن
لاعب في مصر ! .. أفريقيا ! .. العالم كمان !

ضحكت الممرضة وقالت :

– كابتن غزال ! أول مره تشكر في حد !

– ده مش أي حد يا زهرة ! مش بتقولي إنك متابعة الكورة ؟!

دي رجل من دهب !

– يا رب يعيش يا كابتن .. أمه حالتها كرب !

في نفس اللحظة قاومت ثريا العجوز آلام قدمها , إغتاظت من عدم إستجابة حسين إبنها وفاطمة لإتصالاتها , و لكن في الحقيقة هو ليس بغيظ ! و إنما جهاز الأمومة الذي يعمل لدى كل أم حتى النفس الأخير !

إستعدت ثريا و إختارت أجمل ثوب ممكن إرتداءه لإستقبال حفيدتها ! هي تتمنى حفيده وليس حفيد ! ماما ثريا أنجبت حسين لكي تثبت لنفسها أنه إستثناء يؤكد القاعدة ! النساء أكثر فائدة من الرجال ! خاصة في العطلات الرسمية و في البيع و الشراء و إعداد أشهى الطعام و الإهتمام بالأطفال الأوغاد ! إستعدت ثريا و إتصلت بأحد السائقين لكي يقوم بتوصيلها إلى المستشفى بعد قليل وإتفقت معه على الأجر مقدماً ! فالرجال دائماً ما يكونون مُستغلين للظروف ! و إن وعدوا إذا وصلت معهم لمرحلة الوعد أخلفوا ! هذا رأيها !!

■■■

الساعة الخامسة

12 ظهراً

– إنت التلميذ الوحيد اللي كان نفسي أديله دروس تاريخ ليل ونهار !

قالتها فاطمة ضاحكة وهي تجلس في الغرفة الراقد بها يحيى , أخذت تمسح على رأسه و تمسح العرق من على وجهه شديد الإحمرار الآن , كانت تكلمه بصوت هاديء مستسلم , تحكي له عن الكثير من الحضارات

بإيجاز و عن حضارة المايا التي إندثرت و إعتقادهم في أبدية الدهر ! لم تستطع كتمان مخزونها الوفير و شغفها بالتاريخ , حكت له عن عبقرية الفراعنه و أثارهم و أنهم تركوا حكاياتهم و أخبارهم و خلاصة خبراتهم على هيئة نقوش و مسلات و جداريات و أهرام ومعابد شامخه باقيه بقاء الدهر !

بدأ يحيى يتعافى ويستمع إلى حكايات العمه :

– و إزاي مفيش أي أخبار عن الأسرة دي ؟!

قالها يحيى متسائلاً فأخبرته فاطمة أن هذه الأسرة كانت ضعيفة و هشه و مستسلمه فلم تترك شيء للأجيال التالية و حتى في حقبتها لم تكن حقبه جيدة على كل حال ! , ربما إنشغلوا بالترف و الملذات ربما لم يهتموا بحاضرهم و تغنوا بأمجاد الماضي و نسوا العمل للمستقبل فكانت هذه هي النتيجة ! إن التاريخ لا يرحم !

و الزمن لا يرحم أحد ! يمر بلا توقف و بلا هواده ! ملايين السنين و لم نسمع أن الزمن يحابي أحد ! الزمن لن يكون في صالحنا إلا إذا قررنا إستغلاله قدر الإمكان !

– أحسن دلوقت ؟!

قالتها سالي فهز يحيى رأسه و بدأ يقوم مستنداً عليها , طلب منهم الذهاب إلى غرفة سُعاد فإقترح عليه والده أن يغير ملابسة أولاً , فأعطاه حسين قميص أكبر حجماً ألوانه أكثر بهجة و بنطال جينز أزرق , في الطريق المؤدية إلى غرفة سعاد كان يسير يحيى بجوار سالي بينما قرر حسين الجلوس مع فاطمة و الأطباء , كانت تنظر سالي ليحيى على إستحياء ! لا تعرف أين هرب الكلام منها ؟! كانت تستعجل الوقت لتراه وتصب عليه سيلا من كلمات لم تعد تمتلك واحده منها الآن !

أذاب هو الجليد و قال :

– موبايلك !

– خليه معاك ! إنت مش هاتخرج تاني ؟!

– ممكن تيجي معايا المره دي ؟!

– أنا ؟! لأ طبعاً !

فاجئها و تمنت أن يعيد عليها عرضه ففعل !! فوافقت وبررت ذلك بأنه يتوسل لها و أنه يخشى أن يموت في نهاية اليوم ولا يراها مرة ثانية !

– بعد الشر عنك !

– يعني موافقه تخرجي معايا ؟!

قالها وهو يبتسم , نظر لساعتها التي ما زالت في يده وقال :

– كل شوية كنت ببص فيها و أفتكرك !

– ماهو باين ! عشان كده إتصلت !

– عايزة الحق ؟! كنت خايف تكوني جمب الدكتور الأجنبي
قلبي بينقبض لما أفكر فيه !

نظرت له بعين إمتزجت فيها الشفقه بالإرتباك , لم تعد تعرف ماذا تريد تحديداً ! سوى أنها تظل بجانب هذا الطفل الذي إختارها قبل أن يدرك أي شيء في هذا العالم !

نحن نميل لمن يحبنا كما نحن ! يقبلنا كما نحن ! يرفع عنا عناء إجهاد أرواحنا في جولات طويلة مُرهقة نحاول فيها إثبات أننا جديرين بأشخاص نخشى أن يكونوا غير جديرين بنا من الأساس !

ما إن دخل يحيى على أمه حتى تهلل وجهها الرقيق و جرى عليها ليلقي بنفسه بين أحضانها ! قامت نرجس الجالسة أمام التلفاز و تركت قطعة البسكويت من يدها وهي تُتمتم بآيات القرآن التي تحفظها منذ الصغر ولم تحفظ سواها ! تقرأها في الخوف و الفرح و الجوع و الشبع و جهراً وعلى الملأ !

أخذت سُعاد تتحسس ملامح صغيرها و أكتافه وعظامه , تنظر إلى جمال وجهه و إلى طول شعره البُني الذي يهذبه كل ساعه تقريباً , كلما فكرت في إنزال يدها عن وجهه ترفض الفكرة و تستمر في تأمل كل تفاصيله , ما أقسى موت فلذة الكبد ! ولكن الأكثر قسوة هو أن تعرف قبلها أنه على وشك الموت ! لكن الأقسى على الإطلاق هو أن يأتي و يذهب كأنه حلماً ورديا سرعان ما يتلاشى وتنساه ويبقى الأثر !

– حبيبي

قالتها سعاد ثم طلبت من نرجس إحضار بعض الطعام ليحيى , ذهبت نرجس مسرعه وعادت وعلى فمها أثر بقايا طعام , تناول يحيى الطعام مع والدته ! كل شيء لذيذ بجوار هذه السيدة !

الأم سيدة الكون ! منبع الأمان أينما وجدت ستجد السكينه ! ومتى ذهبت عاداك كل شيء حتى نفسك !

كانت سُعاد تتابعه وهو يأكل بنهم , فتى في الخامسة عشر أو تخطاها ! زادت قوته و إزداد قوامه صلابة ! كم تمنت هذه اللحظة ! حتى و إن كانت مؤقته ! فجمال اللحظة في وجودها وليس أبديتها !

إختارت له قناة "سبيستون" حيث مسلسل كرتون الأطفال "ماوكلي" ! ضحك يحيى ساخراً :

– يا ماما أنا كبرت !

– عمرك ما تكبر في عين أمك ! .. كُل !

قالتها بإبتسام فضحك و أخذ يكمل الطعام و يشاهد التلفاز ! ولكنه بالفعل إنجذب للمشاهدة ! هي الطفولة التي لابد أن يعيشها ! هي لحظات قد تُسرق منا ولكننا نحاول إستعادتها قدر الإمكان !

ظل يدندن مع أغنية النهاية "فلتحذر أن تغتر إستخدم عقلك أكثر , وحدك عودٌ غضٌ وطري و الجمع عصى لا تُكسر"

إنتهت الحلقة و إنتهى الطعام و حان وقت الرحيل المؤقت , في أيامنا العادية تريد كل أم أن تنتهي حلقات الكارتون سريعاً ! إلا لو كانت تقوم بإعداد الطعام ولا تريد مضايقات الصغار ! وهنا أيضاً لم ترد سُعاد للحلقة أن تنتهي ! ولكنها حتماً ستنتهي !

عانق يحيى أمه بحراره ! دار بخلده أفكار كثيرة ! هانت الحياة بالخارج في نظره وللحظة قال :

– خليني جمبك ! .. هاطلع أعمل إيه بره ؟!

– لازم تخرج و تشوف الدنيا يا حبيبي !

– شوفتها ! زحمه و دوشة و محدش فاضي للتاني !

– ما تستناش حاجه من حد ! إبسط نفسك بنفسك ! و إرجع لي أنا بس اللي مش ورايا حاجة غيرك !

أغمض عينه و رمى رأسه على كتفه وهو يودعها , قبّلت رأسه وهي تشتم رائحته الذكية وفجأة سألته في هذا الوضع :

– أبوك كلم حد كده ولا كده ؟!

– إسمها هاله محمد , ساكنه في المعادي و معاكوا في الشركة عندها بنت لزجه إسمها ريم و عربية حمرا

إتسعت عيناها و أمسكت رأسه وقالت :

– عرفت ده كله إزاي يا داهيه ؟!

– و أنا بسمع "أم كلثوم" على اللاب توب فتحت الفيسبوك بتاعه !

– كمان مشغل أم كلثوم !

– أيوا أيوا !

سكتت فجأة فقال لها محاولاً إصلاح الأمر :

– قال لها في الرسايل إنه بيحبك !

– بجد ونبي ؟!

دخل حسين فجأة هو وسالي , نظرت له سُعاد نظرة حاده فظل واقفاً بجوار الباب , أما سالي فإقتربت من سُعاد و أعطها الدواء و سألتها عن حالتها ! , قالت سُعاد :

– وديه الملاهي !

– من عنيا

قالها حسين وهو ينظر لساعته هارباً من نظرات زوجته التي قالت :

– حلو القميص ده عليك !

نظر حسين لها لا للقميص بنشوة و إقترب منها , هنا فقط تجرأ و قبّل رأسها فقالت :

– خد بالك منه , وبلاش الألعاب الخطره !

نظر يحيى لسالي وهو يسعل فقالت :

– ربنا معاك .. أنا مش راحه في حته !

– رجلي على رجلك !

فتدخلت سعاد :

– ما تروحي معاه غيري جو يا دكتور !

ها أتطمن عليه أكتر ! و إنت مش لسه بتشتكي من جو المستشفى الخنقه ؟!

– ملاهي إيه ؟! أنا بخاف أبص من سطوح بيتنا !

فقالت سعاد وهي تشير لحسين :

– تصدقي إن الهايف ده نفسه هايلعب !!

فقال حسين بلا تفكير :

– طبعاً !

ضحكت سالي فقال يحيى :

– عشان خاطري ! مش هانركب الحاجات العالية !

– يحيى !

– نعم !

– إنت طلعتلي منين ؟!

■■■

وصل حسين بسيارته أمام الملاهي الشهيرة , نزل هو ويحيى و سالي و قطعوا التذاكر و دخلوا , كان يحيى يشعر بحماس شديد ! يلفح الهواء صدره كأنه لأول مره يخرج للحياة !

كان يسير بجوار سالي ويختلس النظر إليها و يشعر بتيار كهربي عالي الجُهد يضرب جسده حينما تفاجئه هي بنظرتها !

دق جرس هاتف سالي حينما قرأت إسم المتصل "ماما" إختارت عدم الرد و تفعيل الوقت الصامت ! وقالت في نفسها :

– خليكي مع عماد يا ماما

إتسعت عين سالي حينما رأت إحدى الألعاب ترفع الراكبين إلى أعلى عشرات الأمتار ثم تهوى بهم فجأة وقالت :

– هي الملاهي إتطورت أوي كده ؟! و أنا اللي بخاف من أوضة العلميات !

.. الله يمسيك بالخير يا إبن عفاف لما كنا بنبعد بالعربية عن القاهرة بتعتبرها مجاذفه !

ضحك حسين و كان يسير بسرعه نحو إحدى الألعاب كأنه هو الطفل وليس يحيى ! ركب الجميع في القطار تنفست سالي بعمق فقال حسين :

– يا دكتوره فُكي كده و سيبيها على الله !

– ممكن أنزل ؟!

قالتها فقال يحيى :

– إربطي الحزاااام

سبق السيف العزل , طارت سالي و توقف قلبها عن النبض لحظة ثم أخذ الأدرينالين في التدفق بسرعه جنونية شعرت معه سالي أنها ستفارق الحياة , ربما هذه هي أعراض ما قبل الموت , جفاف الحلق , إرتعاش , عدم الشعور بوجود أقدامك , إختفاء طرحة الرأس !

تفاجيء يحيى بشعرها و نسى ما يمر به من مغامرة القطار المرعبة , شعر للوهله الأولى بذنب شديد و رأي في عينها الرعب فعزى ذلك في أول الأمر إلى رهبتها من اللعبه ! ولكنه سرعان ما أدرك أنها تكره خلع الحجاب أمام الناس ولو كان دون إرادتها ! , فتحول شعوره في الوهله الثانية إلى إعجاب أشد !

وقف القطار و تنفس الجميع الصعداء , أما يحيى فترك حسين و سالي دون أن ينطق بكلمة , تعجب حسين و تفاجيء بشعر سالي المكشوف وهي تقول :

– مكنتش رابطاها ربطة الملاهي معلش !

هو يحيى راح فين ؟!

– مش عارف يا دكتور ! أحسن يتوه مننا !!

إقترب يحيى من بائع قباعات شبابية , قباعات تشبه قباعات الكاو بوي , أو قبعة والتر وايت الشهيرة في مسلسل بريكينج باد !

وضع يده في جيبه ليجد بعض المال الذي أعطاه له حسين قبل النزول من السيارة حتى يظهر أمام سالي بأن كامل الرجولة ! ويشتري ما يحلو له !

سرعان ما عاد يحيى حاملاً القبعه فإبتسمت سالي و إندهشت ! لملمت شعرها و إرتدت القبعه السوداء

, حينما يبتسم لك الدهر فأعلم أنه سيدهشك ! و تأتيك الدهشه على هيئة فكرة مرعبه لا رحمه فيها ولا فائدة سوى إرتفاع نسبة إحتمالية الأزمة القلبية في هذا اليوم !

– ندخل بيت الرعب ؟!

قالها يحيى فلم ترد سالي بشيء ! عجزت عن الكلام ! أما حسين فتعلل بأنه يريد التدخين الآن و أنه لا يفضل دخول هذا البيت الطفولي , وسينتظرهم للدخول في اللعبة القادمة حينما يخرجون – إن خرجوا – من بيت الرعب ! هزت سالي رأسها نافيه و حاسمة أمرها !

– يحيى إنت عايز تموتني ؟!

– بعد الشر عليكي !

– إسمها بعد الشر "عنك" ! عليكي دي إنت بتدعي عليا !

– مش وقته ! ممكن ندخل !

– مستحيل !

– عشان خاطري !

Never –

وجدت سالي نفسها تجلس مغمضة العينين في سيارة صغيرة و أمامها يحيى في سيارته , ينتظران صافرة الإنطلاق أو ربما "نفخة الكير" التي ينتظرها من يعيشون في الأزمنه الصعبة بشوق ولهفه !

بعض لحظات الرعب تحررنا من رعب مماثل في حياتنا ! نشعر بلذة كأننا ننتقم من مشاكلنا ! من عالمنا و مخاوفنا !

إنطلقت السيارات وتمسكت سالي بالقبعة بشده , ظلت تصرخ بلا إنقطاع ولكن صرخاتها ظلت تنخفض مع إنخافض الضوء وتحوله إلى اللون الأخضر الشبيه بإضاءة الأضرحه العتيقة !

كان يحيى يضحك ! يضحك كما لم يضحك من قبل ! يمسك بمقود السيارة و يصيح بصيحة شبابية "أووووه"

بينما لاحظ إنقطاع صوت المخلوقة القصيرة الجالسة في السيارة التي وراءه , نظر للوراء فوجدها تتابع بنظرات مرتجفه المسوخ و التماثيل المتحركة و الثابته و الوجوه البشعه المقززه التي تخيلها كل طفل يسمع لأول مره عن العفاريت و ملوك الجان و الأساطير التي تروى لنا بلا رحمه من كل الأمهات و الآباء !

الملاعيين مهندسو هذه الألعاب ! كيف يجسدون ما كنا نتخيله بهذه الطريقة الفظيعه ؟!

كان هذا السؤال يدور في رأس سالي ومعه العديد من أسئلة الوداع , هل ستتقبل أمي خبر وفاة إبنتها في منزل الرعب ؟! هل هذه الميته مهينة لنقابة الأطباء ؟! هل النقابة ستقاضي هذه المسوخ أولا أم صاحب الملاهي ؟!

متى سيموت يحيى و يكتب الله لي النجاة من أفكارة القاتلة ؟!

صرخت سالي فجأة وهي تنظر إلى دراكولا القادم من جهة سيارة يحيى , كان دراكولا يتحرك فعلا و يجري نحوهما فما كان من يحيى إلا أن يكون رد فعله مثل أي شاب يحاول الدفاع عن حبيبته و إظهار قوته أمامها , وفي خطوة إنفعالية غير محسوبة ضرب يحيى دراكولا بقبضة يده الفولاذية التي زادتها الحقنة الأخيرة قوة فوق قوتها ! فصرخ دراكولا وشهق !

إنفجر يحيى في الضحك هو و جميع من بالسيارات خلفه ممن رأووا دراكولا يصرخ كالنساء و يجري تاركاً بيته !

كان حسين يدخن سيجارته ويعبث بهاتفه ويرسل لهالة رسالة "وحشتيني على فكرة " و نقل بصره فجأة ليرى مشهد ساخر لن يتكرر أبداً ! لم يحتمل حسين إمساك ضحكاته حينما رأى دراكولا يفر من البيت و يسب مؤسسي الملاهي و يخلع عباءته و يأتي خلف دراكولا صف السيارات و في السيارات الأولى يجلس يحيى ووجهه يتلون باللون الأحمر القاتم من كثرة الضحك الهيستيري ! حتى سالي تضحك و تناست تماماً رعبها !

إسخر من رعبك ينتهي !..

■■■

Buddy you're a young man

hard man

Shouting in the street

gonna take on the world some day

You got blood on your face

You big disgrace

Waving your banner all over the place

We will we will rock you

Beyonce – we will rock you

الساعة السادسة

11 ص

تنظر ثريا إلى الساعة وتتأفف , تضغط على رقم السائق , رد في الإتصال الثاني وقال :

– والله الطريق زحمة يا مدمازيل !

– مدمزيل في عينك ! هاتيجي يعني ولا أكلم حد تاني ؟!

نظر السائق إلى قميص النادي الأهلي الذي يرتديه و قال لثريا :

– حضرتك أنا مضحى بفترة الهتافات ! هاوصلك و أطلع على الإستاد !

– هاتفات إيه ؟! إنت السواق ؟!

– أيوه يا ست أنا سيد !

– إستاد إيه يا سيد ؟! أنا عايزه أروح مستشفى في الدقي !

– ماتش الأهلى انهارده ربنا ما يقطع لنا عاده !

– عارف يا أسطى سيد ! .. أنا هاستناك عشان أهلاوي زي المرحوم أبو حسين !

– الله يرحمه ! المجد للكيان .. عدي من 1 ل 74 وهاكون عندك بعون الله !

– إوعى تيجي في الوقت بدل الضايع زي عادتكم الله يكرمك !

قالتها ساخرة و أغلقت ثريا الهاتف و تثاءبت , قامت تعدّل من ملابسها وتنظر في المرآة ! في كل مره تنظر و تحاول إقناع نفسها أن الشيخوخة مجرد حلم و إستيقظت منه لتجده كابوس يحدث بالفعل !

بينما كان يجلس هوفر ووصل إليه خبر مغادرة يحيى منذ قليل , ثار و برزت العروق في وجهه على غير العادة وقال لفريد :

– لماذا لم تخبرني قبلها ؟!

فقال فريد متردداً وترجم المترجم :

– ظننتك ستسمح له بالمغادرة حتى موعد الحقنة القادمة !

– أنت تظن ! وتسمح ! ماذا أفعل أنا إذن ؟!

أين الوزير ؟!

– إهدأ من فضلك د.هوفر ! سأحل الأمر بنفسي !

– أين الوزير ؟! لم آت كل هذه المسافة من أجل مطالعة أوراق
و أروقة هذه المستشفى المستهتره !

– إهدأ من فضلك و سيكون يحيى امامك بعد دقائق ! أرجوك !

إنصرف فريد وترك هوفر يراجع بعض نتائج التحاليل الأخيرة بعصبية , إتصل فريد شخصياً بهاتف حسين الذي إختار عدم الرد على الرقم الغريب ! أما سالي فلم تسمع هاتفها بالطبع , أو ربما ما شجعهما على تخطي أمر المكالمة حالة الإرهاق الشديدة التي يعانوا منها جميعاً بعد لعبة الطبق الطائر !

طلب د.هوفر من فريد طلب واحد سوف يجعله راضياً إذا حدث !

– أريد مرافقة المريض في كل خطواته خارج المستشفى !

– أنت منهك من السفر د.هوفر !

– الإنهاك هو الإنتظار الذي لا نهاية له !

على صعيد آخر أجرى عبد الله إتصالاً هاتفياً بممدوح الذي رد فوراً !

– خليها تحضر ورقها وهاكلمها قريب .. مش بكلمك عشان شغل هند دلوقت !

قالها عبد الله بعتاب و إستنكار من عدم إهتمام ممدوح بمكالمات حسين ! أخذ عبد الله يكيل لممدوح الكلمات الموجعه ولكنها لن تجدي نفعاً مع هذا القلب الفظ !

– إنت عارف إني مفيش بيني و بين حسين عمار !

– بس في بينك وبين أختك دم ! خلي عندك دم !

الواد فيه شبه من أبوك الله يرحمه وهو صغير !

قالها عبد الله فسكت الكلام و كأن المكالمة إنقطعت حتى عاد ممدوح من شروده وهو يتذكر صور خاطفه لوالدهما الذي كان يدللهم ويحبهم و يرعاهم , وكثيراً ما تسبب ممدوح في مشاكل تحملها الأب و ومحاها الإبن من ذاكرته !

– الله يرحمه ! .. هاكلمها يا عبد الله حاضر

– لو أقدر أمشي كنت روحت !

– حاضر يا عبد الله ! .. بس ماتنساش موضوع هند !

■■■

خلف الكواليس في غرفة مغلقة بمبنى المحطة الفضائية PU كانت الإعلامية الشهيرة مشيرة حكيم الخمسينية تصرخ بعصبية في مساعدها أشرف أثناء فترة الإستراحة و تعديل المكياج :

– إزاي لحد دلوقت مش عارفين نوصل للزفت ده ؟!

– يا أستاذة والله صعب ! المستشفى عليها حراسة و في وفد أجنبي !

– دي شغلتك مش شغلتي ! من إمتى و الهَرى ده بيمنعنا نقابل حد ؟!

– حاضر يا أستاذة

– قدامك ساعتين بظبط لحد ما الحلقة تبدأ !

– حاضر يا أستاذة !

– غور دلوقت

إنصرف أشرف مرتبكاً ولا يعرف ماذا يفعل أولاً ؟! الحقيرة ألقت بالحمل كله عليه كعادتها ! يسعى ويزحف و يأتي بالخبر ويعطيها الأوراق بيد متعرقه منهكه لتقوله هي على الهواء أسفل هواء المُكيف المُنعش بملابسها الأنيقة باهظة الثمن !

ذات مره كانت ذاهبة للتسوق وشراء ملابس جديدة ! ولكن حدث لشقيقها حادث أليم فقررت إلغاء التسوق و أعطت لأحد العاملين كل ما كان في حقيبتها من مال مخصص للتسوق !
لم يأتي هذا العامل من بعد هذه الحادثة ! يُقال أنه إشترى "توكتوك" و إستطاع تزويج إبنته المتبقيه وجهزها بأفضل جهاز ممكن !! أطال الله عمرك يا ست مشيرة !

في سيارة حسين كانت سالي تجلس بجانب يحيى في الخلف , رأى يحيى مسجد كبير توقفت أمامه السيارة مرغمه بسبب أزمة مرورية , توقع حسين أن تستمر لدقائق ! جاءت في رأس يحيى فكرة :

– ما تركن على جنب و تيجي نصلي ؟!

– نصلي ؟! ما ..مااشي يا حبيبي

قالها حسين بتردد فقال يحيى:

– إنت بتصلي يا بابا ؟!

– طبعاً !!

– كل الفروض ؟!

– ...

تدخلت سالي لترفع الحرج عن حسين وقالت :

– عقبال ما نصلي يكون الطريق إتفتح !

دخل يحيى و حسين إلى مصلى الرجال , شعر يحيى برهبة وهيبة و رائحة البخور الأصلي التي تنبعث من المساجد الشهيرة الكبيرة , الدخول الأول للجامع له نشوة إستثنائية !

مهما بلغت أفعالك .. هنا .. وهنا فقط .. ينام الألم و الشك و التوتر !

صلت سالي في مصلى السيدات المُطلع على مصلى الرجال من أعلى , فرغت من صلاتها و إستعارت بالطبع طرحه من إحدى السيدات العواجيز التي إنتهت من صلاتها ثم أعادتها لها مره أخرى و إرتدت قبعتها وهي في قمة الخجل !

ثم أخذت تتابع بعينيها يحيى وهو يصلي بالأسفل بجوار حسين , كانت حركات يحيى تجمع بين الإرتباك من شدة التأثر و الخبرة كأن عقله يقوم بهذه الحركات على سبيل الإعتياد !

بعد دقائق عادوا للسيارة و نظر حسين لهاتفه فوجد العديد من الرسائل و مكالمة فائته من فاطمة !

– خير يا رب ! أنا قلقان على أمك !

إتصل حسين بفاطمة التي طلبت منه الحضور بسرعه هو ويحيى و أن الدكتور الأجنبي المجنون على حد تعبيرها يصيح و يريد تصعيد الأمر عالمياً لأنهم يعيقون عمله و تم إختطاف المريض منه !!

إنزعج حسين و أخبر سالي و يحيى , ضحك يحيى بينما قالت سالي :

– الراجل ده معندوش قلب !

– ليه يا دكتورة ؟!

تسائل حسين وهو يقود بإرتعاش فردت :

– الحقنة الحمرا ! ..

– دي اللي ممكن تخلي يحيى يعيش باقي عمره طبيعي ؟!

– قصدك اللي ممكن بعد الشر عنه يموت في لحظتها !

ضغط حسين على الفرامل و أوقف السيارة ونظر إلى سالي وقال :

– ممكن تسيبي الأجانب يشوفوا شغلهم ؟!

– ده شغلي !

– إنتي اللي عملتي الدوا و لا هما ؟!

– هما ! بس أنا عارفه الحاله أكتر منهم !

– هاها ! ده راجل عمره المهني قد عمرك !

– لو يحيى جرا له حاجه , هوفر هايرجع ألمانيا ويكمل حياته ! ولا هايفرق معاه !!
بدليل إنه حصل له فعلاً قبل كده نفس اللي بيحصل انهارده !

– و إنتي بقى اللي فارق معاكي ؟!

لم تجب فأكمل حسين ثائراً :

– مش أكتر من اللي إستناه سنين ! و لا اللي تعبت فيه تسع شهور و سنين بتاخد أدوية لما جسمها إشتكى !

كان يحيى يتابع بيأس ما يجري :

– ممكن نهدى ونفكر يا جماعه ؟!

– مفيش تفكير يا يحيى ! هانروح المستشفى وتكمل العلاج !

– جسمه ضعيف يا أستاذ حسين ! جسمه مش هايستحمل أرجوك !

– بأمارة دراكولا اللي طلع يصرخ من ضربته ؟!

ضحك يحيى بينما لم تبال سالي و إنطلقت :

– قوة العضلات حاجة والقلب حاجة ! .. بلاش الحقنة الحمرا !

أدار حسين سيارته ولم يلتفت لسالي ولم يرد عليها , وطوال الطريق كان يغلي في داخله !

أيتها الملعونة القصيرة ! أنتِ محقه ! وكثير من الحق مؤلم !

أصعب الخيارات هي التي لا نعرف أيهما أكثر شراً ؟! فنختار و كأننا ننتحر ! نفضل السير على الجمر مقابل عدم تحمل مسؤلية الخيار الآخر .. الذى بدى لنا مخيفاً وقتها !

■■■

– ألو

قالها الكابتن غزال الراقد على سريرة فرد عليه رئيس ناديه الأسبق , قص عليه غزال حكاية يحيى الذي تتحدث مصر كلها عنه فقال الرئيس :

– خلينا واقعيين يا كابتن .. الواد ده مجرد بروباجندا !

– إنت شوفت الفيديو بتاعه وهو بيلعب ؟!

– شوفته ... ما تديش للواد أكبر من حجمة !

– ممكن يعيش وهو 24 سنه يعني هاينفعنا و ممكن نبيعه لأوروبا !

– أها .. إنت قابلته يا كابتن ؟!

– لسه !

– لو عاش .. لو .. و طلع لعيب فعلاً .. هاخليك تدربه و ليك نسبة !

أعطت الممرضة قرص الدواء لغزال فوضعها في فمه و إرتشف من الماء وقال بجدية :

– أنا المهم عندي الإكتشاف ده ما يضيعش مننا !

– صحتك عامله إيه انهارده يا أبو الكباتن ؟!

أنهى غزال المكالمة بعد أن إنحدرت إلى مجاملات و مديح زائف ممل إعتاد عليه , تنفس وهو ينظر من النافذة على السماء الصافية و رؤوس الأشجار تطل أمام نظره و أغمض عينيه و شرد بعيداً إلى أعوام مضت , تحديداً عام 1988 حينما كان محترفاً بإيطاليا , كان العام الأجمل في حياته بأكملها , تزوج في نفس العام من فتاة إيطالية جميلة تدعى ليزا , كانت تبث الحيوية في روحه كلما رآها , شعرها "الغجري المجعد" الأصفر الداكن و أسنانها المصفوفه البيضاء و عينها الواسعة التي تجبرك على مغازلتها , أحبته من كل قلبها و غيرت فيه الكثير , ربما كان يحتاج إلى كل هذه التغييرات و لكنه يؤجلها , يتناساها ! ربما كان يحتاج إلى الدافع و ها هي ليزا !

علمته الفنون و أسرار الفن و اللوحات فكانت تدرس التاريخ الفني لعصر النهضة الذهبي حيث دافنشي العبقري المثير للجدل و الإعجاب , و حيث جالليليو و أنجلو و رافاييل !

شعر غزال برائحة إيطاليا في غرفته الكئيبة في مستشفى فريد !

أخذ ينظر حوله في أرجاء الغرفة و يتخيل و يسمع هتافات الجماهير التي تهز ملعب السان سيرو ويبتسم !

كل من يحب الحياة يحب إيطاليا ! جزء من أرواح كل المُبدعين ينتمي إلى إيطاليا !

كان يجري مع ليزا في شوارع روما , يأكلان أشهى المأكولات الإيطالية كانت ليزا ماهره في الطهي و خاصة في إعداد البيتزا الإيطالية ! , في غرفة نومها كانت تضع أقوال و لوحات لعظماء إيطاليين لم يتذكر غزال سوى جملة كتبتها بخط يدها تعود إلى ليوناردو دافنشي :

"شغف الروح يطرُد الشهوة"

وحياته معها كان كلها شغف لروحه و نجاح مع فريقه الإيطالي , يتذكر ملامح وجهها و تعابيره حينما كانت تشاهده من المدرجات و تعرض للإصابة كأنه يستمع إلى شهقتها من الآن ! كلما جارت عليه الدنيا تذكر أنه كان هناك من يهتم لأمره فيهون عليه الصعب ! يتذكر رقصته معها في ساحة شهيرة في إيطاليا و كان الجميع يرقص على أنغام "تارانتيلا Tarantella napoletana " الشهيرة العذبة التي تشعرك بالبهجة أيان كانت حالتك , كانت ليزا ترقص وتتمايل برشاقة جعلت غزال ينسى العالم مع نسمات الهواء البارده و يعيش في عالمها الخاص السحري , حتى جاء شهر أغسطس الذي كان يتفائل به غزال و يحبه , وتحول الشهر إلى رمز للكئابة و الألم حينما راحت ليزا ضحية حادث أليم ظلت في غيبوبة لثلاثة أيام ثم فاضت روحها تاركة هذا اللاعب للأحزان و الحسرة و السقوط السريع , فعاد إلى مصر مكسوراً حتى إنتشلته زوجته الحالية من كل همومه و عاد إلى منصات التتويج قبل إعتزاله !

– سارا بيركي تي آمو !

قالها غزال وهو يدندن الأغنية الإيطالية الشهيرة التي كانت ليزا تغنيها له في يوم زفافهما و يلتف حولهما لاعبي فريقه الإيطالي زملاءه

Sarà perchè ti amo

قد يكون السبب .. أنني أحبك !

مسح دمعته و إبتسم وهو يقلب قنوات التلفاز يتابع أخبار يحيى , و حينما ملّ مد يده إلى الدرج الذي بجانب سريرة و أخرج مفكرته التي إصطحبها معه من إيطاليا , تعلم هذه العادة من ليزا , يدوّن كل شيء و يحتفظ بكل خاطره و ذكرى , إرتدى نظارته و أخذ يقرأ و يبتسم و يضحك و يحزن حتى تذكر شيئاً كان يفعله أمام نافورة فونتانا دي تريفي , ذات صباح كان جالساً مع ليزا على أحد المقاهي المطله على النافورة , ويشتكي من إرهاق عينيه في السهر ليلة أمس و أنه سيذهب للتدريب بعد ساعات و لابد أن يكون متيقظاً , فطلبت منه ليزا أن يفعل مثلها , ظلت تحك كفيها ببعضهما لمدة دقيقة ثم قال له بلغة إيطالية مُحببه للأذن بأن يضع كفيه على عينه و يغمضهما لدقيقتين ! و بعدها فتح عينه فكان يشعر بإرتياح شديد ! و لم ينس شكلها قط حينها و هي تبتسم إبتسامة الظفر !

أخبرته أن رسّامين عصر النهضة كانوا يقومون بهذا التمرين من أجل رؤية الألوان أكثر وضوحاً وجمالاً ليساعدهم ذلك على رسم أعظم اللوحات !

■■■

في نفس الوقت قاد يحيى السيارة لأول مره ! حفظ كل شيء وتعلم القيادة من والده , ترك والده السيارة مسروراً ! وخائفاً !

أمره بإتخاذ الحذر قدر الإمكان ! و طلب من سالي الإعتناء به ! و عدم التأخر على موعد المستشفى ! فقد إتصل يحيى بهوفر شخصياً عن طريق هاتف سالي المحمول , و عن طريق المترجم طلب يحيى منه السماح له بالتسوق مقابل الإمتثال أمامه في موعد الحقنة الصفراء التالية , وافق هوفر وبدى أمام طلب يحيى ضعيف الشخصية ! تعجب فريد من موافقة هوفر وقال لزاهر :

– مش ده اللي كان عامل فيه ثانوس من شوية ؟!

– أهو قلب على الأرمله السوداء

قالها زاهر لفريد فضحكاً بصوت مكتوم ساخرين , تنفس فريد الصعداء و زالت عنه المسؤلية ولو مؤقتاً , وزير الصحه ما زال بالجوار ولا شيء وراءه اليوم سوى يحيى !

في الطريق قرر يحيى الذهاب إلى أقرب مول لشراء ملابس جديدة له بأسرع وقت ! و قفزت في رأسه فكرة حينما نظر إلى ملابس سالي السوداء القاتمه :

– تصدقي لسه واخد بالي ؟!

– من إيه ؟!

– حد يروح الملاهي بالإسود يا ناس ؟!

– بابا الله يرحمه بقاله سنة !

– الله يرحمه .. لو كان عايش كان هايحب يشوفك كده سنة ؟!

– ممكن نغير الموضوع ؟!

– أنا معندش مواضيع ! .. غيرك دلوقت !

فجأة إصطدمت السيارة بسيارة أخرى تسير بجانبها , صرخت سالي و قالت :

– خليك ما تنزلش يا يحيى ! .. يحيى إنت مش معاك رخصه !

نزلت من السيارة الأخرى سيدة أربعينية رشيقة القوام , يبدو على جسمها أنه جسم رياضي و قوي , مكشوفة الشعر و ترتدي ملابس عصرية و بناطل قماشي أبيض , ترتدي على رأسها "بندانه سوداء" وصاحت في يحيى :

– إنت حمار ؟!

– إنتي اللي متخلفه !

– إنت غلطان وبتشتم يا نونو ؟! وماما وهي بتجيب لك العربية ما قالتلكش تمشي براحه ؟!

كادت سالي أن تنزل و تحاول تهدئة الأمر لولا أن دفع يحيى السيدة فأخذت وضع الإستعداد وبدى عليها الحماس وكأنها تريد القتال ! ... فحظ يحيى أوقعه في مدربة كاراتيه محترفه في نادي رياضي !!

وحظها أوقعها أيضاً في كتله من العضلات محقونة بسائل يتم إعداده منذ سنوات !
و ها هي الكتله تهوى على رأسها فتتفاجيء السيدة بأن الإنسان ضعيف ! و مهما إرتفعت يا طير فستجد من يحلق فوق رأسك !

ضربت السيدة ضربه خفيفة بسيف اليد قبل أن تنهال عليها اللكمات العشوائية السريعة !

يصيح يحيى "الله أكبر" !! فكانت السيدة تستغيث :

– بتكبر !! ... إنت بتضرب هند بنت عتبه !!!

كانت سالي تضحك ثم نزلت مهروله لتنقذ السيدة قبل أن يتورط يحيى في جريمة قتل يحاسب عليها في الآخرة قبل الدنيا !

لم تعرف السيدة ولم يعرف يحيى نفسه أن صيحة "الله أكبر" موروثه من والده ! كان يشاهد أفلام حرب أكتوبر و يلعب مع رفقاءه و يصيح بها حينما يضربهم ! المفارقه أنهم كانوا يطلبون من حسين أن يؤدي دور الجنود الإسرائيليين ! ومع ذلك كان يُكبر في وجوههم !!

إزرقت عين السيدة و عادت إلى سيارتها وهي تبكي و تنظر إلى ساعديها , تلومهما ! تحاول معرفة السر وراء الهزيمة الغير متوقعه !! تسائلت : منذ متى وتخونيني يا قبضة يدي ؟!

عاد يحيى ليقود السيارة وبجواره سالي الصامته , نظرت إلى الخلف لتتابع السيدة المكلومه التي تورم وجهها حتى قال يحيى :

– أنا آسف !

– بتتأسف لي أنا ؟!

– شتمتني !

– إشتمها !

صمتت ثم قالت :

– الحياة ماينفعش تتعاش كده يا يحيى !

إحنا مش في غابة !

– يعني القانون هايجيب لي حقي ؟!

– يمكن ! .. بس إسمك فضلت إنسان ! إستخدم ذكاءك قبل دراعك !

و إنت مش هاتحتاج حتى للقانون !

دوت كلمة "يمكن" في أذنه و إستمرت في عقله وتذكر الورقة التي كتبها ووضعها بجوار لاب توب والده في منزلهم ... يمكن ويمكن ! أي شيء في الدنيا ممكن !

لم يمر سوى ساعات قليلة ! ولكنها أصبحت لحظات ماضي ذهبية ! لماذا نندم كل يوم على الأمس ؟!

لماذا يمتلك الأمس سحر لا يقاوم ؟! حنين فظيع يسرقنا من الحاضر و إن كان أجمل !

أحيانا نشتاق إلى أوقات أليمه ماضيه فقط لأنها كانت ماضي ! هل لأننا لم نكن مطالبين بتحمل المسؤلية بعد ؟! أم أن الحياة تحاصرنا بالهواجس المُقلقه و الروتين كلما مر العمر فنشتاق إلى حرية الطفولة الأسطورية و متعة تجاربها الأولى في كل شيء !!

ترك السيارة في جراج أحد المولات القريبة , و دخل يحيى المول بصحبة سالي التي يبدو عليها أنها دخلت بيتها ! بعد فراق سنوات وما زالت تعرف كل ركن فيه !

أخذته إلى محل ملابس شبابي , كان البائع شاب في الثلاثينيات من العمر , ينظر بريبه إلى يحيى الذي عادت الحبوب الحمراء الصغيرة إلى جبهته و ذراعه , لم يظهر شكله الحالي للإعلام حتى الآن فملامحه تتغير وتتطور مع كل ساعه , نظر البائع لسالي بإستغراب ! كيف أوقع هذا المراهق هذه الفتاة الجميلة التي تكبره بعشرة أعوام على الأقل ؟! ولما ؟! هل هو ثري ؟! لا يبدو على ملابسه !

– أهلا وسهلا يا فندم

قالها البائع مرحباً و سار مع يحيى وهو يتفحصه متوجهين إلى قسم القمصان , إختار يحيى قميص أصفر مناسب لحجمه الحالي و طلب قميصان من نفس النوع ولكن بأحجاماً أكبر !

ترك البائع يحيى في البروفه وهو يقوم بتجربة الملابس , وذهب إلى سالي وبدت عليه المفاجآة :

– أنا بقول بردو ! مش إنتي ساره ثروت ؟!

– إيه الإسم ده ؟! .. لا مش أنا !

– إزاي بس ! ده نفس البرنيطه و اللبس الأسود بتاع الأندرجراوند !

– أندرجراوند إيه بقولك مش أنا !

– يمكن !

بعد عدة تجارب أنهى يحيى تجاربه و إختار ملابسه الجديدة بناءاً على ذوق سالي التي كرهت اللون الأزرق لأنه يعبر عن الشك ! و كذلك الأخضر الذي يذكرها بالمواد الكيميائية في معامل الكلية سابقاً , و إختارت له الأصفر المُبهج , و بنطال جينز أزرق فاتح .

بمجرد أن خرجوا من المحل سحبها يحيى من يدها بقوة دون أن يقصد إلامها فقالت :

– إيدي حاسب ! رايح فين ؟!

– محل الملابس الحريمي !

– ليه ؟! ..

فكرت ثم قالت مبتسمة :

– هاتجيب حاجه لماماتك ! أصيل يا يحيى !

كل دقيقة بتكبر في نظري ! .. لأ بتكبر في القيمة كمان يعني !

– لأ ماما إيه أنا عارف مقاسها أصلاً !!

أنا لحد دلوقت ما شوفتش غير نصها اللي فوق بس ! .. إحنا هانروح المحل عشانك !

– يحيى .. أنا جيت معاك عشان تنبسط مش أكتر

بليز يا يحيى ما تضايقنيش !

– أضايقك ؟!

سكت تماماً و سار بضعة خطوات بعيداً عنها و نظر لها وقال بصوت هاديء :

– يلا بينا ؟!

– هانزعل زي العيال الصغيرين ؟!

– لا والله مش زعلان ! أنا بقول يلا بينا هنا ..

و أشار نحو المحل و سحبها من يدها بقوة وهو يضحك شامتاً فيها , لم تستطع أن تقاومه ! في الحقيقة لم تستطع أن تقاوم نفسها ! هي حقاً تريد إنهاء هذه المرحلة الكئيبة من حياتها ! ربما هو الهدية المؤقته

التي أرسلها الله لها لتغيير دفة حياتها للأفضل ! ربما لم يكن العام الماضي يمت للحياة بصله ! كان مليء بالدماء و العقاقير و العمليات و المرض ! ذكريات مؤلمة تتذكرها كل ليلة ولا عزاء لها سوى الدعاء لوالدها الذي كان أمانها و سندها ! , مقاومة أمها التي تزعجها كل صباح بتراتيل عن فوائد الزواج و أضرار موت الأم قبل حضور فرح الإبنه و حمل الأحفاد !

دخلت محل الملابس وهي ترتدي ثوب الحداد و قبعة الكاوبوي , خرجت سالي شرف الدين التي كان يبتهج أبوها في كل مره يراها متألقه في ملابسها الجديدة !
بدأً من طرحتها حتى حذاءها كل شيء تبدل ! عادت جميلة ! مجرد تغيير بسيط في مظهرنا يجعلنا نشعر أننا أفضل من الداخل ! أن التغيير ممكن ! أي شيء في الدنيا ممكن !

في الطريق كان يسير يحيى بسرعه عالية على الرغم من تحذيرات سالي , نظر إلى ساعتها التي في يده و أدرك أن هناك متسع من الوقت ! إقترح عليها الذهاب إلى المكتبة فوافقت بترحاب شديد و إعجاب بالفكرة العبقرية و قالت في نفسها

– لابسين جديد عشان نروح المكتبة !

ترك يحيى السيارة بالقرب من بوابة المكتبة وترجل هو و سالي , لم تدخل هذه المكتبة قط ! إكتفت بكتب الروايات و بعض الكتب العلمية التي تباع في المكتبات الصغيرة !

كانت للمكتبة رهبه من نوع مختلف ! آلاف الكتب و مئات الأرفف الشاهدة على كل العلوم و الفنون و التراث و الزمن ! المشهد المُبهج الذي ينتظره كل قاريء !

كتب يحيى إسمه لدى أمين المكتبة و كذلك سالي , تاه يحيى بين كم الكتب الموجود ! حزن لأنه لن يستطيع قراءة الكثير , ربما يكمل كتاباً واحداً من الحجم الكبير إستغلالاً لعقليته الإستثنائية و ذاكرته البصرية المهوله !

إختار كتاب عن التاريخ و جلس بجوار رجل خمسيني أشيب الشعر , بينما أحضرت سالي كتاب البخلاء للجاحظ ! تعشق الأدب الساخر !

جلست أمام يحيى و الرجل , كانت تختلس النظرات ليحيى بينما هو لا يوليها أي إهتمام ومنهمك في القراءة وتقليب الصفحات بسرعة جنونية !

و يا للمفارقة ! فالجاحظ الذي تقرأ سالي كتابة هو نفسه كان يمتلك ذاكرة بصرية عظيمة !
كان يتسلل الجاحظ كل ليلة إلى المكتبة و يقرأ منها و بمجرد أن ينظر للصفحة يحفظها عن ظهر قلب !

إقترب الرجل من يحيى و قال :

– إنت بتعمل إيه ؟!

– ...

– محدش بيقرا بسرعه كده ؟! إنت فاهم حاجه من اللي قريته ؟!

نظر له يحيى و صب عليه كم فظيع من الملعلومات التي نظر إليها في الصفحات التي قرأها حتى الآن !

حكى له موجزاً عن الحضارة الفرعونية و عن المدن المختفيه التي لم يجدها أحد حتى الآن و عن المدن التي تم إكتشافها مؤخراً أسفل قاع البحر ! و عن الملكة الشابه "تيتي شيري " التي خلدت إسمها في التاريخ و قامت بإعداد جيشاً بأكمله و ألهبت خطاباتها حماس الجميع ! تعجب يحيى لما عرف أن تيتي شيري هي جدة

الملك أحمس الذي طرد الهكسوس من مصر ! و أنه خلد ذكراها و صنع لها التماثيل و أحد هذه التماثيل قابع الآن في المتحف البريطاني !!

تكلم الكتاب عن إخناتون الذي ظلمته بعض الاقلام ! أول من وحد الديانات في مصر الفرعونية ! و أول من ناصر المرأه ! و عن زواجه من نيفرتيتي شقيقته غالباً ! الملك المثيرة للجدل التي إختفت في ظروف غامضة البعض قال أنها قتلت و البعض قال أنها تنكرت في شخصية رجل و ظلت تحكم من الباطن !
حتى إبنها من إخناتون ورث منهم إثارة الجدل ! إبنهما الملك الأشهر في التاريخ الفرعوني صاحب التمثال الذهبي الشهير و القناع الذهبي المعروف "توت غنخ آمون" ! الذى مات في سن صغير وهو في عامه التاسع عشر فقط ! قتل توت غنخ آمون و ثارت شبوهات حول مقتله البعض قال أن شقيقته هي التي قتلته !

في كل الأحوال كان يحيى يتابع و يقرأ بعين متسعه ! نهم غير طبيعي ! حتى توقف عن قصة رابع الأهرامات الذي تم إكتشافه في الجيزة ! وهو هرم دجيدف رع إبن الملك خوفو !

فسَّر علماء الآثار عدم إكتمال الهرم ببعض التفاسير أقربها للصواب أن دجيدف لم يحظى بحب الناس و الشعبية مثل والده و شقيقه منقرع ! كان دجيدف أناني و مغرور و بقايا الهرم تشير أنه لم إكتمل لكان أفخم الأهرامات و لكنه ليس أكبرها حجماً , إرتعب يحيى و قال في نفسه :

– إيه اللي خلى الناس تنساه ؟!

حتى قال الرجل الجالس :

– مش ممكن !

– حضرتك بتقرا إيه ؟!

أعطى الرجل كتابه ليحيى , أدرك يحيى أن الكتاب أمريكي عن الفيزياء ! "كيف تعمل الأشياء – لويس بلومفيلد"

تصفحه يحيى بشغف رهيب و ترك كتاب التاريخ رماه بالقرب من سالي التي اخذها فضولها و حاولت النظر إلى محتوى كتاب الفيزياء !

كان يحيى يقلب الصفحات برفق كأنه يقدر قيمة ما يقرأ ! لماذا يحب الفيزياء ؟! لأنه يدرك بالفطرة أن الفيزياء موجوده في كل حركه و سكنه في حياتنا ! موجوده في كوب الشاي الساخن و حرارة الشمس و برودة الثلج ! موجوده في السُلم و المصعد ! في السيارات و حركة النجوم و حتى القدر !
قالها الخالق "كل شيء خلقناه بقدر" ! فالفيزياء هي القدر !

هي المتعه التي أفسدتها الدروس المقيته و المُعلمين المُملين الذين لا يرون فيها إلا منهج الدراسة !
لو رأى كل مُعلم فيزياء وجهها الحقيقي لظل ينتظر موعد الدرس القادم ليستمتع بها مع تلاميذه !

– يا ساتر يا رب !

قالتها سالي ضاحكة و دست وجهها في كتاب الجاحظ فقال الرجل الخمسيني ساخراً :

– شكلك كنتي علمي ! .. أنا دكتور منصور عبد الرحمن أستاذ الفيزياء
في علوم القاهرة !

– أهلاً وسهلاً ربنا يكون في عون حضرتك

قالتها سالي فضحك الرجل بأناقه و نظر إلى يحيى وقال :

– إنت بتدرس إيه ؟! كويس إن شاب في سنك بيجي المكتبة !
وبيقرا تاريخ !

كان وسط كتاب الفيزياء مجموعة أوراق بالإنجليزية لقوانين فيزيائية و في نهاية الورق معادلة غير مكتمله !

– المعادلة دي مش كاملة !

أومأ منصور رأسه ساخراً لأن الأمر واضح و حكى ليحيى انه جاء يبحث في الكتب عن حل لهذه المعادلة !

طلب يحيى منه مجموعة الكتب التي من شأنها تمكينه من حل المعادلة !

– يعني إنت عمرك ما درست فيزياء و عايز تحل المعادله دي ؟!

أشار الدكتور منصور على لحيته القصيرة و قال :

– هاجيبلك 4 كتب من الرف ده .. ولو حليتها هاحلق دقني !

– موافق !

قالها يحيى بحماس , وقام منصور بخطوات كسوله كأنه يعلم النتيجة مسبقاً , بينما نظرت سالي لساعتها وقالت :

– يحيى ! إحنا مش عايزين مشاكل !

– شكلك قمر بالحجاب الأبيض ده !

– إنت هاتقرا كل دول بجد ؟!

– الله يخرب بيت الموت اللي هياخد الواحد منك !

نظرت له بيأس و عجز عميقين , عاد منصور و وضع الكتب أمام يحيى وقال :

– ولو خسرت إنت الرهان ؟!

– عايزني أعمل إيه ؟!

– مانا مش هاضيع وقتي ببلاش !

ضحك يحيى ساخراً فضحكت سالي لما إستوعبت وقالت لمنصور :

– هو وقته أهم يا دكتور منصور ! .. هو وقته أضيق بكتير !

– لو خسر ها يقعد معايا لآخر اليوم هنا يلخص لي الكتب دي !!

– موافق !

فإنفعلت سالي :

– موافق إزاي ؟! .. لا طبعاً إحنا لازم نمشي !

لم يستمع يحيى لكلامها و بدأ في القراءة , بدى عليه الإجهاد و الحيره ! ينظر نظرات مرتبكه لسالي و كأنه يندم على قراره ! الفيزياء بحر لا يشبه باقي البحور ! لا يسطيع السباحة فيه إلا من يعرف قوانينه جيداً ! .. بعد مرور خمسة عشر دقيقة توقف عن القراءة و قال :

– ممكن أفهم الجزئيه دي ؟!

فأوجز له منصور و شرح المقصود , أكمل يحيى القراءة و بدأ الإرهاق الشديد يزحف على ملامح وجهه , و شعر برعشه مخيفه في معدته من شدة القلق ! يخشى أن يظل حبيس هذه المكتبه و تنقلب الدنيا رأساً على عقب في المستشفى ! أو ربما يموت شهيداً في سبيل الفيزياء !
أخيراً أغلق الكتاب الأخير بعد تقليب سريع للصفحات و التوقف عند الكثير من الفقرات و القوانين !

كتب يحيى سطراً واحداً أسفل المعادلة و أعطى الورقه لمنصور الذي إرتدى نظارته و صمت تماماً !

حتى قال في ذهول :

– لا يمكن أبداً !!

نظر إلى يحيى كأنه يشكره ! ولكنه قال :

– إنت !! في نص ساعة تعمل اللي أنا ما قدرتش عليه في سنين ؟!

هز يحيى كتفه في زهو بينما قالت سالي وهي تبتسم إعجاباً بيحيى :

– مش يلا بينا بقى ؟!

– يلا فين ؟!

قالها منصور و قال ليحيى :

– ممكن تديني رقمك ؟! .. مستحيل أسيب الدماغ دي !

– مش هاتستفيد حاجة يا دكتور !

– ليه ؟!

– عشان بنسبة كبيرة هاموت انهارده !

قالها يحيى ثم حكى لدكتور منصور كل شيء حدث منذ لحظة الولاده إلى الآن ! , فرت دمعه من عين منصور لم يستطع إخفاءها ! .. منصور عالم بحق ! كلما عرفت أكثر تواضعت أكثر و أصبحت إنساناً , وزادت آدميتك !

– ده سبب كافي يخليك تقضى بقيت عمرك معايا هنا !

– يا دكتور ؟!

– فكر فيها ! .. لو حليت معادله واحده بص من اللي حيروا علماء العالم
ها تخلد إسمك يا يحيى ! .. الإنسان مهما عاش حتى لو 100 سنة مسيرة يموت
المهم إسمك يبقى خالد !

تحول إمتعاض وجه سالي إلى إبتسامه ساخرة وتذكرت أن سُعاد كانت تريد لإبنها هذا الإسم ! .. خالد !

ولكن أي خلود يمنعها من الإستمتاع بباقي اليوم معه ؟! فليذهب العلم للجحيم ! فليذهب الخلود للجحيم مقابل لحظة واحده نهدرها دون الإستمتاع بها مع من نحب !

– يلا بينا يا يحيى ! أرجوك !

قالتها سالي و كررتها , بينما أخذ يحيى يفكر وبدت عليه العصبية و التوتر , وقال متردداً :

– إكتب لي يا دكتور منصور معادله منهم كده !

– يحيى !!!

نادته سالي بصوت عالي كأنه يجلس بعيداً عنها رغم قربه ! شعرت أن المسافه بينهما أصبحت بعد المشرقين !

■■■

في سيارة الأجرة حيث تجلس ثريا بجوار سيد , أشعل سيجاره و مسح عرقه فقالت له :

– إطفي السيجارة دي ! صدري هايتعب !

– هو لسه سليم يا حجه ؟!

– قل أعوذو برب الفلق ! .. إطفي الزفته دي !!

ألقى بالسيجارة بتأفف , أدار المُكيف و أغلق الزجاج فقالت :

– يا إبني صدري يتعب ! السجاير أرحم !

أوقف السيارة و طلب منها النزول :

– ما هي مش ناقصه حر و قرف !

هو مين اللي المفروض يمنع مين من التدخين ؟!

– وطي صوتك ! .. ونزل إيدك دي إنت بتشوحلي ؟! .. أيوه كده !

سيب التكييف بس سجاير لأ !

أكمل الطريق فقالت له ثريا بعدما نظرت للخلف :

– إنزل النفق بقى !

– نفق إيه يا ماما الحجه ؟! إنتي بقالك كتير في البيت ؟!

– أنا حافظة القاهرة شبر شبر من قبل ما إنت تتولد !

– ما هو عشان كده ! .. في Update نزل !

– ...

– يعني الدنيا إتغيرت !

– و الناس بقت وحشه يا سيد والله !

– محروق أبو الناس يا ستي ! هانعمل إيه دلوقت ؟!

– خليك في النفق للآخر بس

نظر سيد للسماء و تمنى من الله رباعية أهلاوية في المساء تعوضه عن هذا اليوم العصيب .

■■■

نظر يحيى للمعادله ملياً , حاول فتح الكتب ولكنه شعر بضجر شديد و تردد , وقال فجأة وهو ينظر لسالي :

– أسيبك أنا تحلق دقنك يا دكتور !

ضحكت سالي و شعرت بالنصر , تنفست الصعداء و شكرت الله في داخلها , قام يحيى من على كرسيه وهو يعدّل من قميصه الأصفر , وقال لدكتور منصور :

– يحيى حسين أبو مسلّم .. يكفي حل المعادله اللي فاتت بإسمي !

– يا يحيى فكر تاني !

– المره الجاية هاتحلق شعرك !

– إنت بتهزر ؟! يا يحيى الفرصة بتيجي للإنسان مره ؟!

– اللي قال لك إن الفرصه راح تجيلك مره واحده .. ضحك عليك !

قالها يحيى بهدوء ساخر سلّم على الدكتور منصور الذي وقف إحتراماً ليحيى و إحتضنه لا إرادياً ثم أرسله , غادر يحيى و معه سالي المكتبة التي بدت خطواتها أسرع منه كأنها تريد الهروب قبل أن يعود يحيى في رأيه .

نظر منصور لورقة المعادلة و إبتسم و جلس و أغلق الكتب و شرد بعيداً .

■■■

نظرت سالي إلى الساعة فطمئنها يحيى انه ما زال لديهم الكثير من الوقت ! و إنتهز فرصة خلو الطريق من السيارات تقريباً , فقط هذا الطريق بعيداً عن مناطق الذروة المرورية في مصر , و إنطلق بسرعة بالسيارة وهو يصيح بحماس

– أنا أسعد واحد في العالم !

وفجأة وجد بجواره رجل مرور فوق دراجته النارية يسير بنفس السرعة و هو يقول :

– إركن لي على جنب يا أسعد واحد في العالم

وضعت سالي يدها على فمها , لم تنطق بأي كلمة , بينما إنصاع يحيى لأوامر الضابط بعدما سار مسافة أطول فجعل الضابط يظن أنه سيجري و يهرب منه !

– حضرتك أنا ..

– بطاقتك !

– عايز أفهمك بس ..

– رخصتك و بطاقتك إنت لسه هاتتكلم !

– مش معايا بطاقة !

– لا والله ؟!

– ولا رخصه !

– ولا رخصه ؟! ما شاء الله

– لو في غرامه أدفعها !

–كويس إن معاك فلوس !

إبتسم يحيى إبتسامة مصطنعه و هنا خرجت سالي من السيارة وهي تحاول الشرح للضابط الذي لم يقبل منها أي كلمة , أمسك هاتفه و أجرى إتصالاً و قال ليحيى :

– لو عايزه تروحي هاتي بطاقتك أتأكد إنك تمام .. هو هايشرف معانا شوية !

– يا فندم في حاجه حضرتك مش عارفها !

قالتها سالي , فقاطعها الضابط :

– شكلك عشرينات .. خلصت جيشك يلا ؟!

– ما دخلتش الجيش !

– وحيد يا حماده ؟!

– إسمي يحيى ! ووحيد آه !

– فين الإعفا ؟!

– مش معايا !

– أنا هاعرفك إزاي تعيش طرزان كده من غير بطايق ولا رخص !

– أنا عايز أعمل مكالمة ! .. أنا عايز وزير الداخلة !

تدخلت سالي و أيدت كلام يحيى :

– ممكن حد يتصل لنا بالوزير ؟! ضروري ؟!

– وزير إيه يا روح أمك ؟! هو فاضيلك !

– كلمه عشان زمانه فعلاً بيدور عليا !

أجرت سالي إتصالاً بفريد وتكلمت وهي تلتقط أنفاسها , و بعد ثواني من إنتهاء مكالمتها أو ربما دقائق مرت على إنها سنوات جاء إتصال على هاتف سالي من مكتب وزير الداخلية شخصياً !

– يا فندم ده مُخالف ! وداخل في شارع عكس ! مش معاه لا بطاقة
ولا رخصه ولا ورق الجيش ! وماشي بسرعة مخالفة .. أوامر سعدتك .. حاضر

أعطى الضابط الهاتف لسالي وهو ينظر لها بإحتقار و غضب فقالت :

– حضرتك اللي مكنتش عايز تصبر عليه .. الإنسان ده مولود الصبح !

– قولي والله !

– والله ! .. و إحتمال كبير يموت بليل !

– لا يا شيخة فال الله ولا فالك !

– عشان كده مالهوش ورق ولا شهادة ميلاد حتى !

– لولا إنك شكلك بنت ناس كنت قولت سكرانه !!

طلب منها يحيى الدخول إلى السيارة و إنهاء الكلام و نظر للضابط بإستعلاء ! و قال له :

– شوف الأخبار و ها تفهم !

– إطلع قدامي على مكتب الوزير من سُكات !

قاد الضابط السيارة حتى مقر الوزارة , و ترك يحيى في مكتب الوزير شخصياً , شكر الوزير الضابط و أمره بالإنصراف ! فإنصرف متعجباً و مستنكراً يتوقع أن يُعامل يحيى أفضل معامله رغم كل ما حدث !

في نفس اللحظة كانت ثريا تبحث مع السائق سيد عن الطريق الصحيح ! سألوا سائقين آخرين فعرفوا و إتبعوا العنوان الموصوف هذه المره , لما عرف سيد إسم المستشفى قال :

– يا دين النبي ! لاا أنا هانزلك على أول الشارع و أخلع !

– إستهدى بالله بس ! ليه ؟!

– ده الدنيا هناك زحمه ياما يا ماما الحجه ! .. إيشي عساكر
على صحفيين على عالم من كل شكل ولون !

– ليه إن شاء الله ؟! ملكة إنجلترا هناك ؟!

– لأ بيقولوا في عيل إتولد و مات باين ولا هايموت حاجة كده !

إنقبض قلبها فجأة حتى أنها وضعت يدها على قلبها , عادة ما تهرب ثريا من الأخبار السيئة !
لا تحتملها ! ربما هذا "العيل" هو حفيدها ! و لأن حسين يعلم أمه جيداً رفض أن ينقل لها أي خبر !

أن تفقد عزيز فهي مصيبة .. أما أن تفقده و أنت لم تره فهي فاجعه !

في مكتب الوزير جلس يحيى و بالقرب منه جلست سالي و بدى عليها الحذر , قدم لهما الوزير عصير الليمون و قال بلهجه جديه :

– طبعاً أنا عارفك .. ومقدر حالتك .. بس ده ما يبررش إنك غلطت !

– يا فندم أنا لقيت الشارع فاضي مش أكتر ! ...
مستخسرين فيا أنبسط في اليوم اللي حيلتي ؟!

– كلنا بنعيش أي يوم وعارفين إنه ممكن يكون آخر يوم !
معنى كده إننا نعمل زيك يا يحيى ؟! .. لا طبعاً !

– أنا آسف !

– إفرض إنك دوست حد بالعربية ؟! نقول إيه لأهله ؟!

– حضرتك أدرى في المواقف دي !

– قصدك إيه ؟!

تدخلت سالي بعدما شعرت أن إحتمالية خروجهما من الوزارة تتضائل :

– إحنا آسفين يا سيادة الوزير و أوعدك مش هاتتكرر !

– أفهم الأول كان قصده إيه ؟!

جاء إتصال هاتفي للوزير قطع الصمت الخانق في الغرفة , سرعان ما إبتسم الوزير وقال :

– أهلاً أهلاً تشرفي يا أستاذه ! .. مين ؟! .. 2 مليون ؟! .. لا لا حاضر !

هو في إنتظارك .. العفو !

أغلق الهاتف و أقترب من يحيى الذي ينظر للوزير بقلق , جلس الوزير أمامه وقال :

– إبسط .. مصر ها تديك 2 مليون جنية يا عم يحيى

– 2 مليون ؟!

قالها يحيى و إتسعت عيناه فجأة , وكانت سالي مندهشه بالفعل فقالت :

– لافته إنسانية حلوه من مصر !

– أمال يا دكتوره ! ده إبننا ! كفاية إنه مالحقش نصرف عليه و على تعليمه و جوازه !

– هي مصر كانت هاتصرف عليه 2 مليون لو عاش عمره ؟!

قالتها سالي ساخره فأسكتتها نظرة الوزير الجديه الغاضبه , ثم قال الوزير :

– مشيرة حكيم الإعلامية المعروفه .. دقيقتين بظبط وتكون هنا .. هاتعمل معاك حوار وتمشوا كلكم بالسلامه إتفقنا ؟!

– إتفقنا سعادتك !

قالها يحيى و لا يفكر سوى في سؤال واحد : ماذا سأفعل بهذه الثروة الغير متوقعة ؟!

أثناء إنتظار مشيرة , سال الدم فجأة من أنف يحيى فصرخت سالي و قامت محاولة كتم الدم و طلبت منه رفع رأسه قليلاً !

إنزعج الوزير ورفع السماعه , جاء طبيب خاص بمكتب الوزير و إكتشف أن يحيى لديه هبوط خفيف , طلب له الوزير بعض العصائر و بعد دقائق بدأت حالته في التحسن مع ترامي صوت مشيرة إليهم من خارج المكتب

أول خاطره جاءت في بال سالي قالتها لنفسها :

– هي دي بقى مشيرة ؟! مش حلوه زي التلفزيون !

شد ما رحب بها الوزير و أجلسها أمامه , ودخل معها طاقم تصوير مخصوص و قليل العدد , دائما ما تعرف مشيرة ما تريده بالضبط ! و تلتزم بقواعد اللعبه متى كانت !

■■■

الساعة السابعة

2 ظهراً

ماذا ستفعل لو جاءت لك فرصة ذهبية للخلود ؟! الخلود في عصرنا هو الظهور على الشاشة ! إظهر بأي شكل ! و أي وسيلة ! ربما يكون خلودك مؤقتاً يكفيك أن تثير الجدل بشيء تافه فيجعل منك المشاهدين

و مُحبي الفضائح و مُحترفي قضاء أوقات الفراغ على عرش البطولة و الشهرة ! ستجد "هاشتاج" بإسمك إن كنت بطل الحدث أو سيحمل الهاشتاج عبارة قولتها و لفتت الأنظار ! نحن أمهر من يصنع "الترينـد" من شيء تافه !

أو ربما يكون خلودك أبدي أبد الحياة ! لو كنت بالفعل ممن ينفعوا الناس فيمكثون في الأرض !
و من حظ يحيى السعيد أن من ستجري معه الحوار هي ألمع الإعلاميات الآن ! مشيرة حكيم !

التي تهتم بزبد البحر و أيضاً ما ينفع الناس ! أو ربما توهم الناس و تقنعهم بأن الزبد ينفعهم و العكس !

على كل حال تغلب يحيى على رهبة الظهور الأول و الأخير غالباً على شاشات التلفاز ! , ماذا سيقول ؟!

هذا ما سوف تحدده مشيرة و أوراقها الكثيرة المتناثرة .

تلقت سُعاد مكالمة من سالي تخبرها بأمر التصوير التلفزيوني مع يحيى و طلبت منها فتح التلفاز فوراً , فرحت سُعاد بالفرصة المجانية كي ترى إبنها من جديد , كم كانت تبغض مشيرة في السابق ولكنها الآن تشكرها !

تشعر أن هذا التصوير سيظل ذكرى جميلة وشاهد على وجود إبن لم يكتب له القدر البقاء طويلاً .

تم بث كم لا بأس به من الإعلانات ! ولو إنتظرنا يومين فقط لوجدنا شيبسي يحيى و عصير يويو و كومباوند بورتو يحيى لم لا ؟!

جلست نرجس بالقرب من سُعاد تنظر إلى التلفاز وتعلق على بعض الإعلانات "شوفي البت ؟! مش دي بتاعة مسلسل هي و الذئاب ؟! .. الشيف ده لا يُعلى عليه الله يبارك له .. جبت السمنه دي وطلعت عادية غالية على الفاضي والله يا مداد سُعاد"

لم تستطع سُعاد إسكات ثرثرة نرجس ولكن بدء البث التلفزيوني أجبر الجميع على المشاهدة !

من مكتب وزير الداخلية المهيب كانت تقف مشيرة بملابسها الأنيقه المعتاده و تسريحة شعرها المميزة , تتكلم بحماس و سعاده غامرة , تعرف أنه سبق ! وتعرف أنه حدث لم ولن يتكرر في العالم كله !

جلست سالي وراء الكاميرات , بينما جلس الوزير بجوار يحيى أمام مشيرة , بدى على الوزير إرتياح كبير فهو يعرف مشيرة حق معرفه و كان يعرفها والدها رئيس تحرير جريدة شهيرة قلت مبيعاتها الآن بعد أن تقاعد الرجل و إكتفى و أعطى الفرصة للجيل الجديد !

إبتسمت مشيرة إبتسامتها الساحرة المعهوده للكاميرا و قالت بصوت أنثوي مفعم بالحيوية :

– نهاركم سعيد و حلقة جديدة مش زي أي حلقة , انهارده يوم تاريخي مش بس على مصر !

لكن كمان على العلم و العلماء ! و على الإنسانية كلها , زيّ زيكم ما صدقتش !
المنطق و العقل يرفض الحدث ده , لكن القلب و الفطره تقول إن ربنا قادر على كل شيء !

معانا ومعاكم انهارده الطفل اللي قنوات العالم دلوقت كلها بتتكلم عنه ! ..

إبتسم يحيى بصوت منخفض وجاءت الكاميرا عليه فإبتسمت مشيرة وهي تنظر له وقالت :

– الحقيقة هو ما بقاش طفل ! .. شاب ما شاء الله ! الحقيقة الموضوع مربك و خرق لكل السنن و الطبيعة ! معانا يحيى حسين الطفل المولود وهو مُصاب بتأثير التريفاموجا .. منورنا يا يحيى

ما إن ظهرت صورة يحيى على الشاشة حتى دمعت عين سعاد من الفرحة و طلبت من نرجس أن تقوم برفع صوت التلفاز لأقصى حد , تريد أن تشبع من صوته و صورته أكثر و أكثر !

كل شيء يصبح مُمل بالتكرار إلا على الأم , فرؤيتها لأولادها في كل مره لها فرحة و كأنها تراهم لأول مره !

شعر يحيى بالخجل و إحمر وجهه فزاد ذلك من حرارة جسمه وهو يرد على مشيرة :

– أهلاً بحضرتك

– و معانا سيادة وزير الداخلية اللي بننقل لحضراتكم البث من مكتبه أهلاً يا فندم

– أهلا بيكي يا أستاذه مشيرة .. أنا حابب بس أقول كلمة للشعب المصري , إبننا يحيى هانعمل المستحيل عشان يكمل بقيت عمره طبيعي .. اللقاء ده مش وداع قد ما هو تعارف عليه !

– طبعاً يا فندمكلنا بنتمنى ليحيى الشفاء و العمر الطويل .. نرجع ليك يا بطل

إبتسم يحيى مجاملاً فقالت المذيعة وهي تضع الأوراق على الطاوله أمامها :

– حسيت بإيه طول الساعات اللي فاتت ؟! حاسس بإيه دلوقت ؟!

كل الصور طرحت نفسها أمام ذاكرته كأنه يراها ويحسها , كل ثانية مرت عليه يتذكرها , حتى أحداث الساعة الأولى يشعر أنه يراها و يحس بإحتضان سالي له في لحظاته الأولى ! لم يعرف حتى الآن أنها أنقذت حياته و أول من إنتبه إلى انه حي يرزق ! و إلا ما كانت المحاليل ستعمل على إبقاءه حياً و يتم التواصل مع هوفر ! سلسلة قدريات مدبره من السماء لا دخل لنا بها سوى المشاهدة أو فعل ما يجب علينا على أتم وجه !

إبتسم و قال وهو ينظر لسالي التي تبادله النظر :

– مش فاكر أول ساعه كنت حاسس بإيه طبعاً لكن بمجرد ما قدرت أمشي و أنا بحس بصداع خفيف بيجي ويروح ! حاسس إني أعرف كل حاجه و واعي لكل حاجة و ساعات تقريباً يغمى عليا ! , أكتر من مره أمسك نفسي من الألم مع كل خليه بتكبر في جسمي !

الحبوب الحمرا اللي بتظهر وتختفي دي مؤلمه جدا ! لعنه ! .. قدرتي على الحفظ ممكن حضرتك تحسديني عليها لكن في الحقيقة هي بتعصر مخي !

– سلامتك يا يحيى .. طب الحقنه بتخفف الألم ؟!

ضحك و أخبرها أن الحقنة تعيد له الألم من جديد كلما سكن ! و شبه الحقنة بماء النار الحارق !

كانت سالي تستمع و تشعر بأن كل جزء في جسدها يؤلمها كلما ذكر يحيى جزء من جسده كان يؤلمه !

لا تعرف لما تشعر بدوار و صداع بسيط حينما قال ذكر يحيى وصف صداع رأسه !

شردت المذيعة كأنها تتخيل ما يحكيه يحيى وقالت :

– نفسك في إيه يا يحيى ؟! .. بص للكاميرا

سكت لحظات طويلة ولم يعرف بماذا يبدأ ! حتى "غمزته" مشيرة ليتذكر أنه على الهواء !

كانت سُعاد تتابع بحنين و حزن لقاء إبنها على التلفاز , بينما نرجس إستأذنتها و أشعلت سيجارة , ثم أخذت نرجس تبكي و تمسح دموعها بيدها وهي تمسك السيجارة فضحكت سُعاد رغما عنها !

حتى قال يحيى :

– أمي ! .. نفسي أمي تكون جمبي طول الوقت ! .. أنا بستنى أرجع المستشفى عشانها !
نفسي ألحق أعمل حاجة تفرحها ! .. نفسي أعيش عشانها .. نفسي في حاجات تانية ,
نفسي أشكر ربنا عشان حياتي قصيرة ! لو كنت عايش طبيعي كان زماني زي أي شاب
مش عارف أبدأ منين ؟! مش عارف إزاي أجيب شهادة خبرة عشان أشتغل لأول مره ؟!
كأنهم بيقولولنا اللي إشتغل خلاص إشتغل ! .. مش هاحمل هم شبكه وشقه ومهر !
ولا أحلام أستناها سنين و أتصدم فيها ! , بس عارفه حضرتك .. نفسي أعيش و أجرب
حتى لو التجربة مؤلمه بس الحياة حلوه , فيها حد بيحبك , بيخاف عليك !
كل ما بننجرح ونقوم القومه بيكون طعمها لذيذ ! نفسي ألحق قومه واحده بس !

و أثبت للعالم إني واقف على رجلي ! إني قدرت أعمل حاجة صح ولو صغيرة !

تدخل الوزير محاولاً تغيير الأجواء الدرامية :

– ده بأمارة المخالفات المرورية ؟!

نظر له يحيى و لم يتكلم إكتفى بالإبتسام خجلاً بينما قالت مشيرة :

– معانا دكتورة سالي شرف الدين .. إتفضلي

إتسعت عين سالي و إحمر وجهها و حاولت الخروج من باب المكتب و الهروب لكن الوزير نظر لها

فقررت الإستسلام , أحيانا الإستسلام لأمر يغير فكرتنا عنه !

جلست بجوار مشيرة و إنهالت عليها مشيرة بالأسئلة عن صحة يحيى وطبيعة المرض ! كانت سالي تنظر في ساعتها فقالت مشيرة بفضول :

– بتبصي في الساعة كتير !

– عشان معاد الحقنة التالتة قرب !

– خايفه عليه ؟!

سكتت ولكنها قالت بسرعه :

– مصر كلها خايفة عليه يا أستاذة !

– بمناسبة مصر , إيه رأيك في مصر يا يحيى ؟!
إنت عندك ذاكرة مرشد سياحي يعني سؤال في المكان الصحيح !

إستجمع يحيى أفكارة و بمجرد أن بدأ ينطق قالت مشيرة :

– معلش فاصل إعلاني سريع و بعدها آخر فقرة مع حلقتنا الخاصة
مع يحيى حسين .. إبقوا معنا قناة بي يو

توقفت الكاميرا و تنفست مشيرة الصعداء و إقتربت من النافذة مستأذنة الوزير في فتحها , بدى عليها الإرهاق و الشعور بالإختناق في الغرفة , نظرت لها سالي بإستغراب ! , تلقت المذيعة إتصالاً من مدير القناة كانت تقول :

– أخلص من الحلقة دي و هاجي ... إعمل حسابك على النسبة !
مفيش حاجة تتباع لوكالات الأخبار الأجنبية إلا لما أكون موجودة ! .. أوكيه

– إنت كويس ؟!

قالتها سالي بهمس ليحيى الذى حاول طمأنتها ظناً منه أنها لا تعرفه حق معرفة و تشعر به أكثر من أي شخص , حتى قال الوزير :

– في حرس خاص هايرافقك لحد المستشفى

– شكراً يا معالي الوزير

قالها يحيى فضحكت سالي في داخلها وقالت لنفسها :

– 2 مليون جنية و حرس خاص متشكرين يا مصر

مال الوزير على أذن يحيى وقال بلهجة أبوية تحذيرية :

– خف شوية في كلامك ! إنت فاهمني طبعاً !

– أنت قولت اللي جه على بالي

– البلد مش ناقصة يا يحيى , خليك في الكلام عن حالتك !
مالك إنت ومال شهادات الخبرة !

– سعادتك ..

– بس عشان الأستاذة مشيرة خلصت

إبتسم الوزير لمشيرة و عاد البث , لتبدأ الفقرة كعادتها بالإبتسام , هادئة وواثقه و لا يبدو عليها سوى التركيز

– نرجع لسؤالنا عن مصر يا يحيى .. إتفضل

– مصر يا أستاذة دي محدش يقدر يوصفها ! اللي يعيش فيها 100 سنة
مش هايديها حقها ! ما بالك يوم ! ... أنا بحمد ربنا إني إتولدت في مصر

قالها وهو ينظر لسالي و أكمل :

– مصر حسستني إني بني آدم ! إحساس إنها تعرفك من سنين !
خوفها عليك ! طيبتها ! حتى لما بتتعصب !

– هي مين دي اللي بتتعصب ؟!

قالها الوزير فإرتبك يحيى و قال :

– في زحمتها يعني و الماتشات , مصر حلوه في كل أحوالها !

سكت لحظة و إبتسمت مشيرة وكأنها معجبه بكلامه حتى قال :

– مغاوري ! .. مصر هي مغاوري و دكتور منصور !
لعيبة كتير شوفتهم في الشارع أحرف من ناس كتير في الملعب ! حلاوة مصر في الناس دي !

– لعبت كوره يا يحيى ؟!

قالتها مشيرة فضحك قائلاً :

– إتعلمت في دقايق و جبت 11 جول !

قهقه الوزير و ربت على كتف يحيى , و أنهت مشيرة اللقاء داعية إلى الله بأن يمن على هذا الشاب المصري بالعافية و يطيل عمره قدر الإمكان !

غادرت مشيرة المكتب في قمة السعادة و قبّلت يحيى , فسلمت عليها سالي بعدها بجفاء شديد

و كذلك ودع الوزير يحيى و أمر بسيارة خاصة ترافق سيارة يحيى أينما ذهب و حل !

كانت خطوات سالي و يحيى مسرعه للغاية كأنهم فارين من حرب أهلية ! ولكن الحقيقة أن الوقت يمر ! و ضاع الكثير من الوقت بصحبة مشيرة حكيم و رفاقها المدججين بالكاميرات !

لم يترك أحد من طاقم التصوير يحيى إلا و قد أخذ صورة "سيلفي " معه ! أما سالي فلم يعيرها أحد إهتماماً سوى صحفى يعمل لدى مشيرة طلب منها أي تفاصيل عن حالة يحيى فرفضت فأعطاها الكارت الخاص به ليسجل معها حواراً في يوم هاديء تروي فيه تفاصيل هذا اليوم و هذه الشخصية الإستثنائية في عمر البشرية !

■■■

الساعة الثامنة

3 عصراً

صرخ يحيى بينما يسري العقار أصفر اللون في جسمة , تخطت صرخاته الغرفة التي كان يرقد فيها و أمامه د.هوفر و المترجم و وزير الصحة و سالي و حسين والده , فكر حسين في الهروب من الغرفة ولكن عاطفة الأبوة حتمت عليه البقاء بجوار إبنه .

دمعت عين سالي للمرة الثالثة كعادتها مع كل عقار ولكن هذه التأثر يزداد عقار بعد آخر ! ينقبض صدرها كلما جال خاطرها نحو المستقبل و طاف شبح الموت و الفقد من جديد أمام عينيها !

ربما يرحل يحيى عن عالمنا الليلة ! أليس الليل بقريب ؟!

همس هوفر في أذن يحيى و قال ما ترجمه المترجم ليحيى بهمس أيضاً :

– في الساعة السادسة سيحين موعد العقار الأحمر المُنقذ لحياتك يا صغيري !
و ذلك بعد الحقنة الصفراء الرابعة !

هز يحيى رأسه بإعياء , هذه الحقنة تهده في اللحظات الأولى ! لعينه و قاتله ! مؤلمة و لابد منها !

سمعت سالي الهمس ! فنحن نشعر و نسمع دبيب النمل إن أردنا ! و إن توفق على الأمر حياتنا أو حياة أحد من أحبابنا !

خرج حسين من الغرفة وهو يقاوم الصراع الذي بداخله , أعصابه لم تعد تحتمل هذا اليوم متنوع الآلام !

بينما هو خارج رأى شبح سيدة قادمة من نهاية الطرقة ! عرفها و قال بصوت مسموع :

– يا نهار إسوخ !

إقترب منها بخطوات بطيئة ولكنها كانت تقترب منها وتهرول قدر الإمكان , قبّل يد ثريا أمه التي بادرته :

– بتبوس إيدي ؟! لا والله ! .. سُعاد فين أنا ماليش كلام معاك !

نظر لها و بدى عليه رغبة عارمه في الإرتماء بين أحضانها فقالت :

– مالك يا حبيبي ! .. في إيه ! ...

سبق السيف العزل و ألقى حسين بنفسه في حضن أمه متناسياً كل آلام الدنيا وهارباً من مستقبل مخيف ينتظره لا محاله

– يا حبيبي ! .. قول لي يا ولا في إيه ؟!

خرج يحيى من الغرفة بصحبة سالي التي تسنده , كتم حسين بكاءه و إبتلع دموعه فتعجبت ثريا وقالت :

– مالك يا حسين ؟! بص لي هنا !

إستدار لها حسين و أشار ليحيى ليقف بالقرب من ثريا , وضع حسين يده على ولده وقال لها بفخر :

– الحمد لله يحيى كويس يا ست الكل

شعرت سالي بأن هناك حالة ستثاب بأزمه قلبية بعد ثواني و بدأت تنظر لثريا بترقب , بينما ترد ثريا :

– خلعت قلبي الله يسامحك يا شيخ ! .. الحمد لله .. هو فين بقى ؟!

وفين سُعاد ؟! و فاطمة ؟! .. إستنى كده إنتوا سميتوه يا أندال من ورايا ؟! .. حلو يحيى !

فقالت سالي بزهو :

– ميرسي يا طنط أنا اللي إختارته !

– ياختي على القمر ! تعالى قربي جمبي

إقتربت سالي من ثريا التي قبلتها و أثنت على جمالها و قال يحيى وهو يستعد لإحتضان ثريا :

– ماما ثريا حبيبتي , بابا حكى لي عنك

– إيه ده في إيه ؟! .. إتلم يا إبني !

– أنا يحيى !

– خطيب البت دي ؟! فيكو شبه من بعض والله ! يبقى عشان كده إختارت إسمك لحفيدي !

– يحيى حفيدك يا تيته !

دوار مفاجيء و إحساس بأن الدنيا تدور بلا هواده في عين ثريا جعلت حسين يجري عليها :

– ماما !!

– حفيدي مات و بتمهدولي يا حسين ؟! كده تعملوا فيا أنا كده ؟!

– والله يا ماما ده حفيدك !

– ...

أجلسها حسين على أحد المقاعد و حكى لها كل شيء ! لم تصدق و ما زالت بقايا الشك عالقة في ذهنها لكنها بكت و ضمت حسين بقوة كأنها تريده أن يلمس قلبها !

إقتربت من يحيى بتوجس و ريبه تحولت إلى إندفاع و عناق حزين عنيف ! دموع متناثره !

ملعونه تلك اللقاءات الأولى التي نعرف أنها ستكون الأخيرة مسبقاً !!

قبل يحيى يدها و أسندها وهما يسيران إلى غرفة أمه ! أخذت ثريا تتأمله فقال لها :

– إنتي جميلة أوي يا تيته !

– إنت أحلى يا حبيبي !

قبل أن يفتح الباب عدلت من ملابسها لتكون في أحسن صورة أمام سُعاد كعادتها و سألته :

– هو الحقنه دي مضمونه ؟! يا رب ونبي تيجي بالشفا !

دعت وهي موقنه بالإجابة , أما يحيى فشعر بقشعريرة في صدره سرت في ضلوعه , هز رأسه كأنه يؤمن على الدعاء و فتح الباب

■■■

إنتفضت سعاد بمجرد أن رأت يحيى و قامت من رقادها و طلبت من نرجس مساعدتها لتسند ظهرها على الوسادة , أخيراً وصل يحيى إلى حضنها بعد فترة عصيبة ماضيه

– حمد الله على سلامتك يا سوسو !

هكذا قالت ثريا وهي تقترب من سُعاد لتحتضنها و تقبّلها فقالت سُعاد في نفسها "سوسو ! منذ متى ؟! "

جلست ثريا بينما خرج يحيى و إستأذن أمه و جدته بعدما طمأن سُعاد عليه و حكى لها كل ما حدث في المكتبة ! فرحت أيما فرح بنبوغه و ذكاءة ! وحزنت أيما حزن لما تذكرت الوضع المؤقت لهذا الحلم !

كانت ثريا تستمع له و توزع النظر بين حفيدها و بين أمه المسكينة و بين نرجس التي تنظر ليحيى بعين متسعه منتظرة أن يخرج الأرنب من جيبه مثل السحره و تتلو آيات القرآن بصوت مسموع وما تظنه نرجس مسموع !

ما إن خرج يحيى حتى تنازلت ثريا عن تعاليها و إقتربت وجلست بالقرب من سُعاد التي إنكبت على كتفها و أخذت تبكي , لم تتخيل ثريا قط أن يأتي اليوم الذي ستتعاطف فيه مع سُعاد وتشفق عليها !

– بس بقى وحدي الله يا سوسو !

– كان نفسي أمي الله يرحمها تكون جمبي !

– و أنا مش زي أمك يا ندله ؟! .. وحدي الله عشان خاطري

– لا إله إلا الله ! .. صبرني يا رب

– إيه ده ؟! إلحقي ! .. يحيى في التلفزيون !

إبتسمت سُعاد وهي تمسح دموعها وتقول بصوت مبحوح قليلاً يجعلها تبدو أجمل ! :

– إنتي ما إتفرجتيش ؟! صوروا معاه من شوية في مكتب وزير الداخلية !

– هو وصل لوزير الداخلية ! ... إيه ده مش دي البت مشيرة الصفره ؟!

ضحكت سُعاد و أومأت برأسها و قالت :

– زي القمر حبيبي !

– بسم الله ما شاء الله عليه بقى راجل قد الدنيا !

إن شاء الله الحقنة هاتجيب مفعول أنا قلبي عمره ما بيكدب !

– عمره ؟! .. بس يا طنط أنا خايفه أوي ! .. دكتورة سالي بتقول إن الحقنة خطره !

– دي البت العسل اللي واقفه معاهم بره ؟! .. دي بتقول إنها اللي إختارت الإسم !

– آه ما هو جالي متسمي جاهز .. بذمتك مش إتفقنا على إسم خالد !

– خلينا في المهم .. إيه بقى موضوع الحقنه دي !

تنهدت سُعاد وقالت وهي تحترق من الداخل :

– بتقول إن جسمة ضعيف و الحقنة قوية ممكن تأثر على قلبة

– الشر بره وبعيد !

– البت دي أول ما إتولد فضل يعيط وسكت على إيدها هي بس !

– و إنتي كنتي فين يا ست هانم !

– تحت تأثير البنج لو ما يضايقكيش يا ثريا !

– اه صحيح .. إيه حكاية البت دي !

– مبسوطه بيه .. يا ريته يعيش و الله أجوزهولها !

– مش قصدي حكايتها هي ! قصدي الحقنه الهبابه دي !

– مش عارفه يا طنط قلبي مقبوض

– ما بلاش طنط دي ! .. إن شاء الله هاياخدها و يبقى زي الفل !

– يا رب يا طنط يا رب

نظرت ثريا لسُعاد و حاولت إخراجها من هذه الحالة بشتى الطرق ! , حينما تضعنا الظروف في المواقف الصعبه نجد في أنفسنا ما لم نجده من قبل ! نتحول ! يخرج منا شخص لم نكن نعرفه أو نكتشف أسراره بعد ! هذا ما نسميه "معدن الإنسان" !!

طرقت فاطمة الباب و دخلت وهي تحمل الطعام لسُعاد ففوجئت بأمها ثريا , نظرت لها ثريا نظرت عتاب مرعبه , حاولت فاطمة شرح موقفها لأمها فسهلت ثريا عليها الطريق و سامحتها .

خرج يحيى ليجد حسين وسالي و د.مرزوق بالخارج , قال حسين وهو يقترب منه :

– الوزير إداك شيك بجد ؟!

نظر يحيى لسالي فضحكت بخجل , أخرج يحيى الشيك فأمسكه والده :

– هاته هاحوشهولك لحد ما نخرج من المستشفى بعد الحقنة

– عارفه أنا موضوع التحويش ده من أيام العيدية

علقت بها سالي ساخرة , نظر لها حسين بضيق بينما تسائل يحيى ضاحكاً :

– هو أنا ممكن ما أخرجش من المستشفى حي ؟!

فردت سالي :

– لا يا حبيبي أنا قصدي هاتخرج بس إنسى الشيك

قطع د.مرزوق الحوار :

– يحيى عايزك في كلمة

تحرك الإثنان بعيداً عن سالي و حسين الذان ينظران , وقال مرزوق :

– أنا خايف عليك !

– من الحقنه ؟! و أنا كمان خايف والله !

– لا من الآخره يا فالح ! .. يحيى إوعى تنسى إنك ممكن تروح في أي لحظة لربنا !

– ونعم بالله .. إنت شايفني غلطت ؟!

– لأ .. ما أعرفش إنت بتعمل إيه بره أصلاً ! بس حاول تلتزم أكتر !

نظر يحيى لسالي فشعر أن مرزوق يلمح بكلامه عنها , وعده يحيى بأن يستمع لنصيحته , إنصرف د.مرزوق إلى الجهه الأخرى بينما دخل أعطى حسين الشيك ليحيى ضاحكاً :

– خد يا عم فلوس مصر أمك ! .. و أدخل أنا أشوف أمي و أمك

وضع يحيى الشيك في جيبه وهو يضحك , و إنتهز الفرصه و نظر في عين سالي و قال :

– بحبك !

– يحيى !!

نظت له بجديه فتابع قائلاً :

– مفيش وقت أخبي ولا أستنى ! يا عالم هاعيش لحد ما أقولها ولا لأ !
ما يهمنيش بتحبيني ولا لأ ! .. أنا بحبك !

– ما تتعبنيش معاك يا إبن الحلال !

– هو الحب تعب ؟!

– كل ما بتكتر الذكريات كل ما بيتعب أكتر !

– هاموت يعني ؟!

– بعد الشر عنك .. إنت مش هاتاخد الحقنة !

نظر لها بتعجب شديد ثم قال بيأس :

– إنتي اللي بتقولي كده ؟!

ردت وهي تعتصر قبضة يدها :

– عشان أنا الوحيده اللي عايزاك أطول فترة ممكنه معايا !

– طب ليه هوفر مصمم على الحقنة لو كانت خطر للدرجة دي ؟!

– أجنبي بارد .. متعود يعمل تجارب على حساب البشر و يبرر ده بإنه في سبيل العلم و إسعاد البشرية ! بيدور على مجد علمي مش أكتر يا يحيى ! .. ماتت منه الحاله الأولى و معندوش أي مانع تروح منه التانية !

أنا بقى معنديش إستعداد الحاله دي تروح بسببه !

أخفى خوفه بإبتسامه و أخفى إرتباكه و الصراع الذي إحتدم بداخله و ذهب إلى الضابط المُكلف بحراسته هو و حارسان آخران ينتظران خارج المستشفى في السيارة , إقترب منه يحيى و قال :

– ممكن طلب يا فندم ؟!

– إتفضل !

– إسم حضرتك إيه الأول ؟!

– نعم ؟! .. باسل يا يحيى .. عايز إيه ؟!

– ممكن نروح الهرم ؟!

– إنت متأكد ؟! عايز إيه من الهرم ؟!

– الأهرامات ! .. في مشكلة ؟!

– التأمين طبعاً ! إنت دلوقت كاميرات العالم بتصورك ! مستنيه أخبارك !

– يرضيك يا باسل باشا أحبس نفسي و أموت عشان ناس ما أعرفهاش ؟!

– والله يا إبني في ناس بتعيش سنين على الحال ده ! .. إستنى

أمسك الضابط هاتفه المحمول و أخبر زملاءه بالإستعداد , إبتهج يحيى و عاد إلى سالي التي تقف وحدها وتنظر للسقف أمام غرفة سُعاد

– يلا هانروح الهرم !

– هاتودينا كباريهات يا يحيى ؟!

لم يتمالك يحيى نفسه من الضحك وهو ينظر لنظرات الغيظ في عينيها , في نفس اللحظة خرج حسين من الغرفة و هو يقول لأمه :

– دعواتك يا ثريا

– بابا إحنا هانروح الهرم .. فاضي يا حضرة المرشد ؟!

قالها يحيى فقالت سالي وهي تخبط جبهتها بيدها :

– الأهراماااات !!

– شوفتي نيتك وحشه إزاي ؟!

– تصدق إني طنشت جروب سياحي رايح الهرم الصبح بسببك ؟!

قالها حسين و ضحك من سخرية القدر , ثم ذهب ليخبر فريد بأنهم سيخرجون من المستشفى حتى موعد الحقنة القادمة و إنصرفوا في حراسة سيارة الشرطة و الضابط باسل .

■■■

قبل أن يتحرك الضابط باسل خطرت في رأسه فكرة فقال لحسين :

– مش اللي قاعد مع الإعلامية في الجنينة ده وزير الثقافة ؟!

أشار باسل لحسين على الوزير الجالس وسط حراسته على منضدده بحديقة المستشفى و يجري معها حواراً صحفياً تكتب الإعلامية ما يقوله الوزير و تلتقط الكاميرا بعض الصور له و هو يتكلم عن يحيى و عن هذا اليوم الإنساني !

أوحى باسل لحسين بالفكرة , فذهب حسين و بعد التفتيش إقترب من الوزير و أخبره بأن يحيى سيذهب إلى الأهرامات ليرى عظمة مصر و يقوم بالترويج السياحي المجاني لأم الدنيا .

فقام الوزير و أثنى على حسين و على حُسن تربيته ليحيى الذي لم يراه حسين إلا من ثماني ساعات فقط !

طلب الوزير من سائقة الإستعداد , و من حرسه التأهب و من الإعلامية أن تسبقهم إلى منطقة الأهرامات !

في الطريق كانت سيارات الوزير في المقدمة و يليها سيارات الحرس الخاص به ثم سيارة حسين ويحيى و سالي ثم سيارة الضابط باسل الذي كان يبتسم إبتسامة ظفر , أشعل سيجارة وقال لسائق سيارته :

– شوفت طريق الهرم سالك إزاي ؟! ربنا يخلي لنا وزارة الثقافة !

وصل الجميع إلى منطقة الاهرامات , على الرغم من قسوة الحرارة و الشمس إلا أن يحيى شعر بنسيم هواء يحمل عبق آلاف السنين ! كل شيء حول الأهرامات يدعوك للتأمل : كيف وصل حالنا الآن لهذا ؟!

بعد مداولات مع القائمين على تأمين الهرم و شباك التذاكر !! و توصيات وزير الثقافة دخل الجميع إلى ساحة الأهرامات , وصلت سيارة الإعلاميين متأخرة !

نزل يحيى وبجواره سالي , بينما حسين رأى من بعيد صديقة فاروق الذي جاء مع الفوج السياحي بدلاً منه !

رحب به فاروق و أبلغه عن أسفه لما سمعه في الأخبار عن يحيى و كذلك تهنئته له بالمولود الجديد فضحك حسين من سخرية القدر ! و عرّف فاروق على يحيى !

جاء بعض السائحين و السائحات الجميلات يتفحصن الشاب الذي رأوه منذ ساعه في كل وكالات الاخبار العالمية تقريباً ! أصبح الفتى المدلل للعالم ! إبن البشرية !

إلتقطوا معه الصور التذكارية كان يبتسم في الصور الأوائل ثم تحولت ملامحه إلى الضجر و معها تحولت ملامح سالي إلى الغيرة ! كم لا بأس به من الفتيات الشقراوات اللاتي ينظرن ليحيى على أنه إله الإخصاب عند الفراعنه نظراً لفتولة عضلاته و شعره البُني المُرسل الذي يحركه الهواء !

أخرج يحيى نظارة والده الشمسية من جيبه فهو لم يتركها حتى الآن و يتذكرها كلما خلع ملابسه و غيرها بأخرى ! بدى أكثر أناقة ! شباباً و حيوية !

ظهر وزير الثقافة و إقترب من يحيى و هرول الصحفيين و الإعلاميين و الكاميرات ! تكلم الوزير و فاض حديثه عن يحيى و عن إختياره لرؤية عظمة تاريخ بلاده !

بدأ يحيى يشعر بالندم على قراره بالذهاب إلى الأهرامات ! كم من الوقت يتبقى لنا الآن ؟! هل سنمضى في هذا الأمر كثيراً ؟!

مال يحيى على الوزير و همس له :

– كنت عايز من معاليك طلب !

– أأمرني يا يحيى !

– الأمر لله .. حضرتك ذوق والله .. ممكن ترخص لنا معرض لوحات ؟!

نظر له الوزير و قال مبتهجاً :

– بتعرف ترسم ؟!

– ممكن حضرتك توطي صوتك بس .. لا مش أنا

– حاضر إعتبر الموضوع خلصان , قول لي بس العنوان و إسم صاحب المعرض بعد ما نمشي من هنا

– ربنا يخليك يا فندم .. إنت أجدع وزير في الدنيا .. مش خسارة فيك الساعه اللي طارت دي !

ضحك الوزير و عاد يحيى إلى جوار سالي و طلب من والده أن يصطحبهم إلى داخل الهرم , الهرم الأكبر إختصارا للوقت .. خوفو ! الذي إختفى من الأساس ولم يعد داخل هرمه !

أمام أعجوبة من عجائب الدنيا السبع وقف يحيى مبهوراً , قرر أن يخلع نظارته الشمسية التي إنتقلت ملكيتها من أبيه إليه صباح اليوم , لم يستطع الصبر على هذا السحر و الجمال التاريخي , أعجوبة تتكون من مليون حجر ضخم يزن الحجر الواحد منها طنان تقريباً !

صرح قديم قدم الزمن شاهد على عظمة من سكن هذه الأرض حينها , هرم خوفو الملك الفرعوني المصري !

الذي قرر قبل وفاته الإنتقال من أرض الأحياء إلى أرض الأموات بنفسه ! و قاد موكب جنازته بنفسه حيث ركب في مركب مخصص له و حمل معه كل زخارف حياته و أثاره و ذهبه و عبر النيل إلى أرض الغروب و الموتى !

هل هو نوع من قوة الشخصية و عدم الإكتراث أم الإستسلام و الإعتراف بالنهاية الحتمية لكل إنسان ؟!

إختفى خوفو على كل حال , كان هذا الموكب الجنائزي منذ أربعة آلاف عام !

كل هذه المعلومات يعرفها يحيى مسبقاً لكن حسين أعادها عليه وعلى سالي و هم يقفون أمام الممر الوحيد المسموح به لدخول الهرم و الذى حفره العمال في عهد الخليفة المأمون و أوقفت سالي يحيى وقالت :

– إحنا هاندخل ؟!

– طبعاً !

فقال حسين متفاجئاً :

– ممنوع دخول أي حد عنده ضغط أو سُكر أو تعبان !

– يبقى مش ها تدخل يا يحيى !

– أنا كويس و زي الحصان ! أنا مش جاي لحد هنا عشان أقف بره !

رفع حسين يده تعبيراً على الإستسلام و سمح لهم الوزير بالدخول , تقدم حسين و تبعه سالي ثم يحيى !

الممر ينحدر أسفل سطح البحر بحوالي مائة متر و خمسة !

ممر من الحجارة الخانقة التي تجعل الممر يضيق أكثر فأكثر كلما مررت فيه ! , شعرت سالي بالخوف و الرعشه من البداية ولكنها قررت الإحتمال من أجل يحيى ! أو ربما الفضول ! قد لا تتكرر هذه الفرصة ثانية !

كان يحكي حسين بشغف شديد و بالطبع يستأنف سيره ولا يستطيع النظر خلفه أثناء الكلام نظراً لضيق المكان ! يقل الأكسجين بالتدريج ! شعرت سالي بدوار فظيع جعلها تتوقف في منتصف الممر !

أما يحيى فلم يبح بأنه على وشك التقيؤ من قلة الأكسجين و شدة إنحدار هذا الممر !

بعد دقيقة تحسنت حالة سالي و شربت قسطاً من الماء و أستكملوا السير ,كان يحيى يلمس الحجارة بيده و إتسعت عينه حينما رأى نقوش و حروف هيلوغريفية دقيقة ! لم يكن معه أوراق ليدون أي ملاحظات , فجأة سقط يحيى أرضاً و كأنه لم يعد يتنفس !

– أنا قولت لكم بلاش ندخل !

قالتها سالي وهي منكبه على رأسه تحاول إفاقته , غسلت وجهه بالماء دون جدوى ! يتنفس بصعوبة !

الممر قارب على الإنتهاء ! ماذا نفعل ؟! هل نعود به ؟! المتبقى أقل بكثير من طريق الرجوع !

مرت دقيقه و اخرى ! يتنفس و لكنه غير واعي ! لا ينطق ولو بحرف ! حرارته بدأت في الإرتفاع !

رائحة الممر غير مريحه وخانقه ! فكر الأب المفزوع على ولده حمله و إخراجه و الرجوع به و لكن قطع يحيى

حبل أفكار والده بشهقه عالية أفزعت سالي و جعلتها ترجع خطوه للوراء ! تحسباً لأي رد فعل عنيف لا إرادي فقط إعتادت على هذه الحالات بعد العمليات و بعد الإفاقة من البنج !

إستيقظ مذهولاً صامتاً فقط يهز رأسه كلما سألوه عن صحته و ما يشعر به , إنتهى الممر ووصلوا إلى البهو الرئيسي كلما تحركوا كلما قرأ يحيى في جدران الهرم الكثير من الأسرار التي يشعر أنه لم يحن وقت ظهورها بعد ! إستخدم ذكاءه الخاص و كم الملعلومات المخزونه بداخل ذاكرته من أمه و أبيه !

تتكاثر المسئولية على صدرك كلما زادت المعلومات التي لا يعرفها غيرك ويصبح الحمل ثقيل جداً ! أما في حالة يحيى فأصبح الحمل ثقيل مادياً مع صعوبة التنفس داخل البهو الرئيسي , ظهرت بعض الحبوب الحمراء لاحظتها سالي بينما هو إنشغل بقراءة وتأمل جدران المكان , تركهم حسين لثواني ودخل إلى أحد الأروقه حتى يختار أي الطرق سيذهبون فيه أولاً !

– أنا شوفت منام يا سالي !

قالها يحيى فردت عليه :

– إمتى ؟!

– لما أغمى عليا في الممر !

– إنت لحقت ؟! شوفت إيه طيب ؟! .. خد نفسك بس !

– شوفت راجل طويل أوي و أقرع بس شكله هادي و صوته مسموع واقفين في الممر اللي كنا فيه و كان في رجاله كتير بره الهرم لابسين زيه و صوت دوشه بره , بص لي و قال لي
جيت بإرادتك مجبور ! جيت بدري و هاتمشي بدري و ليك أمنية واحده هاتتحقق !

نزلت تفاصيل الحلم على سالي كالصاعقة ! المنام يُفسر نفسه ! لن يكون هنا خيارات أخرى ! هزيمة أخرى لقدرات البشر على وشك القدوم ! نعم يظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها و لكن الظن لا يغني من الحق شيئاً !

طلب يحيى بإستعجال قلماً من سالي فوجدت في حقيبة يدها قلم كحل أسود ! ضحك ساخراً و أخذه و خط على الجدار أمامه بعض النقوش و الممرات و كأنه يشرح خريطة يتعثر على من يراها فهمها !

و في منتصف الخريطة وضع حرف **R** , إمتعض وجه سالي وقالت :

– مش عارف تفرق بين الآر و الإس يا بيه ؟!

– لا أنا قاصد !

– مين بقى الست هانم اللي أولها آر ؟!

– إنتي مصيبة !

قالها وهو يضحك و أعاد لها القلم و حكى لها بإيجاز أنها خريطة لشيء إستنتج وجوده في الهرم و يبحث عنه العلماء لكنه يخشى ضياع المعلومات لتقع في يد من لا يستحق ! فترك على الجدران الأثر و غداً سيأتي من يستحقها !

عاد حسين مبتسماً فسألته سالي عن السر :

– أصلي كنت بعاكس أمه في الممر ده أيام الخطوبة !

ضحك يحيى و إستكملوا جولتهم و نام يحيى في تابوت خوفو الفارغ ! فلا أثر لجسد خوفوا أو هيكلة العظمي بالطبع ! قامت سالي بإلتقاط بعض الصور لهما و لحسين , دخلوا غرفة الملكة السُفلى و التي يوجد بها ممران ينظران الإسماء ! يتوقع الخبراء أنهما دلالة رمزية دينية عن الإرتباط بالعالم الآخر و بعد دقائق قرروا الخروج من هذه الرحلة التاريخية بعدما حتى لهم حسين قدر ما يستطيع عن العمال و عن كيفية نقل الأحجار الضخمه التي كانت تحدث على عجلات إكتشف علماء الفيزياء أنها طريقة متقدمة جداً نظراً لهذا الزمن السحيق ! , و حكى لهم عن مداواة الأطباء للعامل الذي تقع الحجارة على يده بالبتر فوراً !

حكى لهما عن إكتشاف مذهل حدث منذ عامين حينما قام العلماء بمسح حراري داخل الهرم فوجدوا ثلاثة أحجار حرارتهم مرتفعه جداً عن الباقيين فتوقع الجميع وجود غرف سريه لم تكتشف بعد داخل الهرم !

و عن تجربة 2002 المثيرة التي قام بها د.زاهي حواس و مجموعة من العلماء الأجانب بإدخال روبوت في ممر ضيق يرتفع 57 متراً عن الأرض وجدوا خلف الجدار جدار و بعد الجدار جداراً آخر !

فقال د.زاهي أن الإنسان يعجز أمام الزمن و الزمن يعجز أمام الهرم !

نظر يحيى إلى رموز دقيقة فوق رأسه على الجدار المجاور له لم يكترث أول الأمر ثم عاد للنظر إليها ثانية و قال :

– بابا !

– نعم يا حبيبي

– عايز تعبان !

شهقت سالي و قالت وهي تضع يدها على قلبها :

– لأ إنت أكيد بتهزر !

– عايز تعبان حالاً .. وكوبرا !

– أجيبلك تعبان منين أنا !

قالها يحيى وهو ينظر و يلمس النقوش و قال :

– نزلة السمان جمبنا .. قول للوزير بس وهو هايتصرف !

– يحيى فهمني طيب !

لم يرد يحيى و إستمر في التحديق بالجدار , إحمر وجه سالي و علت حرارة وجهها وقالت :

– أنا ها أمشي !

– بلاش مراقه بقى !

– مراقه يا يحيى ؟! يا بابا ده تعبان و كوبرا ! يا دموي !

خرجوا من الهرم من نفس الممر الذي دخلوا منه فوجدوا الضابط باسل يتكلم في هاتفه المحمول مع زوجته :

– طالما قولت مفيش خروج يبقى مفيش خروج !

.. مانتي لسه كنتي عند ماما ؟! .. لا مش جاي إتغدي إنتي.. سلام دلوقت سلام

نظر إلى حسين و يحيى و سالي و قال :

– إن شالله تكون إنبسطت يا عم يحيى !

– كان لازم تدخل معانا والله !

– لا ماليش أنا في جو ناشيونال جيوجرافيك ده !

– مالكم يا جماعة ؟! .. عايزين تقولوا حاجة !

– بصراحه يا فندم يحيى إبني عايز .. تعبان !

– إيه ؟!

– كوبرا !

– ليه ؟!

حرك حسين يده معبراً عن جهله بينما قال يحيى :

– و يا ريت ما تكونش صغيرة .. عايز أجرب حاجة ضروري !

– تجرب إيه يا يحيى إنت مدرك دخول تعبان في منطقة سياحية ؟!

– مانا عايزه مع الرفاعي بتاعه ! و يجيب الطبله بتاعته !

– طب ما أوديك أنا لرفاعي هنا في نزلة السمان أأمن !

– يا فندم أنا عايزه هنا ! .. بكره تفهموا !

ضحك باسل ساخراً و أجرى مكالمة مع أحد معارفه و شدد عليه بالإسراع , بعد ربع ساعة تقريباً كان الرفاعي يقف أمام يحيى , رجل طويل القامة أسمر البشرة غليظ الملامح يرتدي عباءه رجالي , فتح صندوق كبير في يده بينما كانت سالي تقف مذعوره على بعد أمتار كثيرة بالكاد تراها , كانت ترتجف خاصة لما رأت من بعيد خيط أسود سميك يخرج من الصندوق و يصعد لأعلى ويتلوى و يتحرك كادت ان تسقط مغشياً عليها .

رجع حسين خطوات للخلف بينما نظر يحيى للثعبان و أمسك بالطبله فسمح له الرفاعي بنظره حاده قلقه , تم إخلاء المنطقة من أي سائح أجنبي بالطبع , أخذ يحيى يتذكر النقوش التي يظنها سلّم موسيقى بدائي فرعوني وليس مجرد كتابة !!

وطرق على الطبلة لحن معين يتكرر فخرج الثعبان بالكامل من الصندوق , تعجب الرفاعي و تابع الجميع يحيى و هو يسير بعيداً عن الثعبان , كان الكوبرا يسعى و يزحف و يسمع الدق و كأنه يعرف طريقه !

– خلي بالك يا بوي دي قرصتها و القبر !

قالها الرفاعي فهز يحيى رأسه مطمئناً الجميع و شعر يحيى بخوف شديد حتى أن اللحن إختل فتوقف الكوبرا فإبتلع يحيى ريقه و برقت عيناه حتى تمالك نفسه و أكمل العزف فإستكمل الكوبرا طريقه حتى وصل بالقرب من تمثال أبو الهول , ذلك التمثال الأسطوري الذي حيّر العلماء في العالم , هل هو وجه الملك خوفو ؟! أم وجه من الموضوع على جسد الأسد بهذه الطريقة المهيبه !

إستقر الثعبان بين يديى أبو الهول و على الرغم من إستمرار يحيى في العزف لم يتحرك الثعبان أكثر من ذلك

هنا إبتسم يحيى و أمر الرفاعي بأن يأخذ ثعبانه و شكره , غادر الرجل بعدما أعطاه الوزير مبلغ من النقود , جرت سالي على يحيى و تبعها حسين :

– إرتحت يا بيه ؟!

– جداً يا جبانه !

– العمر واحد يا عم الحج !

فقال حسين :

– فهمني بقى !

تذكر يحيى ما كتبه داخل الهرم بقلم سالي الكحل و إبتسم وقال :

– هافهمكم بس مش دلوقت ! مش هنا !

■■■

الساعة الحادية عشر

6 م

طلب هوفر الجلوس بمفرده منذ نصف ساعة , إستراح في مكتب د.زاهر و شعر بأنه يشبه مكتبه حينما كان صغيراً , نفس الأثاث العملي المُجرّد من الزخارف و الألوان الكثيرة , أسند هوفر ظهره على كرسيه و شرد بعيداً , أغمض عينية محاولاً الإسترخاء ولو للحظات كاذبة بعد رحلة شاقه و إستيقاظ مستمر مُرهق للعين و الروح ! ولو أن هوفر لم يعد يولي للروح أي إهتمام ! لا روحه ولا روح الآخرين !

لم تدعه الذكريات ينعم بالهدوء المصطنع , و ظلت تلقي بنفسها عليه من كل حدب و صوب من ماضيه !

أبناءه الذي لا يعرف عنهم إلا القليل ! باعدت حياته العملية بينه و بينهم إلى درجة الجفاء و المعاملة الرسمية

فأصبحوا يعتبرونه مجرد بنك للنقود و المعلومات إذا لزم الأمر , ثم طافت به ذاكرته إلى الحدث الأهم في حياته ! حالة التريفاموجا الأولى في الكون ! الطفل الذي أطلق عليه هو "بيتر" , الطفل الذي كان ينمو بصورة مرعبة و صدمة المره الأولى دائماً تُحفر في الذاكرة بآله حاده إسمها العجز عن التعبير !

بدأ هوفر يشعر بضيق في التنفس وهو يغمض عينية وكأنه يرى تلك الليلة المؤلمة , حيث كان بيتر ينمو و يسعل دماء لان جسده لا يقبل حلول هوفر الأولى ! كان بيتر في الساعه الثانية ينطق ! , إنتحرت أمه في نهاية اليوم بعد وفاة إبنها الإستثنائي ! لم تتحمل القدر فلم تتحملها الحياة أكثر من ذلك !

يتذكر هوفر كل تلك التفاصيل المخيفه في حالة بيتر , أنفاسه التي كان يلتقطها بشق الأنفس , الحبوب الحمراء التي لم تختفي بل كانت تزيد ! الرائحة الكريهه التي كانت تنبعث من قدمه ! صراخه مع العقار الأول البدائي الذي أعطاه له هوفر ! و دعوات بيتر على هوفر ! كانت تنزل على الطبيب كالصاعقة ! تضربه كرصاصات في قلبه البارد فيقطر دماً !

يحاول هوفر تهدئة الطفل دون جدوى ! يقبل رأسه فيضربه الطفل كانت يده ثقيله ! ذهب بصر الطفل في نهاية الساعة الثالثة فظل يصيح و يتخبط في الغرفة فجرح نفسه ولم يستمع لتعيلمات الأطباء حتى قيدوه في سريرة مرغمين ! .. ليست كل حالات "تريفاموجا" سعيدة ! هذا ما أدركه هوفر !

عاد من شروده بعيون دامعه و قلب يعلوه رماد ما بعد الإحتراق , إبتسم بفتور و شعر ببعض الإنتصار , على الرغم من نيته ملازمة يحيى إلا أنه كان سعيد بأنه السبب في جعل يحيى يخرج للعالم و يتنفس و يعيش طبيعياً قدر الإمكان ! لو كانت السنوات الطويلة الأخيرة من حياة هوفر التي وهبها لعلاج التريفاموجا ولو مؤقتاً فهو يعتقد الآن أن الثمن مُرضي جداً له .. إنقاذ حياة إنسان ولو ليوم !

حاول إخفاء فكرة إعجابة بنفسه كأنه إله يتحدى القدر و سرعان ما ندم على ذلك الشعور فهو في النهاية طبيب مسيحي متدين لا يريد الذهاب إلى الجحيم ثانية ! .. فهو موقن بأن الحياة جحيم أصغر !

منذ طفولته و يحتفظ هوفر بنسخة من "الكوميديا الإلهيه" لدانتي , الملحمة التاريخية للشاعر الإيطالي , كثيراً ما يتخيل هوفر الجحيم و أهله و درجاته ! لماذا يرى نفسه في الجحيم على الرغم من أنه يتطوق إلى جنة الرب ! لا يعرف ربما السبب شعوره بالتقصير دائماً !

في الجهه الأخرى من المستشفى كانت سعاد قلقه على ولدها ! ليس لأنه تأخر هذه المره ولكن قدومه هذه المره مختلف ! الساعة السادسة مساءاً تعني العقار الأحمر اللعين ! ربما يكون قبلة الوداع من الحياة !

شعرت سعاد بأن عقارب الساعة تتسارع و تتسابق و تدور الدنيا من حولها فلم تعد تعطي لأي شيء آخر إنتباها غير حياة ولدها !

تحاول ثريا من وقت لآخر إضحاك سعاد و تاره تحاول تطمينها و تاره أخرى تبكي ثريا وتعترف بقلقها و رعبها

أما فاطمة فكانت تلعب دور المُعلمه رابطة الجأش المؤمنة بأقدار الله !

– الدكتورة سالي كانت مرعوبة وهي بتحكي عن الحقنة دي !

قالتها سًعاد فردت ثريا وهي تضع يدها على قدم سُعاد الراقدة :

– خلاص بلاشها الحقنة دي و ربنا يحلها من عنده !

فردت فاطمة :

– شكلها لسه دكتورة صغيرة و قلبها ضعيف يا سُعاد .. إدعي إنتي بس !

– بقيت أخاف أدعي !

– إستغفري ربنا إيه اللي بتقوليه ده ؟!

– يا فاطمة خايف أدعى و أتعلق بيه أكتر من كده !

ثم أخذت سُعاد تبكي بهدوء و بدون صوت , بكاء صامت مألوف بالنسبة لها إعتادت عليه , فهي تخاف إزعاج من حولها أو ربما تخشى رؤية الشفقة في عين الآخرين فيزداد إحساسها بالهوان !

كان التلفاز يعرض صوراً ليحيى يرتدي قبعة غريبة و تبدو عليه السعادة في منطقة الهرم , وكانت بجواره سالي

فأخذت سعاد تنظر و تبتسم و وقعت في خطيئة "الأمل" .

لا شيء أخطر على إيمان المرء و سلامة النفسى أكثر من سوء تقديره للأمور فيأخذه الأمل و يتخيل جمال المستقبل ! فيزيد الأمل .. فيدعو و يبتهل و يدعو كل ليلة و يشعر بأنه قاب قوسين أو أدنى من المُراد .. ثم تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن .. فتتكسر السفن و نخشى بناءها من جديد .. نخشى الإبحار ثانية من الأساس و خوض التجربة المؤلمة مره أخرى .. فنكتفى بالوقوف على الشاطيء آملين في سفينة الغير تحملنا

معها .. وحينما يمر الوقت ويحين وقت الغروب نخوض البحر مُرغمين فإما ان نغرق .. أم نموت على الشاطيء بمفردنا ! ... أو نفهم أن فوق رؤوسنا رب قدير حكيم في السماوات و الأرض يريد منا خوض البحر الصحيح و الشغف ببناء السفن دون كلل أو ملل .. وسيأتي الفرج !!

■■■

– كارثة !!

قالها د.زاهر أثناء وقوفه في مكتب د.فريد وهو يقوم بتحضير العقار الأصفر و معه العقار الأحمر !

أخذ فريد يهرول في طرقة المستشفى خارجاً من المكتب و صائحاً :

– دكتور فريد .. إلحقني ! .. كارثه !

– في إيه يا زاهر ؟! .. يحيى مش موجود ؟!

– الحقنة !

مد زاهر يده وهو يحمل الحقنة ذات السائل الأحمر مكسورة و السائل يقطر من يد زاهر ! برقت عين فريد و إلتفت حوله , أمر الممرضات بالإنصراف و أنهى الحوار معهن , إبتلع ريقه و أخذ زاهر من ذراعه إلى مكتبه , غلى الدم في عروقه ولا يعرف كيف سيكون رد فعل هوفر !

– إتكسرت إزاي و محدش دخل المكتب غيرك دلوقت ؟!

– والله يا د.فريد لقيتها مكسورة كده !

– هوفر هايقلب الدنيا ! .. المستشفى ضاعت !

– ممكن نحضرها تاني ..

– تحضر إيه يا زاهر إنت إتجننت ؟! محدش يعرف مكوناتها !

هانعمل إيه في المصيبة دي !!

– لو أعرف مين اللي عملها ها أقتله !

نظر له فريد بيأس , لا وقت للكلام الفارغ و المشاعر الحماسية الغاضبة التي لن تجدي نفعاً , الأمر يحتاج لهدوء و برود شديد حتى يتوصلوا للقرار الصحيح ! وتمر الليلة ! .. إن كانت ستمر و يأتي بعدها شمس جديدة !

طرقات غير طبيعية على باب مكتب زاهر الذي "يستجم" فيه هوفر و يستعيد طاقته التي تم إستنفاذها , سمح للطارق بالدخول .. ثواني و قد إستوعب هوفر الخبر من زاهر الذي بدى عليه الخجل و الخوف !

صاح هوفر بغضب ونادى المترجم الخاص به الذى جاء و ترجم لزاهر :

– أنتم لا تصلحون لأي شيء ! .. هه .. كُسرت الحقنة ! هكذا ببساطة !

– أحنا كنا سايبينها في مكتب د.فريد ومحدش يقدر يدخل بدون إذنه !

– و حدث ما حدث رغم كل ذلك ! ماذا عساي أن أفعل ؟!

قالها هوفر و ترجمها المترجم و أشاح بوجهه و ضرب بيده المكتب الخشبي فنظر زاهر للأرض و حاول إلتزام الهدوء , توتر الجو فقرر هوفر مواجهة فريد الفاشل من وجهة نظره !

ذهب هوفر إلى مكتب فريد فوجده يضع رأسه بين ذراعيه يائساً , و كانت سالي تقول كلام بالعربية لم يفهمها هوفر لأن المترجم أتى بعدما فرغت سالي من جملتها :

– لو مكانش يهمك روح يحيى أنا يهمني ! أنا عملت الصح !

إنصرفت سالي و تكلم فريد بمجرد أن رأى هوفر :

– أنا متحمل المسئولية كاملة !

– الحمد لله .. الآن إنحلت المشكلة هيا بنا نكمل ما بدأناه !

.. حقاً ؟! تتحمل المسئولية و ماذا بعد ؟!!

– ماذا يرضيك ؟!

– أين يحيى ؟!

– يستعد للحقنة الصفراء التالية !

– حسناً .. حسابنا بعد نهاية اليوم

– تقصد وفاة الحالة ؟! و تحملني أنا السبب !

– أنت من قال ذلك ألم تتحمل المسئولية ؟! .. على كل حال

هذا الهراء لن يفيد .. حدث ما حدث و القادم أسوأ !

– هل تستطيع صناعة العقار مره أخرى ؟!

سأوفر لك كل المواد المطلوبة !

– هل تظنه شطيرة بيتزا بلخطه سرية أيها الغبي ؟!

نظر فريد إلى زاهر الذي يقف , تنحنح زاهر و تحرك من مكانه حتى لا يشعر فريد بالإحراج , فقال فريد :

– تريد أن نذهب ليحيى ؟!

– بل أذهب أنا فقط !

غادر هوفر في صحبة مترجمة و د.زاهر و لحق بهم في الطريق مرزوق , أما وزير الصحه فجاء و جلس بجوار فريد , عرف الوزير ما يجري بالطبع , و هدأ من روع فريد وقال :

– هي كارثه فعلاً .. بس اللي حصل حصل !

اللي إتسبب في كده لازم يتحقق معاه !

– مش عارفينه معاليك .. ده حد مدسوس عشان يدمر

سمعة المستشفى ! .. أرجوك يا فندم بلاش يتسرب الخبر !

– من إمتى و الأخبار في مصر بيقدر حد يحوشها يا فريد ؟!

خاصة لو من النوع ده !

أخذ فريد نفساً عميقاً و وضع جبهته على المكتب و شعر بصداع خفي و دم ساخن يسري في عروقه ينذره بأن الساعات القادمه ستكون حياته المهنية على المحك !

عندما تكون حياتنا على المحك وتتكاثر علينا المصائب نشعر بلذه غير مُبرره ! نشعر بأننا نتجبر على أنفسنا و ليحدث ما يحدث ! كما يقول المثل الشعبي "زي ما ترسي دق لها" !

أثناء إعطاء هوفر العقار ليحيى كان هوفر ينظر ليحيى بعتاب شديد وفي نفس الوقت يشعر بأسف عظيم لأنه سيموت في نهاية اليوم لا محاله ! وحتى الفرصة الوحيدة التي كان من الممكن أن تنقذه ذهبت أدراج الرياح !

لم يصرخ يحيى هذه المره ! قل الألم كثيراً ! و تخطى عمر جسده الثلاثين من العمر ! بالتحديد ثلاثة و ثلاثون , في هذه اللحظة ينظر يحيى لسالي وهو أكبر منها !

مر قطار الزمن ولم يراعي خواطر أحد , تحولت نظرته إلى سالي كثيراً عن النظرات السابقة , تبدلت

من الود و الدفء و الأمل إلى الخوف و الإستسلام و الندم !

مضى وقت الحُلم و جاء خريف العمر , لن يكون هناك عقار يعيد إلى جسده خط السير البيلوجي الطبيعي , لن يكون هنا غداً و لن يكون هناك سالي !

قال في نفسه :

– لماذا يحدث لي كل هذا ! لم أكن خال لأحد أو عماً لم أكن زوجاً

و لن أكن ! لن أكون أباً قط ! و حتى الصفه الوحيدة التي أمتلكها

وهي أنني إبن أحدهم فلم أكن إبناً كما يجب أن يكون ! سأتسبب في ألم
أكثر لوالديّ بدلاً من إسعادهم ! .. أنا أسير إلى المصير الصحيحي هكذا !

قبض بيده على الملآة الراقد فوقها و دمعت عينه و نظر إلى السقف , غادر هوفر الغرفة و ألقى بالعقار الفارغ فأصدر ضجضجاً خفيفاً , أما سالي فكانت تحترق و تشتم رائحة اليأس و كآبة التي هبطت على حبيبها !

– إنتي بني آدمه عديمة الإحساس !

يا كافره !! بتقتلي روح !

صاح بها حسين القادم من الخارج , صاح بها ملوحاً بيده في وجه سالي و ضارباً بيده باب الغرفة , شعرت بالهلع , لم تر حسين بهذه الهمجية و العصبية من قبل , كان ينفخ دخان سيجارته بعصبية و أطفأها في بدايتها أثناء تناول يحيى للعقار و بعد خروج هوفر دخل و إنفجر في وجه سالي .

– أنا عملت الصح !

– ومين اللي قال لك تعملي الصح ده ؟!

سكتت و إكتفت بالسكوت , لم تدري ماذا تقول و كذلك حسين ! شيئاً في داخله يلح عليه بأن يشكرها بدلاً من هذه الضوضاء ! نعم هي أنقذت الساعات المتبقيه في حياة ولده الوحيد ! ربما تحملت هي مسئولية القرار المميت ! الثقيل على كاهل أي إنسان ! المخاطره كانت كبيرة و لكن الحب أكبر ! و غلب الحب !

حينما تحتار بين أمرين فإختار الأمر الذي يبقيك بجوار من تحب أكثر وقت ممكن !

إقتربت من يحيى و جلست بجانبه شعرت بأزيز آتي من صدره و كأنه ينازع ! و لكنه أزيز بكاء مكتوم , طافت أمام عينه كل الأحلام الورديه التي تمناها , فهو لاعب كره "حرّيف" ربما كان أحد نجوم الكره الذين خلدهم التاريخ ! , أو هو فيزيائي عبقري إستطاع حل معادله عجز عنها أستاذ كبير في هذا التخصص ! , ربما كان زوجاً لهذه القصيرة الرقيقة ! ربما كان أباً لأولادها و ربما و ربما !

آن له الأوان لكي يكف عن الحلم و يخطط لما يتناسب مع حالته ! "التريفاموجا" تدعوه ليستعد للنصف الآخر من الحياة ! تقول سالي أن الإنسان في هذا العمر أمامه أحد طريقين إما الحب أو الوحده و كل المؤشرات تقول أن يحيى إستسلم لطريق الأخير الطويل المُمل !

إستند يحيى على يده ورفض مساعدة سالي إبتسم وقال لها بهمس:

– شكراً على الوقت الجديد اللي فاضل لي معاكي !

– .. عمري ما حبيت نفسي قد انهارده !

لم تولي إهتماماً لرفضه و أسندته و قام واقفاً نظر في عين والده الغاضب و إبتسم فأجبره على الهدوء , سار في الطريق المؤدي لغرفة أمه , أخرج من جيبة كل النقود تقريباً و أعطى الممرضات اللائى بكى بعضهن و شكره بعضهن و دعين له و لم ينطق البعض الآخر و إكتفوا بعد النقود في سعادة غامره !

جلس حين و إنهار على كرسيه في الطرقه وهو يتابع خطوات يحيى بجوار سالي , إنهار حسين ولا يريد

التفكير أكثر من ذلك .. إنتهى وقت التفكير و العمل و الجهد و القادم للمشاهدة فقط !

– لو كنت أعلم بما ستفعله هذه الحقيرة لقطعت رأسها و تخليت عن طيبتي !

قالها لنفسه وهو يتابع سالي الذاهبة مع يحيى إلى غرفة أمه و تطلب من الممرضات الدعاء ليحيى ! أيّ دعاء !

لا تسير الدنيا هكذا ! الشافي هو الله لكنه مسبب الأسباب و كم من الأحباب فارقونا بعد أمل طويل و مؤذي و تمنيات بالشفاء و كل ما في الأمر أن القدر مكتوب و رفعت الأقلام وجفت الصحف !

حينما نغضب من أحدهم يريد جزء بداخلنا ظهور شفيع يجعلنا نصفح عن المُخطيء و ولكن حينما نخطيء نحن في حق أنفسنا , فلن نجد أي شفيع ! بل سنجد ألسنة المحيطين بنا تزيد أجيج النار بداخلنا و تجبرنا على الندم و اليأس بدلاً من محاولة الصلح مع النفس ! هذا كان شعور سالي في اللحظات الأولى قبل إكتشاف فريد أمر العقار الأحمر الذي كسرته !

لم يمكث يحيى بين أحضان سُعاد مده كهذه حتى ظنت أنه قد نام أو حدث له مكروه , كانت سالي تتابع بعينها في نهاية الغرفة , عرفت سُعاد بما جرى و كذلك ثريا و فاطمة و نرجس الممرضة كانت نرجس تنظر لسالي بغضب , ربما هي ترسيبات سنوات من العمل معها ربما تشفي فيها و ربما رق قلب نرجس و تعلق بالأمل البسيط مثل الباقيين , أما سُعاد فقالت :

– محدش هايفهم اللي عملته سالي غيري !

نظرت سالي بدهشه لسعاد التي تُكمل :

– اللي أنقذ حياتك في أولها لا يمكن يأذيك .. واللي
يحبك قدي لازم يتمنى تكون جمبه لآخر نفس و يخاف عليك من شكة الدبوس !

تنهدت ثريا وهي تنظر لسعاد و يحيى الذي ما زال بحضنها وقالت :

– سبحان من صبرك يا سُعاد ! .. أنا كنت خايفه عليكي أكتر منه لما لقيت
حسين مش بيرد ! .. إنكتبلك عمر جديد على إيدها تاني يا يحيى !

أخرج يحيى رأسه و عينه مليئه بالأسئلة قبل الدموع و ضرب بيده على سرير أمه و نظر لسالي لتأتي وتجلس بجواره , أخذ يد سالي و قبّلها و قبّل رأسها , تملك جسده شعور مشابه لإنتزاع الروح لكنه مستمر و يزداد مع الوقت , كأن شعر جسده كله يقف , كأن قفصه الصدري يكاد ينفجر من الضغط , يوزع الألم بين جدته التي تتظاهر بالقوة و بين أمه المسكينة و بين حبيبته التي لم يحبه سواها .

– مش أنا شوفت منام ؟!

قالها لأمه محاولاً تغيير الموضوع فإنتبهت ثريا و قال :

– و إحنا في الهرم الكبير يا تيته ..

سعل ثم أكمل :

– واحد أقرع جالي و قال لي ليك أمنية واحده في يومك !

– لأ قول الحلم بالتفصيل لستك عشان بتفهم في الحاجات دي !

حكى ما رأى بالتفصيل الممل فأسندت ثريا ظهرها على كرسيها و قالت بثقه :

– مممم .. اليوم بتاعك يعني عمرك ..واضحة , و راجل طويل يعني عمر طويل

– و أقرع !

– مانا جايالك في الكلام يا سيدي .. الصلع في المنام يعني ...

قاطعت سالي تفسيرات ثريا خليفة إبن سيرين و قالت :

– أنا بيتهيألي يا طنط

– بلاش طنط دي

– بيتهيألي إن الأقرع ده خوفو ! عشان كنا في الهرم بتاعه !

– لا ده واحد صالح !

– يعني هو خوفو كان كافر يا طنط !

– قولنا بلاش طنط ! .. الله أعلم .. بس أنا متأكده إنه راجل صالح أو ملك

قالت سُعاد مُنهية الجدل بين سالي و ثريا :

– طب المهم دلوقت .. أمنيتك إيه يا حبيبي ؟!

ركز عشان إن شاء الله هاتتحقق !

نظر يحيى نظرة يائسة خاطفه لسالي وهو يقول :

– الأمنية الوحيدة اللي نفسي فيها مستحيله .. ومع مرور الوقت بتروح مني أكتر !

– يا حبيب امك مافيش حاجه بعيده على ربنا !

– خليها تيجي زي ما تيجي !

فكرت ثريا ثم قالت :

– واد يا يحيى .. إدعيلي السُكر يخف !

أنا محرومه بقالي 10 سنين من الأكل اللي بحبه !

ضحك يحيى و قالت سعاد :

– يا وليه إشحال مانا بجيب لك طبق حلويات كل كام يوم !

– ماهو عينك فيه ! فاكرة غيبوبة السُكر ؟!

– حد قالك تاكلي نص كيلو بسبوسة بالقشطه !

ضحكت سالي لأول مره منذ حادثة الحقنة , وقالت :

– يا جماعه هانضيع الدعوه على مرض آخره إنسولين !

– ونبي يا أخويا إدعي لإبني ينجح !

قالتها نرجس بصوت كله أمومه و رجاء فقال يحيى :

– هو في سنة كام ! .. يمكن يكون هو الدعوة .. حياة إنسان يا أمي !

– توتو في سادسة إبتدائي !!

فقالت سالي بجدية :

– روحي أقعدي هناك يا نرجس مش ناقصاكي !

– والله سادسة صعبة !! .. حاضر !

خفت صوت الضحك تدريجياً و قل الكلام و زادت و طالت النظرات ثم قام يحيى فجأة وقال :

– قومي بينا !

أمسك يد سالي فقالت :

– على فين ؟! هانمشي ؟!

– مفيش قدامنا حل تاني غير إننا نعيش !

إبتسمت سُعاد و قالت :

– أيوه يا حبيبي

قبّل يحيى أمه و ثريا و أخذ سالي و غادر الغرفة تاركاً سُعاد في قلقها المعتاد الذي زاد من عصبيتها و خوفها عليه بمجرد أن إختفى عن نظرها .

و في الجانب الآخر عقد هوفر إجتماعاً مع تلامذته و بدى أكثر غضباً من أي يوم مضى , كان تكلم بكلمات حاده و موجزه و مُركزه

– ما جئنا من أجله .. لم ينتهي بعد يا رفاقي !

■■■

– يا نهار إسود عليكم وعلى دماغكم !!

قالها كابتن غزال منفعلاً حينما سأل عن يحيى و قصت عليه زهرة الممرضة ما توصلت إليه من أخبار بسبب فضولها الزائد , إمتعض وجهه و طلب منها إخبار د.فريد بأنه يريده فقالت :

– لا دكتور فريد إيه ؟! هو حد عارف يكلمه انهارده !

– متعصب ؟!

– أصل الدكتور بتاع بره ده على طول ماشي معاه و في حرس كتير حواليهم !

– الله يخرب بيوتكم !

– أنا مالي انا !

قبض بيده على الفراش و تنفس بغضب و هو ينظر للسماء و يشعر بأنها ستمطر جمر من النار من شدة الغضب الذي يستعر بداخله !

■■■

– يحيى أنا عايز منك طلب !

قالها وزير الصحه وهو يقف مع يحيى على إنفراد , فلما أحس من يحيى القبول قال :

– الوزارة بتمر بظروف صعبه .. في ناس متربصين ليا .. إدعيلي أفضل في الوزارة بعد التغيير الوزاري الجاي !

إبتسم يحيى و قال للوزير :

– يا فندم حضرتك شخصية محترمة و مش محتاج دعوات والله !
بس حاضر هادعيلك .. مين اللي قال لك على موضوع الدعوه ده ؟!

– إيه يا يحيى إنت ناسي أنا مين ؟!

– معاليك أنا أمي نفسها لسه عارفه !

– لما تحب تجيب معلومات عن حد روح لأهيف واحد في بيته و إسأله هايقر بكل حاجة !

– فهمت .. نرجس !

قهقه الوزير و ربت على كتف يحيى الذي قال :

– أنا عايز أروح الساحل ! .. ومفيش وقت !

– بس في طيارة ! .. يا عزمي

إستدعى الوزير ذراعه الأيمن عزمي و طلب منه تحضير طائرة خاصة تابعه للوزارة لنقل يحيى للساحل الشمالي الآن ! و بالطبع لم يترك الإعلام الفرصة و جاءت أحد الكاميرات و مراسل قناة PU و أجرى مع الوزير حوار سريع و أبلغه شكر الشعب المصري على هذه اللافته الإنسانية !

– دي بقى على جثتي يا يحيى !

قالتها سالي و هي تغلق حقيبة يدها و تبتعد بخطوات عن يحيى , فقال :

– كنتي سيبي الحقنة بقى طالما هافضل لوحدي !

– ما تلعبش بعواطفي !! أنا بخاف من الطيارات .. إنسى !!

– عشان خاطري

إقتربت منه و قبلت رأسه وقالت :

– عشان خاطري أنا إبعدني عن حوار الطيارة ده !

– كده ؟!

– العمر واحد يا عم !

– ماهو عشان كده بقولك تعالي !

– ...

بدأت في التردد و التفاوض مع نفسها , كانت عينه تتوسل لها بحق فهي تعرفه حق معرفة ! عينه لا تكذب !

حسمت أمرها بعد مرور دقائق قليلة من التفكير , قالت لنفسها ليكن ما يكون ! على الأقل سيريح هذا القرار ضميرها بعد قرار كسر الحقنة الحمراء !

فاجئهما – يحيى و سالي – صوت رجل يدندن , وهو الرجل الخمسيني متعثر الخطوات مشغول الوجدان أقرب للسُكر منه لليقظه ويقول :

– ماذا ماذا ماذا يحدث لو .. الزمان إحلو ؟!

ضحكت سالي من المفاجأة ثم تحولت ملامحها للجدية و أمرت إحدى الممرضات :

– إيه التهريج ده ؟! دخل إزاي هنا ده ؟!

أخذته الممرضة وهو ينظر ليحيى ويقول موجهاً كلامه للفراغ :

– أنا عايز أوضة 44 .. انا آسف يا أم سمير

فكر يحيى في ما يقصده الرجل الغائب عن الوعي و فسّره بأنه يريد مريضاً ما في غرفة 44 و يشعر بالذنب تجاه هذا المريض فإختار طريق السُكر للتكفير عن ذنبه ! منذ متى و تكفر الخمر الخطايا ؟!

أيُ عالم مجنون هذا ! ندفع مع كل لحظة ملايين الدولارات بس مليارات من أجل شراء الرصاص و الذخائر و نتسابق على طنع أسلحة فتاكه و نصنع الخطط الأمنية باهظة الثمن و الأسلحة النووية التي تنذر بفناء الجنس البشرى و الكرة الأرضية ككل ! في حين أن السلام لن يكلفنا مليماً ! السلام مجاني !
ومع ذك نختار طريق الجنون ! و نحبس أنفسنا في هواتف خلوية و ألعاب مجسمة و مواقع تواصل إجتماعي أصبحت سجناً كبيراً تطفح على جدرانه كل يوم آيات الإكتئاب و الشعور بالملل !

في حين أن الحياة بالخارج أفضل ! الطبيعة مجانية ! الشمس و القمر و الشجر و ملايين الإكتشافات التي لم يصل لها أحد تنتظرنا ونحن عن أنفسنا غافلين ! ..
الفتيات أغلبهن يصلن إلى العقد الثالث من العمر فيشعر أن قطار الزواج قد فاته ! و أن الفارس المنتظر لن يأتي ! تذبل و تكتئب وتيأس و تعيد على نفسها ذكريات مضت و أنصاف فرص ضاعت منها وتقسو على

نفسها في حين أنها لو إجتهدت منذ العشرينات لعمل تحت إمرتها مائة رجل من نوعية الفرسان الذين إنتظرتهم طويلاً ولم يتكرموا عليها بالمجيء ! ..لذلك لن يصل السكران لأم سمير و لذلك إختار أن يتيه بإرادته !

■■■

الساعة الثانية عشر

7 م

كان حسين يقف أمام إحدى نوافذ المستشفى ينفث دخانه و ينظر إلى الشمس التي تغرب , الدفء المخيف , قد يكون الآن عشقان ينظران إلى نفس الغروب و يحلمون بمستقبل وردي .. كلٌ يغني على ليلاه , دق هاتف حسين بصوت إنذار الرسائل , ليجد رسالة مختصره مقتضبة من هاله "هاستناك في نفس الكافية كمان نص ساعة لو ما جيتش إنساني خالص "

– تعالى يا حسين ماما عايزاك

هكذا قطعت فاطمة تركيزة و عادت ثانية إلى غرفة سُعاد , قام بإطفاء سيجارته و دخل الغرفة بعد أن تحول نفسياً لا يستطيع أحد معرفة موهبة الرجال الفطرية في التمثيل من أين تأتي ؟! هم أبرع ممثلين و أفشل نُقاد نظراً لقسوتهم و إنحيازهم !

كانت ثريا تتكلم بصوت عال , ثائرة و ساخطه على إبنتها "دلال" التي لم تتصل أو حتى تأتي !

– الحال من بعضه يا ماما ثريا ! ممدوح ما سألش عني لحد دلوقت !

قالتها سُعاد فسكتت ثريا و تمتمت ببعض السُباب لأجيال هذا الزمن !

– عبد الله اللي إتكلم كتر خيره , و يحيى راح له الصبح

– طب كويس .. إلا هو عامل إيه بالحق ؟! أنا مقصره معاه في السؤال !

– الحمد لله رضى , إنتي عارفه بقى مش بيخرج عشان رجله و كده

– ربنا يشفيه يا رب و يفرح بإبنه .. عبد الله أمير و إبن أصول

قالتها ثريا ثم تدخل حسين وهو ينظر لساعته للمره الثالثة و قال :

– طب أنا هاجيب حاجه من جمب المستشفى و آجى على طول

نظرت له بيأس ساخر ثم حولت نظرها إلى الأرض و إبتسمت ساخره كأنه فهمت السبب و قالت :

– ماشي يا حسين روح

فرفعت فاطمة حاجباها و قالت :

– يروح فين يا سُعاد ؟ .. عايز إيه و أنا أجيبه بالتليفون ؟!

– و أنا مكسح يعني ؟ شايفاني مشلول ؟!

نظرت سُعاد إلى التلفاز و أبعدت عينيها عن حسين من الإحراج الذى بدى على حسين و ثريا التي قالت :

– يا أخي الملافظ سعد !

– أنا آسف والله يا سوسو !

– روح يا حسين روح !

– مش ها أتأخر

قالها حسين و لم يتلقى رد فإنصرف .

■■■

وصلت الطائرة فوق المستشفى ما إن وضعت سالي قدمها اليمنى على السُلم الخاص بالطائرة حتى جاء شاب قارب على الأربعين يرتدي قميص أزرق "مشجر" و بنطال أبيض جينز , أكرت الشعر , حليق اللحيه , متوسط القوام أقرب للبدانه , لوح بيده ليحيى الذى قال :

– مين ده ؟!

صاح الشاب من بعيد ليحيى و طاقم الطائرة :

– إستنوا يا أبطال !

– أبطال إيه ؟! هو مفكرنا رايحين سينا !

قالها يحيى قبل أن يندفع الشاب و يحتضن يحيى بشكل كوميدي , يقبل الفتى صدر يحيى و يمسح عليه ويقول :

– الحمد لله لحقتك يا عمنا !

– إنت مين ؟!

– سيد !

– سيد مين ؟!

– سيد السيد !

– وبعدين بقى ! مين بردو !

– أنا سيد السيد أحمد عبد الجواد !

ضحكت سالي بخجل من طريقة كلام سيد فنظر لها يحيى وهو يضحك :

– بتضحكي على إيه ؟!

– السيد أحمد عبد الجواد مش بتفكرك بحاجة في ذاكرتك ؟!

– إستني .. أنا بردو بقول الإسم ده .. أيوه .. بضاعه أتلفها الهوى ؟!!

تريفاموجا - محمد شويطر

– هو ده !

قالتها سالي و هي تضحك بهيستيريا من تقليد يحيى لطريقة كلام الفنان يحيى شاهين في دور سي السيد ! و يا للمفارقة ! يحيى يقلد يحيى ! لكن يحيى الأخير أعظم من أنجبت السينما العربية و المصرية !

– وعايز إيه يا أبو السيد ؟!

قالها يحيى فرد سيد :

– هو الوزير مقالش لحضرتك ؟!

– وزير الصحه ؟!

– لأ الثقافة ! كلفني أرافقكم في الرحله !

ممكن صورة مع حضرتك يا بركه ؟!

– إتفضل يا سيدي .. بس مكانش لازم تيجي معانا وتتعب نفسك !

إلتقط سيد الصورة بسرعه و قال :

– سيادة الوزير كلفني عشان أضحكك ! أنا تبع مسرح الدولة !

– تضحكني ؟! إنت بتتكلم جد ؟! سامعه يا سالي ؟

قالها بزهو فردت :

– 2 مليون و حرس خاص و كوميديان خصوصي أهو شكراً يا مصر !

– مش كنتي سيبتي الحقنة ؟! مصر طلعت جدعه أهو !

إبتسمت سالي , فركب يحيى الطائرة و صعد بجوارها و صعد معهم سيد الذى أخذ يتلو آيات القرآن بلا إنقطاع حتى إستقرت الطائرة في الهواء .

أغمضت سالي عينيها بقوة و كان جسدها كله يرتعش , صوت المحركات جعلها تشعر بذعر مضاعف , ثم شعرت بأن أحدهم يسحبها لأعلى بسرعه جنونية و أن روحها تريد مفارقة جسدها , ثم فجأة إستقر الأمر و قبضت على يد يحيى الذى بدى عليه الهدوء ! حتى الإعتياد على ركوب الطائرات ورثه من والديه !

بعد دقيقة من الصمت نظرت سالي لسيد بضجر ثم تحول نظرها إلى يحيى و بدأ بينهما الغمز و الضحك و التندر همساً على سيد الذي لم ينطق بكلمة ! أهذا الذي جاء من أجل إضحاكنا ؟!

– منور يا أبو السيد

قالها حسين فضرب سيد على صدره وقال :

– ده نورك يا يحيى باشا !

– إيه معندكش حاجة تقولهالنا ؟!

– حاجة إيه ؟!

نظر يحيى لسالي فقال سيد :

– يا باشا أنا موظف عادي في المسرح ! وكل الفنانين أجازة انهاردة !
قالولي يا سيد تعالى عايزينك مشوار و هاتاخد مكافأة ! قولت رزق العيال !
وبصراحة لما عرفت إن المشوار لحضرتك فرحت .. العيال هايفرحوا بالصورة أوي !!

– عندك عيال يا سيد ؟!

– أمال يا بيه ! عندي أمينه و ياسين و فهمي !

هنا إنفجرت سالي في الضحك و إعتبرت أن الفقرة الكوميدية بدأت , نظر لها سيد شذرا :

– هي الأسماء بتضحك لامؤاخذه يا أستاذه ؟!

– لا والله مش قصدي ! إفتكرت حاجه كده

قال يحيى :

– أمال إنت هاتعمل إيه ؟! الطريق لسه قدامه شوية !

– أنا صوتي حلو والله !

– بجد ؟! طب عاااال , سمعنا حاجة كده !

تنحنح سيد و أغمض عينية فإستعد يحيى لوصلة من الطرب الأصيل , نظر يحيى من نافذة الطائرة حيث السماء التي غرقت الطائرة بين سُحبها , شعر يحيى أنه صعود مؤقتاص تمهيداً للصعود الكبير آخر الليل !

إنفجر سيد مغنياً :

– كتاب حياتي يا عين
ما شوفت زيه كتاااااب
الفرح فيه سطريين
و الباقي كله عذاااااب

– خلاص يا سيد

– عذاااااب عذاااااااب ..
أنا بتقطع من جوايا ونسيت طعم الفرح

– خلاص يا سيد وحد الله !

– إيه يا بيه صوتي وحش ؟!

– لأ يا برنس .. بس إحنا رايحين الساحل و بهجه وكده عذاب إيه ؟!

– طب يا بيه مش تقول ؟!

– أنا راهنت على ذكاءك !

– و إنت كسبت الرهان إسمع دي ..

– إسمعي إسمعي

قالها يحيى لسالي المكتفيه بكتمان ضحكاتها مراعاة لمشاعر سيد الذى قال بصوت مفاجيء على طريقة شباب Egyptian project أو المشروع المصري :

– بعت روحي لروح روحي ..

تجيب روحي ..

لا جاتني روحي ..

ولا اللي بعت له روحي ..

يا نسمة الفجر .. هليّ إرجعي وروحي ..

و سلميلي على اللي عندهم روحي ..

لا جاتني روحي .. ولا اللي بعت له روحي ..

فراق الحبايب أصعب من طلوع روحي

كان يحيى يستمع و تطرب أذناه و ينظر إلى الأفق الساحر في هذا الوقت من اليوم .. الغروب من الطائرة نادر .. خلاب .. وصوت سيد مفاجأة أيقظت كل المشاعر الكامنه داخل سالي و يحيى , كل الجراح إنفتحت و تم علاجها في دقائق !

– الله يا سيد الله !

قالها يحيى و مدحت سالي في صوت سيد بشده وقالت :

– إزاي مش بتغني لحد دلوقت ؟!

– يا أستاذه اللي زينا يغني على الضيق ده آخرنا !

– ليه كده ؟! إنت صوتك حلو !

– و الله لو علي الحجار نفسه من غير واسطه هافضل أغني في بيتنا !

نظر له يحيى وقال :

– إفتح تسجيل الصوت في موبايلك يا سيد

– التسجيل ؟! حاضر !

تعجبت سالي من طلب يحيى الذي قال بصوته رساله إلى وزير الثقافة يطلب منه مساعدة سيد السيد أحمد عبد الجواد لأنه موهبه وتستحق و أنه أعجب شخصياً بصوته !

فرت دمعه من عين سيد و صاح :

– إنت راجل بركه أقسم بالله إنت ملاك !

– الله يخليك يا سيد .. حفظت التسجيل ؟!

– هاحفظه أهو

– يخرب بيتك كل ده سايبه شغال !!

■■■

في الكافية الذي إعتاد حسين مقابلة هالة فيه , وجدها تنتظره , المكان راقي و بعيد عن الأنظار التي تعرف حسين و سُعاد , و أيضاً هاله التي تخشى أن يأخذ طليقها ريم إبنتها منها !

جلس حسين و إستغرب مما حدث له ! لأول مره لا يجد كلاماً يقوله أمام هالة !

كان يقول حسين لها أنه يحب إسمها و أنه يتفائل به و لما سألته عن السبب قال لها معلومة تاريخية دينية

هي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب هذا الإسم ! فكان "هالة" إسم إبن السيدة خديجة زوجته و حبيبته , و أنه كان إسم منتشر في عائلتها ! كمان أن النبي بعد سنوات من موت السيدة خديجة كان يجلس

مع أصحابه و فجأة سمع من الخارج صوت يذكره بصوت هالة إبن السيدة خديجة رضي الله عنها من زوجها السابق فقال النبي داعياً "اللهم هالة اللهم هالة" من شدة حبه و تعلقه بكل ما يمت بصله لزوجته الحبيبة !

– ساكت ليه ؟!

قالتها هالة فرد :

– أقول إيه ؟! إنتي اللي جايباني !

– للدرجة دي المشوار تقيل !

– بذمتك ده وقته ؟! حتى اليوم الوحيد اللي إبني هايعيشه مش سايباني أقعد جمبه !

– على أساس إنه مش بيتنطط ساعة في الهرم و ساعة في المتحف ؟!

– عايزه إيه ؟!

– أنا عارفه إن سّعاد عرفت ! .. هاتكمل معايا ؟!

– و إلا ؟!

– ها أختفى من حياتك !

– ده أنا ماليش تأثير في حياتك أهو !

– ده إختيارك يا حسين ! إختار !

– يعني جايباني و أنا في الحالة دي و عايزاني أختار ؟!

دق جرس هاتف حسين فرفض المكالمة فقالت هي :

– هي ؟!

– هي !

قام من على كرسية و ترك بعض النقود وقال لها :

– الشيشه غلط عشان صدرك ! ..

– أعتبر ده قرارك ؟!

– الله يرحمه قال لي مره : الست مش بتتغير الست بتتكشف على حقيقتها

قولتله إمتى يابا ؟! قال لي لما المركب ها تتمرجح يا تكون أول واحده تنط !

يا تقولك يا نموت سوا يا نوصل للبر سوا !

■■■

الساعة الثالثة عشر

8 م

فار جسم يحيى أكثر و أكثر في ملابسه التي غيرها للتو لتلائم حجمه , قام بتصفيف شعره عند أحد مصففي الشعر بمارينا , إلتقط الرجل كعادته صوراً تذكراية مع يحيى حديث الساعة , أينما ذهب يحيى بقميصه الأصفر و الشورت الجينز و الساعة "الحريمي" ذهبت وراءه الكاميرات العالمية التي تتهافت عليه .

جلس مع سالي على الشاطيء , شعر باليود يدخل رئتيه ويطهرهما من كل التلوث و الهواء و آثار اليوم الطويل , طلب يحيى سيجارة من الحارس الذي نزل معه من الطائرة فأعطاه واحده أشعلها بالولاعه الفضية التي أخذها من حاتم .. أو سرقها في أول الأمر , سعل يحيى لمدة دقيقة فشمتت به سالي و بدى عليها الإختناق من الرائحة !

شعرت ببروده شديدة , البحر ليلاً و ما أجمل البحر في كل أوقاته ! ما أبدعه وقت هدوءه كأنك تملكه وحدك ! ترى الأمواج بيضاء قادمه من مد البصر من الأفق ! و تأتي لتلقي بنفسها أسفل قدميك فتشعر بأنها قطع من الثلج يتدفق من الجنه !

الرمال الناعمة و السماء التي تتزين بالنجوم , ظل يتكلم يحيى مع سالي دون إنقطاع , حكى لها أنه راضي تماماً عن المصير الذي سيلقاه :

– إن كان نصيبي من الدنيا إنتي ده كفاية عندي !

لو كان شخصاً آخر لكذبته و قالت عليه مؤلف أشعار يعيش على الكلام المعسول ولكنه يحيى !

ولكنه بالفعل إختار قضاء اليوم بجوارها ! , أمام عينيها رفض المجد في المكتبة ! و رفض الكثير من العروض و الإغراءات !

– تصدق كل ما الوقت بيعدي و يهرب بقول لنفسي يا ريتني كنت سيبت الحقنة !

– ممكن أسألك سؤال و إنتي قمر كده ؟!

– إسأل يا بكاش !

– فرضاً عشت 100 سنة مش هاموت بردو ؟!

– بس هاتعيش 100 سنة !

– يا حبيبتي أنا عشت يومي كله ! مع حبيبتي و عملت كل اللي نفسي فيه
جربت و سافرت و إتعلمت ! قوليلي كده طول حياتك إنتي عملتي نص ده ؟!

– بصراحه لأ ! .. بس يمكن لو عشت أكتر كنت هاتعمل أكتر من كده !

– العبره مش بالكتره ! .. العبره .. إنبسطنا ولا لأ !

سكت ثم قال لها وهو يخلع قميصه :

– فاضل حاجة واحده !

– يحيى ما تستهبلش !

جرى على البحر بسرعة البرق و قذف نفسه فيه كأنه يريده أن يبتلعه وسط الأمواج , شكر والده أنه تعلم السباحة , ظل يسبح و كلما بعد نادته سالي من على الشاطيء , رفضت النزول بالطبع !

شردت بعيداً , تذكرت والدها الطبيب الراحل و جنونه حينما يرى البحر , كان يعتبره صديقه و شد ما شكى له و حكى له عن أسرار و حكايات ! هل سيحكي البحر ليحيى بعضها ؟! هل سيخبر يحيى البحر بسر ما ؟!

ضحكت حينما تذكرت خطيبها الاول الذي كان يذهب للبحر بمفرده مع أمه دونها ! تذكرت الأصدقاء و أمها و الكثير من الحالات التي مرت عليها , البحر أعظم فرصه لإستجلاب الذكريات !

أما يحيى فكان يسلمس بقدماه أرض البحر و يغطس و يظهر و يقفز , شعر بابروده الشديدة في رئتيه و أخذ ينظر للسماء و النجوم ثم شكل السيارات البعيده و الزحام و المحال التجارية و الناس و سالي تقف أمامه على الشاطيء !

توقف الزمن لحظة و حاول يحيى الإعتراف بالحقيقة ! العد التنازلي لعمره على الأرض بدأ !

الساعة الرمليه إنقلبت و تتسارع حباتها في السقوط , فلتسقط كما تشاء هي الحياة سنحياها وليكن ما يكون ! فقرر الإكتفاء بهذا القدر من المغامرة البحرية و خرج لسالي .

قامت بتجفيف جسمه و إرتدى قميصه و يعطس فقالت :

– يرحمكم الله يا بيه !

– هدانا وهداكم يا جميل

– هانعمل إيه دلوقت ؟!

– هاقولك

قاما بجوله في حراسة الحارس ضخم الجثه الذي أعطى السيجارة ليحيى و لم يكررها , شملت الجولة محلاً للآيس كريم أولاً , الفراولة و المانجو و الشوكولاته هم الأفضل لدى يحيى أما سالي فلا تحب الفراولة , في كل الأحوال كان هذا أجمل مذاق آيس كريم في حياتها و حياته بالطبع , بعدها عطفوا على محل للتحفو الهدايا و إشترى هدية لكل من يعرفه أولهم أمه سُعاد ثم حسين والده ثم جدته و خاله عبد الله و عمته فاطمة إبتاع لها هدية تلائم شغفها بالتاريخ , و هدية أخرى لحاتم و هدية لوالدة سالي .. وهدية خاصة لسالي !

إلتقطت أحد الكاميرات صوراً مباشرة ليحيى و سالي الذان يجلسان على مقهى فاخر يضحكان و يشربان العصائر , بدأ عزف مقطوعة موسيقية شهيرة " لتارتيني " كانت تحبها سعاد و كذلك أحبها يحيى بالفطرة فطلب من سالي الرقص ومد يده , إحمر وجهها و رفضت بجديه :

– يحيى ! كفاية جنان !

– والله سهله !

– إتلم و أقعد عشان شوية ونرجع !

– طالما كده كده راجعين .. إيدك يا برنسيس !

.. إيدك ما تبقيش رخمه !

قامت بجسد متخشب و تشعر بأن الجميع ينظر لها ويتفحصها من رأسها إلى إخمص قدمها , بدأ بتعليمها الحركات الأولية البسيطة فبدأ جسدها في التحرر و التعود حتى أتقنت الحركات و إعتادت عليها !

بل شعرت أنها في عالم آخر موازي .. هي لم تتغير و الحياة هي الحياة و لكنه يحيى و يريد أن يحيا !

كان يرقص كأنه يمارس هذه الحركات منذ سنوات , يفعل كل شيء بشغف , نظرات عينه اللامعه لا تتوقف عن الكلام و المغازله و العتاب و الندم !

عادت سالي وهي تلتقط أنفاسها و تلهث من كثرة الحركة فوجدت أمها قد إتصلت أربع مرات !

– ألو .. أيوه يا ماما .. أنا كنت ..

سكتت سالي وهي تستمع لامها في الهاتف و إمتعض وجهها بإنتبه يحيى وشعر بالقلق حتى قالت سالي :

– إيه يعني ؟! .. أنا الدكتورة بتاعته ولازم أكون جمبه ! ..

هانرجع كمان شوية .. أنا هاطبق شيفت انهارده مش راجعه البيت !

ثواني ثم صاحت سالي بعصبية :

– يادي عماد ! .. يتحرق عماد على التلفزيون يا ماما ..

من فضلك إقفلي !

أغلقت سالي الهاتف فكاد يسقط منها فبادر يحيى :

– عملت لك مشاكل طبعاً !

– لا هي كده كل يوم فكك !

– خديها على قد عقلها يا حبيبتي معلش !

– مانا من كتر ما باخدها على قد عقلها بقيت أصدق إن ده عقلي أنا !

قالتها ساخرة فضحك يحيى و نظر لها ثم نظر لساعتها في يده فقالت :

– يلا بينا ؟!

أوقفها على رمال الشاطيء و طلب منها إغماض عينيها , وعلى ضوء أعمدة الإناره الضخمه المُلونه

بدأ يتحرك على الرمل و يحفر بقطعه خشبيه صغيرة ! بعد دقائق ناداها فجاءت و إتسعت عينيها

و نظرت له نظرة إمتنان و إعجاب شديد فلما طلب منها أن تقف من الجهه الأخرى و تنظر للأرض ففعلت و عجزت عن الكلام !!

وجدت سالي حروف إسمها بالإنجليزية خطها يحيى بيده و بقطعة الخشب , في الظلام ودون مساعدة أحد ! لو كان الأمر مجرد حروف بطريقة رومانسية فهذا أمر معتاد في أفلام السينما المصرية الكلاسيكية ! تجري ليلى مراد ويكتب عماد حمدي إسمها على شاطيء الغرام !

ولكن من يستطيع في ثواني معدوده كتابة إسم من خمسة أحرف إنجليزية في هذا الظلام و الجو البارد و تسطيع قراءته من الناحيتين ويظل كما هو ! لن يفعلها سوى شخص يمتلك قدرات إستثنائية !

نشعر بالإرهاق فنعتذر عن العمل أو الدراسة في هذا اليوم فما بالك بأعصاب شخص يعرف أنهميت لا محاله بعد ساعات ! أيُ قلب ؟!

إبتسمت إبتسامة طويلة وهي تنظر له , إلتقطت لنفسها معه صوراً و بينهما إسمها المكتوب على الأرض بهذه الطريقة الجهنمية !

– جننتني معاك ! .. إنت طلعتلي منين ؟!

– لولاكي كان زماني مدفون من الصبح !

– ربنا يخليك ليا !

قاومت البكاء قدر الإمكان ولكنه شعر بما يجيش في صدرها فوضع يده على كتفها وقال :

– يا بخت اللي هاتكوني من نصيبة !

– ما تكملش !

– الحياة لازم تستمر يا سوسو .. لو بتحبيني عيشي حياتك للنهاية !

– لو بتحبني إنت غير الموضوع !

– إيه ده .. رقم غريب !!

نظر يحيى لهاتفه و إستعجب لأنه لا أحد يعرف رقم سالي الإحتياطي ! أو بالاحرى يعرف أنه معه ! يبدو أن الوزير كان محقاً حينما قال أنه لا يستطيع أحد إخفاء الأخبار في مصر !

– ألو

– يحيى .. عامل إيه يا إبني ؟!

– الحمد لله ! مين معايا !

– أنا زكي القاضي رجل الأعمال يا حبيبي

– آه أهلا وسهلاً .. أصل الرقم ده ..

– عارف يا سيدي بس دي حاجه سهله أوصل لها .. المهم إنت كويس ؟!
مش عايز حاجه يا بطل ؟!

– أنا الحمد لله زي الفل !

– قول لي يا يحيى الشيك وصل لك ؟!

– شيك ؟!

– الإتنين مليون جنية إوعى تقول لسه !

– بتوع مصر !

– هاها .. أنت ومالك لمصر

– ثواني كده هو ده مش إسم الوزير ؟! .. يعني حضرتك اللي دفعت المبلغ ده ؟!

– أيوه يا حبيبي ده إهداء مني ليك .. إنت كسبتني انهارده ملايين من الإعلانات بس !

– شكراً هدية مقبولة يا فندم

– لو عايز أي حاجة كلمني أديك عرفت الرقم !

أغلق زكي الخط و ترك يحيى في دهشته , قص يحيى على سالي ما جرى فكادت تسقط على الرمال من الضحك وقالت :

– أنا قولت الكرم ده ما يطلعش من مصر بسهولة !

– يلا بينا قبل ما مصر ترجع في كلامها

ضحكا و في طريقهم للطائرة لمح يحيى إعلاناً يحمل إسم سمسار عقارات ومحال , حفظ يحيى رقم هاتفه عن ظهر قلب , ثم ركبا و غادرا الساحل مودعين أجمل لحظات حياتهم على الإطلاق !

في الطائرة وجدوا سيد ما زال نائماً أيقظوه و نام ثانية فتركوه , و قصت سالي على يحيى أحد المواقف المضحكه التي حدثت لها في أحد المصايف , ذهبت إسبوع مع أربعة من صديقاتها و أبناءهن الأطفال

كن يتركن الأطفال معها على البحر و يذهبن بحرية إلى هنا و هنا أما هي فكانت مُقيده بالأطفال و الحقائب !

فظل يحيى يضحك على شكلها وهي تصف كم كانت مسكينة و مرتبكه و في حيره كيف تتصرف مع هؤلاء الأطفال الأشقياء كثيري الحركة و المشاغبة !

لمس في صوتها الإمتنان و السعادة والرضى فحمد الله في قلبة , ثم تنفس الصعداء إستعداداً لمعارك نفسية طاحنه بدأت تدق الأبواب من الآن

■■■

الساعة السادسة عشر

11 م

جلس دكتور منصور عبد الرحمن أستاذ الفيزياء في مكتبة بمنزله يتابع التلفاز , يرتدي نظارته و أمامه تل من الكتب العربية و الأجنبية العلمية , وفي يده ورقة حل المعادلة التي أتحفه يحيى بحلها في صباح اليوم .

كان ينظر للتلفاز وكلما رأى يحيى تسمرت عيناه و تمنى لو تغيرت الظروف و الأقدار ولكن هيهات !

شعر منصور بأن كل هذه الكتب تنظر له و تتحداه ! تخبره بأنه غير جدير بحمل هذه الأمانة و أن من يستحق قابع في مستشفى د.فريد الآن !

– يا خسارة !

تمتم بها وهو ينظر لصورة يحيى في التلفاز وهو بمنطقة الهرم , لا حديث للقنوات الفضائية سوى يحيى و أخباره و إعادة لقطات تم أخذها له في أوقات متفرقه من اليوم , عاد دكتور منصور بذاكرته عام كامل حيث كان يقف في محاضرته يتكلم عن الطاقة النووية في العالم حالياً كان يتكلم بثقه و قلق في ذات الوقت يشعر بأن الفيزياء أثقل أمانه يتحملها الإنسان على الأرض لأنه بواسطتها إستطاع غزو القمر و الفضاء و الأكوان , و معرفة تفسير كل شيء حتى الذي لا يُرى بالعين المجرده !

شرح للطلاب توزيع الطاقة النووية في العالم فقال أن روسيا و الولايات المتحدة وحدهم يمتلكون

97 % من الأسلحة النووية في العالم ! في حين يمتلك باقي الدول المدججه بالسلاح النووي 3 % فقط !

سكت وسط المحاضرة و بدى عليه الجدية وهو يحكي عن قدرات الهند و باكستان النووية ! وقال :

– نص في الميه بس من الطاقة النووية في العالم يا شباب موجودين في الهند وباكستان !
الهند ... و باكستان ! اللي في مناوشات بينهم من سنين وخلافات وتهديدات !
لو كبرت الخلافات بينهم و قرروا إستخدام طاقتهم النووية دي عارفين هايحصل إيه ؟!
ده لو قرروا بس إستخدام نص ترسانة أسلحتهم اللي هي نص في الميه من العالم ؟!
في أول إسبوع من الحرب قدر العلماء الخساير البشرية ب 30 مليون إنسان !!

همهم الطلبة و بدى عليهم الوجوم فأكمل منصور :

– 30 مليون روح في أول إسبوع بس ! , وحسب تقديرات العلماء نتيجة الحرب دي ها تنتج أدخنه كثيفه تغطي الكره الأرضية كلها ! لدرجة إنها تحجب الشمس عن

الأرض لمدة عشر سنين !! .. وده هايترتب عليه مجاعات و نقص المحاصيل ..
وقدروا حجم الخساير في الأرواح لمليار بني آدم !!

عاد منصور من شروده ليجد نفسه ينظر ليحيى في التلفاز و يشعر أنه ما زال في المحاضرة , في داخله يحتدم صراع عنيف بين الإستسلام للمستقبل أو تحضير المعادلة الأهم في العصر الحالي من وجهة نظره ! التي لو توصل لها يحيى سيحمي الأرض من نصف تأثير الأسلحة النووية و ربما أكثر , هي معادلة مستحيلة و لكن في الحياة كل شيء ممكن ! كما علمتنا الفيزياء !

قرر ألا يكون سلبياً , قرر المجاذفة و خرج من مكتبة ليغير ملابسة و يذهب إلى هذا المخلوق الإستثنائي !

■■■

نظر هوفر إلى حقيبة حديدية سوداء صغيرة الحجم كانت داخل الحقيبة البيضاء و إبتسم و نظر إلى تلاميذه المتعجبين من هدوءه المفاجيء وقال لهم :

– أين يحيى الآن ؟!

كان زاهر يقف في نهاية الغرفة التي منعقد فيها هذا الإجتماع , قال زاهر :

– في أوضة مدام سُعاد أمه !

ترجم المترجم فقال هوفر :

– و أين الطبيبة التي قلت لي أنها السبب في تدمير عقاري ؟!

تنحنح زاهر :

– سالي ؟ .. مع يحيى !

– إستدعيها إلى مكتب د.فريد , ثم إستدعي يحيى بعد ذهابها لأخذ العقار الأصفر الخامس !

– تمام !!

إنصرف زاهر و طوال الطريق إسترجع مواقفه مع سالي , حاله معها كل يوم في شأن ! يوماً يراها ملاك سقط من الجنة سهوا و يوماً يراها متعجرفه ! و يوماً آخر يراها دون المستوى بتصرفاتها الغريبة الكئيبة في الفترة الأخيرة بعد وفاة د.شرف الدين !

وصل زاهر إلى غرفة سُعاد و طرق الباب , وطلب من سالي الذهاب إلى مكتب د.فريد لأن الطبيب الأجنبي يريدها ففعلت و إستأذنت من سُعاد و يحيى و حسين الذي عاد منتشياً !

لاحظ زاهر أن يحيى مُرهق و يجلس على كرسيه بعد إرتياح كأن ظهره يؤلمه !

– يلا يا بطل معاد الحقنة !

– دلوقت ؟! طب سالي ...

– سالي هاتيجي مع دكتور فريد أكيد .. يلا بينا

قام يحيى وهو يستند بيده على كرسية فتأكد زاهر من توقعه , لم ينكر زاهر على نفسه شعوره بالإنتصار لرؤية هذا الكائن المختلف حديث مصر كلها و سارق قلب سالي بهذا الضعف و الهوان ولو مؤقتاً !

لا يتذكر زاهر كم مره طلب من سالي موعداً ليلتقي بها و يتناولان الغداء أو العشاء و ترفض ! صدمته حينما تمت خطوبتها لشاب ضعيف الشخصية كان زميلاً لهم , فتى مُدلل مُستهتر لا يجيد الأمور الرومانسية !

سار زاهر مع يحيى في الطرقه المؤديه إلى الغرفة المطلوبة

– إسند عليا طيب ؟!

– شكراً يا دكتور أنا كويس !

– حاسس بإيه ؟!

– ظهري واجعني شوية , الحقيقة عضمي كله !

وقف يحيى ليستجمع قواه فنظر زاهر حوله في ترقب ثم شجع يحيى على إكمال الطريق , بمجرد ان وصل يحيى داخل الغرفة وجد هوفر و فريد و طبيبان أجنبيان و المترجم !

لم ينظر له هوفر كثيراً بل نظر بجديه لطبيب أجنبي آخر بالخارج قوي البنيه فأغلق الباب بعنف !

– في إيه ؟!

قالها يحيى فقال هوفر ما ترجمه المترجم :

– إسترح ! تفضل !

– إفتحوا الباب !

– إسترح !!

حاول يحيى فتح الباب دون جدوى , نظر زاهر إلى يحيى ببرود بينما نظر يحيى له بعتاب و إحتقار , أما فريد فنظر للأرض , أمسك الطبيبان الأجنبيان يحيى عنوة و لم يجد قوته المعتاده ليبطش بها !

– لما هاتاخد الحقنة هاتبقى كويس !

قالها فريد فصاح يحيى :

– مش عايز حقن تاني ! إفتحوا الباب !

إجتمعن الممرضات بالخارج و منعهم الطبيب ضخم الجثه من الدخول , جاءت سالي مهروله تبحث عن يحيى حينما أخبرتها سُعاد أنه ذهب لأخذ العقار في موعده , شعرت بقلبها أن هناك في الأمر شيء و صدقت !

ممنوع الدخول لأي شخص حتى لو كان وزير الصحة ! صاحت سالي و كان قلبها ينخلع مع صيحات يحيى ! لا تفهم ماذا يجري , جاء د.مرزوق على صوت الجلبه الشديدة و نبرات الممرضات وهمهماتهن الحزينة وهن ينظرن للغرفة و يتخيلن ما يجري !

حاول يحيى المقاومة دون جدوى , قيدوا قدماه و يداه في السرير , فتح هوفر الحقيبة السوداء لتلمع بداخلها حقنة بها سائل أحمر إستوعب عقل يحيى الفكره المرعبه !

شعر بإختناق شديد و كأن الغرفه تضيق عليه أكثر و أكثر , كان الألم شديد في ظهره و قدماه فزاد الألم مع إحساسه بأنه على وشك مفارقة الحياة ! كأنه مُجرم حُكم عليه بالإعدام و حان لحظة التنفيذ المفاجئة !

– دي جريمة أنا لازم أدخل !

قالتها سالي فلم يعيرها الطبيب ضخم الجثه إنتباهاً أو حتى يحاول فهم ما قالت , قال مرزوق :

– تعالي نروح لأهله يا دكتورة سالي !

إستحسنت الرأي فذهبوا إلى غرفة سعاد و أخبرتها سالي وهي تحكي بصوت متقطع مذعور :

– ها يموتوا يحيى خلاص !

حاولت سعاد القيام و قاومت الألم للحظة ولكن حركتها المفاجئة العنيفه جعلتها تصرخ و سرعان ما عادت و أسندتها سالي لترقد على السرير ثانية , أما حسين فتلقى الخبر ولا يعد يعرف أيفرح لظهور فرصة جديدة تمد من عمر ولده الذى قارب عمره الجسدي على الخمسين من العمر !

إكتست جوانب شعر يحيى بالشعر الأبيض فجعلته أكثر جاذبية على الرغم من حالة الإعياء الشديدة و الرغبة الفظيعه في مغادرة هذا السجن الطبي .

أخرج هوفر الحقنه بحرص شديد مبتسماً بزهو وقال ما ترجمة المترجم :

– لم نأت لنلعب يا صغيري !

– فين وزير الصحه ؟!

ترجم المترجم فضحك هوفر :

– يدعو لك الآن !

شعر هوفر في داخله بتيار كهربي سرى بين ضلوعه , لم يكن متوقعاً بالمره أن تأتي صورة الحالة الأولى المصابة بالتريفاموجا أمام عينه و كأن الطفل يصيح و يزعج هوفر قائلاً :

– لا تقتله .. لا تقتله

أخرس هوفر وساوسه و دس نصل العقار الأحمر الخطير في جسد يحيى الذي صرخ بصوته الخشن أقوى صرخه سمعتها المستشفى على الإطلاق !

صرخات النساء تجعلك تشعر أن الأمر مهما بلغت خطورته يمكن إدراكه أما صرخات الرجال فتعني أن الأمر جلل ولا يتحمله أحد ! و تعنى أن محاولات كانت هناك وباءت بالفشل !

كان السائل الأحمر يغلي كالحميم في ذراع يحيى منه إلى كتفه ثم إلى أعلى الجسد و الرأس وفي نفس اللحظة وصل إلى أطراف القدم و أصابعها !

طالت الصرخه ثم بدأت تخفت قليلاً قليلاً , قبض يحيى على الملآة أسفله بأصابع يده قدر ما يستطيع من الحركة وسط هذه القيود و الأغلال , بكى و هو ينظر للسقف شاعراً بضوء أبيض ساطع يضرب عينيه وتتشوش الرؤيا أمامه تماماً , فيهتز هوفر و حتى زاهر الواقف بجوار الباب لم يعد يحيى يرى ملامح وجهه الذي أصبح مكروهاً له الآن !

سمع صوت سالي تصيح في الخارج و صوت والده ! ينهرها و يبعدها عن الوقوف أمام الغرفة !

– سيبينا في حالنا بقى !

قالها حسين وهو يدفع سالي بعيداً عن باب الغرفة التي بها يحيى , بدأت أعراض جديدة في الظهور , لم يكتمل شعور هوفر بالإرتياح لثواني حتى وجد صعوبة في بلع ريقه و قال لأحد الأطباء :

– السماعة فوراً !!

أعطوه السماعة وضعها على أذنه ليستمع إلى نبض يحيى الذي بدى غير منتظم , بدأ صوت يحيى يتحشرج و يسيل اللعاب من فمه , يغمض عينيه من الحُرقه و يفتحها فيرى بصعوبة بالغه !

توقفت قدماه تماماً عن الحركة , تجمد الدم في عروق فريد و هب واقفاً وقال لهوفر وهو ينظر ليحيى :

– حصل إيه ؟! .. ترجم له يابني !

– لا أعرف ! هذه أول مره أقوم بتجربة العقار !

– إنت مش متأكد من النتائج ؟!

– نعم ! و لكن .. الحاله مختلفه عن السابقة فعلاً !

– كارثة !! .. كارثة يا زاهر ! محدش ينقل الأخبار !
محدش يطلع من الأوضة أصلاً ولا يدخل !

ثم نظرت سالي من بعيد لحسين و عينها تتوضأ بالدموع و قالت له بصوت أنثوي مستسلم :

– خلاص ؟! مفيش حتى صوت ! مبسوط كده ؟!

إرتعشت يد حسين أثناء كلامها و أراد أن يجلس على أقرب كرسي , ألقى بنفسي على الكرسي و بكى , قال بصوت لا يسمعه سواه :

– يا رب مالناش غيرك .. حبيبي يا يحيى !

■■■

الساعة الثامنة عشر

1 ص

أعطى هوفر ليحيى الحقنة الخامسة على أمل ضعيف أن تُحيه من جديد فلا فائدة , يتنفس بصعوبة و لا شيء آخر يحدث , أخذ فريد يتخيل مصيره في المستقبل القريب و شماتة قرناءه من أصحاب المستشفيات الكبيرة التي حاربها و ناضل من أجل إسقاطها أو على الأقل تصغير دورها أمام مؤسسته العملاقة .

في الخارج كان حسين يتكلم مع نفسه بصوت مسموع وهو جالس على كرسية :

– ده أنا حاربت عشانه !! أسيبه يروح كده !

قام من على كرسيه و أخذ يطرق الباب بعنف و يهدد و يتوعد فريد بأنه سيتصل بوزير الداخلية !

أمر فريد أمن المستشفى بالهاتف أن يبعدوا حسين من أمام الغرفة , أخذ حسين يسبهم , و يسب فريد و إنقطع أحد أزرار قميصة من المقاومة حتى جلس بجوار سالي بعيداً .

سرت في المستشفى أخبار مصدرها بعض الممرضات اللائي كن أمام الرواق المؤدي للغرفة التي بها يحيى , مفادها أن يحيى قد مات !

سمعت نرجس الخبر فأجهشت بالبكاء و رفضت الدخول إلى سُعاد و فوضت غيرها لإخبار الأم المسكينة بينما وزير الصحة كان جالساً في الإستراحة يجري إتصالاً هاتفياً قاطعه مساعدة الذى بدى عليه الوجوم وهو يقول :

– البقيه في حياة معاليك

– مين ؟!

– يحيى يا فندم

– يا نهار إسود ! كلام البت دي طلع صح ؟!

– الخبر بيقول إن الحقنة وقفت القلب تماماً

– هو يوم باين من أوله ! لا حول ولا قوة إلا بالله !

قام الوزير و شدد على المحيطين به بأن يمنعوا أي كاميرا من الدخول مهما كانت سطوة حاملها و رؤسائه , إختار الوزير تقديم واجب العزاء أولاً فقرر الذهاب إلى سُعاد أم الفقيد , طرق على الباب , فإستعدت سعاد و إعتدلت في جلستها و كذلك ثريا عدلت من ملابسها و سمحوا للوزير بالدخول , دخل وهو يجر قدماه الخطوات البطيئة لا تحمل أي بشائر عادة , تقدم نحو سُعاد و سلّم عليها وقال :

– البقيه في حياتك يا مدام سُعاد

– حياتك الباقية معاليك في مين ؟!

– يحيى !

– يحيى لسه ماشي حالاً ! يحيى إيه !

قوموني !

– لو سمحت إستريحي إنتي ست مؤمنة

– قوموني ! يا نهار إسود ! .. يا نهار إسود .. يا يحيى !

قامت ثريا و هي تبكي و ترتعش وحاولت الإمساك بسعاد قدر الإمكان , تناست سعاد ألم العملية و أثرها , وجدت نفسها ثقيلة للغاية لا تستطيع الحركة و لكنها لم تكف عن المحاولة , حاول الوزير منعها دون جدوى أصبحت تصرخ كالمجنونه و دفعت الوزير محاولة الخروج من الغرفة التي أصبحت كئيبة و موحشه , كل الوجوه أمامها صارت غريبة عنها و كأنها تراهم لأول مره !

– يا حسين ! فين يحيى يا حسين !

قالتها سعاد بصوت متقطع ثم دخلت في حالة من البكاء الهيستيري و تقول بصوت مستسلم ضعيف وسط الدموع :

– إبني حبيبي ! .. عايزه أشوفه .. يا يحيى !

– وحدي الله يا بنتي

قالتها ثريا و قلبها يُعتصر أما الوزير فقد غادر و دخلن الممرضات ويتقدمهن نرجس التي كان وجهها أشبه بقطعة الإسفنج الحمراء المبتله من كثرة الدموع !

■■■

– أنا لازم أتصرف !

قالتها سالي فحاول مرزوق الفهم منها ولم يفلح قامت ويبدو على وجهها التحدي و ذهبت إلى المكان المتواجد فيه الضابط باسل , وجدها تبكي فقال :

– في إيه يا دكتور يحيى كويس ؟!

– إلحقنا يا فندم مصيبة !

حكت له أثناء توجههم نحو الطابق الذي به يحيى الآن , حكت له كل شيء ! فهناك مثل يؤمن به البريطانيون يقول أن المشكلة حينما يتشاركها إثنان فينحل نصفها فوراً !

بدأت تشعر سالي بالإرتياح حينما إستجاب باسل لها و كان يسير بسرعة و غضب شديد

– إيه التهريج ده ؟! ده إحتجاز غير قانوني !

داخل الغرفة ما زال يحيى غائباص عن الوعي , أخذ فريد يدور في الغرفة لا يدرى ماذا يفعل و ماذا سيحدث , تمنى لو أن حسين ذهب بزوجته لتلد في مستشفى آخر و كفاه كل هذه الكوارث !

أمر هوفر بتحضير العقار الأصفر السادس , و دسه بسرعه في عروق يحيى آملاً أن يتغير الوضع أو يعود لما كان عليه قبل قليل بالأحرى ولكن دون جدوى !

يحيى حي أشبه بالميت يتنفس فقط و يسيل لعابه , زادت البقع الحمراء و توقفت قدماه على الحركة و المقاومة ! و الآن أدرك هوفر أن الأمر خطير ! لم يتألم يحيى من العقار الأصفر كعادته !

ووضع هوفر يده على رأسه و أغمض عينيه مفكراً , قام على قدمان هزيلتان منهكتان , عرقه يتصبب على وجهه , من شدة الإنهاك يرى ما حوله مشوشاً , حتى جاءت طرقات الباب المدوية !

تصلبت حنجرة فريد عن الكلام و شعر زاهر لاول مره أنه شريك رسمي في هذه الجريمة الطبية الجشعه !

و قال الجميع إنا لمُدركون !

أخذ باسل يطرق الباب بقوة و يقول لفريد :

– إفتح يا دكتور فريد اللي بتعمله ده غير قانوني !

لم يرد أحد من الداخل , كانت سالي منهاره نظر لها باسل لحظة و أشفق عليها , تخيل زوجته بدلاً منها إرتعب من مجرد الفكرة فزادت طرقاته حده على الباب , إقترب حسين من باسل و قال :

– خليهم يدخلوني أشوفه ! حتى لو آخر نظره ونبي أشوفه !

فتح فريد الباب بإستسلام و سمح لهم بالدخول , إقترب باسل من فريد ونهره :

– أنا بحملك المسئولية يا د.فريد !

دخلت سالي الغرفة و سبقت حسين , إرتمت على يد يحيى و إحتضنته و أخذت تحركه و تضع رأسها على صدره لتسمع أنفاسه :

– إطلعوا بره كلكم !

صاحت فيهم , ففهم هوفر من المترجم و فر من الغرفة بينما كان فريد بالخارج مع باسل من الأساس أما حسين فوقف يائساً أمام جسد إبنه , طلبت منه سالي الإنصراف و طلبت مساعدة د.مرزوق , طلبوا من عم عوض حقنة معينه من الصيدلية , هرول و بعد قدائق كانت الحقنه تسري في جسد يحيى كالبرق , فتح عينيه في فزع و صدرت منه أنات كأنه ينازع لطلوع الروح سرعان ما تحولت إلى همهمات مفهومه "إفتحوا الباب .. إفتحوا .. سالي ... ماما .. "

إبتسمت سالي و عاد لها الأمل بعدما كان بعيد المنال عنها , أخذ مرزوق يحاول الكلام مع يحيى و إعادته لليقظه و الوعي , رويداً رويداً فتح يحيى عينه على إتساع و كأنه ولد من جديد !

قفزت سالي من مكانها و قبلت رأس يحيى و شكرت الله , بينما إبتسم مرزوق و قال :

– قوم يا بطل حمد الله على السلامة !

حاول يحيى القيام حتى قالت سالي :

– قوم يا يحيى !

– ده شلل نصفى يا سالي !!

قالها مرزوق وهو يشير على نصف يحيى السفلي , نظر لهم يحيى بعذر و حاول معانداً تحريك قدمه دون جدوى ! :

– يا ولاد الكلب !! ..

كاد أن يقع من شدة الحركات العنيفه التي يختلقها لتحريك قدمه , كل المحاولات باءت بالفشل , فجأة شعر أن الغرفه إتسعت بحجم الكون وهو مجرد نمله صغيرة لن تبلغ نهاية الغرفة إلا بشق الأنفس !

جلست سالي على الأرض بجوار سريرة , شعرت بإستسلام ما بعد الجهد الزائد عن الحد , حينما تبذل أكثر مما كان في وسعك تستسلم و لن يخيفك شيء بعدها ! حتى الموت يصبح رفاهيه و مغامرة تريد خوضها بلا أي مخاوف !

أخذ مرزوق يتلو الأدعية و يحاول مساعدة يحيى في الحركة و تاره يحاول تهدئة ليتقبل قضاء الله , حتى إستسلم يحيى هو الآخر !

خارج الغرفة وصلت نرجس إلى حسين و أخبرته بحالة سُعاد فطار إليها و دخل عليها وجدها منهاره تماماً و الممرضات يحاولن إفاقتها من حالة الهذيان الشديدة , حاولوا جعلها تشرب قسط صغير من الماء

لفظته و ظلت تسعل و تنادي على يحيى حتى جاء حسين مهرولاً حملها و وضعها على السرير و وضع على قدمها الملآة فقالت :

– إبننا ضاع يا حسين ! .. عملوا فيه إيه ده كان زي الفل ؟!

– يحيى كويس والله يا حبيبتي

– إنت لسه هاتخبي عليا ؟

– والله العظيم كويس و الدكتورة هناك معاه !

– أشوفه ! خودوني ليه يا حسين أبوس إيدك

– هو هايجيلك إهدي إنتي بس .. ممكن تشربي ؟!

أعطاها بعد الماء و قرص مهديء ظنته من الدواء المخصص بعد العملية و كانت تُنهي وصلة البكاء بصوت حشرجه كالأطفال عند الإنتهاء من الصريخ و البكاء المتواصل المزعج .

إلتهبت حرارة ثريا من شدة الضغط لما تراه من مأسآة لم تتوقع يوماً أن تطول أحد أفراد عائلتها بهذه الطريقة الدرامية , أرغمتها الشفقه و حالة سُعاد المزرية على الرجوع أعواماً طويلة للخلف , تحديداً لحظة وداع أمها "هاجر " التي كانت تحبها و تدللها كانت ثريا مراهقة لم تبلغ الثامنة عشر بعد , وكان أبوها مسعود صارماً , ثرياً و صارماً , يدلل أولاده الصبيه و يمقت إظهار الحنان و الضعف أمام بناته ثريا و كوثر , كن يخفن من صوته حينما ينفعل أو حتى حينما يضحك بصوت عالي مع أصدقاءه فنادراً ما كان يضحك مع هاجر , كان وداع الأم لدى ثريا بمثابة صمام الأمان الأخير قبل أن تنفرج أبواب الجحيم و مواجهة غلظة والدها و أفعاله ولكن بكاء ثريا كان خوفاً من الغد ! عادت من شرودها لتجد سُعاد تبكي بنفس الحُرقه حسرة على الأمس و اليوم و لم تعد تتصور الغد !

■■■

طرق باسل على غرفة يحيى و دخل بخطوات خاشعه و هو ينظر ليحيى الذى سكن تماماً و ينظر للسقف

– عامل إيه يا يحيى دلوقت ؟!

– ...

– دكتورة سالي ؟!

قامت سالي من على الأرض و مسحت دموعها وهي تقول :

– لازم نفتح تحقيق حالاً .. يحيى مش هايقدر يمشي تاني !

– هوفر إبن السافلة !

– أنا عايز أروح لأمي !

قالها يحيى بصوت كله سكينه و إستسلام , إقترب منه باسل فقال يحيى :

– شكراً يا فندم .. بسببك سالي أنقذتني تاني !

يتحسس يحيى شعره ثم قال ساخراً :

– أنا شكلي عامل إزاي ؟! لو بوظوا شكلي بلاش أروح لأمي كده !

إنتبهت سالي و قالت :

– إستنى ثواني !

– رايحه فين ؟!

قالها يحيى ولم تستمع له سالي , طارت و خرجت من الغرفة و غادرت الرواق و بعد دقائق عادة وفي يدها أدوات و قنينة ماء و صحن بلاستيكي !

– إنتي بتهرجي !!

قالها د.مرزوق وهو ينظر للصبغة البنيه التي أعدتها سالي في ثواني و أحضرتها , إنطلقت سالي وهي تضع بعض من الصبغة المميزة سريعة المفعول , كان يحيى يضحك و ينظر في المرأة ويقول :

– قوليلي يا عمو !

– طب إرفع راسك يا عمو

– مفيش وصفة للتجاعيد ؟!

– سيبني أشتغل يا عمو مفيش وقت !

قالتها فقهقه يحيى بينما كان باسل ينظر مندهشاً , يرفرف قلبه من السعادة لأنه أنقذ حياة إنسان ولو للحظات أو ساعات قليلة ولكنه دخل في ظل الفرقة التي أحيت نفساً فكأنما أحيت الناس جميعاً !

كانت سالي تحرك بحنان و شغف كبيرين على شعر يحيى وكأنها فنانه ترسم لوحه من لوحاتها بعناية , بينما كان يضحك هو بقلب طفولي و كأن لم يمسسه ضر ! جميلة هي حياة الراضيين بالأقدار حينما لا يكون في الأمكان أكثر مما كان , فيبتسمون و يستريحون إستراحة محارب فعل ما بوسعه و يفتح صدره للقدر بإرتضاء .

دخل حسين من باب الغرفة فوجد يحيى حقاً إستفاق و بعد إكتساء شعره باللون البني الجميل عادت ملامحه

إلى شبابها تقريباً , إحتضنه حسين و بكى على كتفه فضحك يحيى , بينما كانت سالي تنظر لحسين بسخط

– حبيبي إنت كويس ؟!

نظر حسين إلى قدم يحيى و شعر أن هناك خطب ما , ثم أكمل حسين :

– عملوا فيك إيه ؟! كنت ساكت ليه ؟!

– أنا كويس يا بابا والله

– طب قوم نروح لأمك !

تنحنح مرزوق و قال :

– أستاذ حسين .. يحيى مش هايقدر يمشي !

– إيه ؟!!

– أناديهم يكملوا عليه ؟!

قالتها سالي من غضبها فجز حسين على أسنانه من الغيظ من هوفر و فريد و نظر لسالي بعدما هدأ وقال :

– أنا آسف يا بنتي ! يا ريتني صدقتك !

– إنت إيه اللي جابك هنا يا مجرم إطلع بره !

قالها دكتور مرزوق لهوفر الذى دخل من باب الغرفة مع مترجمة , ترجم له المترجم فشعر هوفر بالخوف و التردد وقال :

– لم أقصد أذيته ! أقسم لكم !

– قولتلك إطلع بره !

– يحيى ! أنا هنا من أجل إصلاح الأمر !

ثار حسين و دفع هوفر خارج الغرفة و أغلق الباب , ونظر لسالي التي بدى عليها الإرتياح و الإطمئنان من هذا التحول الذى وصل له حسين ! نطمئن حينما نجد من هو في جانبنا ! فليحدث ما يحدث طالما هناك بجوارنا من يشاطرنا مشاعرنا و أحلامنا !

وقف هوفر خارج الغرفة متأففاً و الشرر يتطاير من عينية , قطع أحبال الرحمة و الإستجداء من ضميرة و أجهز على شرائط الذكريات التي يلاعبه عقله بها وقرر عدم الإستسلام .

أما وزير الصحة لما سمع الخبر إبتهج و قال :

– الحمد لله ! كان قلبي حاسس !

بلغوا أمه فوراً !

ذهب الوزير و دخل على يحيى , أدى له باسل التحية و طلب يحيى من سالي و حسين و مرزوق المغادرة لمنع هوفر من الدخول ثانية فوافقوا بإستغراب !

– طب خليني جمبك !

قالتها سالي فرد يحيى :

– هاتيلي لبسي من العربية وتعالي !

– ماشي !

■■■

جلس عبد الله على سجادة الصلاة يبتهل و يدعو الله أن يموت إبن شقيقته بدون ألم , تورمت عيناه من كثرة الدموع , وجدها فرصة للغوص في أعماق نفسه و إكتشاف ضعفه البشري , تسعة أعشار الراحة النفسية تبدأ حينما تدرك أنك تحتاج إلى قدرة ربك الأعلى و العشر الباقي يأتي مع يقينك بقدرته !

كان حاتم يتابع التلفاز بعين و عينه الأخرى على والده القعيد المكلوم , قرأ حاتم خبر وفاة يحيى في التلفاز فتسمرت عيناه على مشيرة حكيم التي ترتدي ثوب أسود للحداد وتقول :

– جاء إلى الدنيا بهدوء و رحل في هدوء .. يحيى حسين أبو مسلّم .. طفل و شاب و رجل مصري تشرفت بإجراء الحوار الوحيد في حياته معه , الحقيقه كان إنسان رقيق و قلبه كبير

كان ساعتها كله شباب , يحيى حاله خاصة .. تشوفه تقول طبيعي جداً , بالعكس كان مختلف !

الفترة اللي قعدتها معاه خدت كمية بوزيتيف إينرجي كبيرة ! .. مش عارفه أقول غير الله يرحمك

يا إبن مصر و شكراً ليك , شكراً إنك رغم عمرك القصير علمتنا و حاولت تعمل حاجة لبلدك لما روحت الهرم و عملت دعاية كتير مننا لو قعد سنين عمره ما هايعملها !

سالت دمعه من عين حاتم و أخفض الصوت , قام بتغيير القناة فوجد كل القنوات تهتم بنفس الحدث عدا قناة واحده يجلس فيها مذيع مشهور ويقول :

– ده خبر عاجل يا جماعه يحيى لسه عايش ! .. صح كده .. في أخبار مؤكدة من مراسل برنامجنا إن يحيى عايش و صحته جيده .. الحمد لله .

تمتم حاتم وسط دموعه :

– الحمد لله يا رب , توهتونا معاكم منكم لله !

جاءت أم حاتم و في يدها المصحف و قالت :

– بيقول إيه الجدع ده ؟!

– بيقول يحيى الحمد لله عايش

– عايش ؟!

– أصل في قنوات تانية قالت إشاعه إنه بعد الشر مات !

– أعوذو بالله ! .. خلاص سيب الجدع ده !

نادى عبد الله على حاتم ليقوم من على السجادة , أسنده حاتم إلى كرسية و سار به إلى الصالة ليجلس بجوار زوجته أمام التلفاز يتابع ما يجري .

– ناوليني التلفون يا أم حاتم

– سيبها دلوقت الله يكون في عونها المسكينة

– يا حاتم !

– خلاص هاجيبهولك

إتصل بسُعاد التي كانت تتكلم بلهجة مُستسلمة , أحس عبد الله أن شقيقته إستعدت تماماً للخبر الذي سيأتي بين عشيه و ضحاها , الأسوء من مساندة من تحب لجعله يتقبل الصدمه هو أن يستسلم هو ولم يعد لديه ما يخسره !

أغلق عبد الله المكالمة و نظر إلى قدماه وهو يلعنهما و يلعن العجز و الخوف و المرض و هادمي الملذات و مفرقي شمل الأحبه .

■■■

– معالي السفير .. أؤكد لك أنهم مختطفين الحالة الآن !

– هوفر إهدأ .. سوف نتخذ إجراءاتنا في الحال

– لو مات المريض فأنا أحمل إدارة هذه المستشفى المسئولية !

– حسناً بالطبع !

كان هذا حوار د.هوفر مع السفير الألماني و ذلك بعد عدة إتصالات أجراها الطبيب الكهل الألماني الماكر , قام بتهييج الرأي العام العالمي ليظهر في دور الضحيه و المسيح المُعذب الذي يتألم من أجل خلاص الإنسانية ! كم من متقمصين دور المسيح آمنا به ففعل ما يفعل يهوذا !

جلس هوفر على أحد الكراسي الموجودة في الطرقة و أمر تلاميذه بإلتزام الغرفة التي يعقد فيها إجتماعاته منذ جاء إلى مصر في صباح اليوم , كان يتابع هوفر ما يجري من بعيد بفضول بشع , يرى حسين و مرزوق يقفان أمام الغرفة ينظران له بغضب و تحفظ , يدخن حسين بإستمرار بينما مرزوق ينظر في هاتفه المحمول .

ساعد باسل وجرى على يحيى ليسند ظهره على سريرة , كان يبدو على يحيى الإستعجال و يتكلم بسرعه و ينظر لباب الغرفة و يسكت أثناء الكلام ظناً منه أن أحداً سيسمعهم , أخرج الشيك من جيبه و طلب من باسل هاتفه المحمول فسمح له , إتصل يحيى بالرقم الذي حفظه عن ظهر قلب :

– ألو .. الحاج فتحي السمسار ؟!

نظر الوزير بإستغراب لباسل , فأكمل يحيى :

– ونبي كنت عايز محل كبير في المنطقة عندك .. على البحر آه ..
عايزين نعمله معرض لوحات ! .. قدامك حاجه مناسبة ؟!

نظر يحيى للشيك و قال :

– آخر كلام ! .. طب أنا هاخلي حد يكلمك اليومين الجايين إحجز لنا المحل بإسم سالي شرف الدين !

و أنهى المكالمة و قال للوزير :

– معاليك أنا كلمت وزير الثقافة على الترخيص ووافق .. يا ريت تكلمه تفكره .. كل اللي أنا طالبه من حضرتك إنكم تسهلوا الإجراءات !

– حاضر يا يحيى بس كده !

– و في حاجه تانية .. الشيك ده مكتوب لحاملة عشان أنا ماليش إسم على الورق طبعا يا ريت يا حضرة الظابط تنادي بابا أنا عايزه حالاً .. لوحده !

فتح باسل الباب و طلب من حسين الدخول بمفرده , أطفأ حسين سيجارته و دخل متوتراً ظن أن هناك إنتكاسه جديدة ليحيى , فوجده في أفضل حال , أغلق باسل الباب و قال يحيى :

– بابا .. خلي الشيك معاك .. جزء منه معالي الوزير هايفهمك إتعمل بيه إيه و الباقي سدد بيهم ديون البنك

– بنك إيه ؟! لا طبعاً يا حبيبي دي فلوسك !

– إسمعني بس ! .. أنا هاعمل بيها إيه ؟! .. ريحني !

أخذ حسين الشيك ووضعه في جيبه و شعر أنه أثقل ورقه حملها في عمره , ثم قال :

– أمك حالتها صعبه و عايز تشوفك يا يحيى !

– أنا كمان عايز أشوفها أوي !

هم بالقيام فتحرك حسين و باسل ليسنداه حتى يصل إلى غرفة أمه , دمعت عين حسين حينما وجد إبنه لا يستطيع تحريك قدمه تماماً , شعر بأن جزء كبير من الذنب مُلقى عليه !

جاءت سالي بالملابس و عادت ويبدو عليها الإنتعاش , قابلتها نرجس و قالت :

– عشت وشوفتك بتضحكي يا دكتورة !

– هو اللي يشوفك على الصبح يضحك يا قمر

ضحكت نرجس و تابعت سالي طريقها لتجد هوفر يقف بجوار طبيب من تلاميذه أمام الغرفة التي بها يحيى , خرج باسل مطأطأ الرأس و تبعه حسين أما وزير الصحه فلا أثر له !

– في إيه ؟! و سيادة الوزير سكت ؟!

قالت سالي جملتها و رد عليها حسين وهو يزم شفتاه من الغيظ :

– الحقير عمل إتصالات و أحرجنا قدام العالم .. دي أوامر عليا !

– يعني إيه أوامر عليا ! ده إبنك إنت !

– مدام عايزينه عايش يبقى لازم نسمع الكلام !

قبضت سالي على الحقيبة البلاستيكية التي بها الملابس حتى كادت تنقطع , تذكرت كلمة الإمام علي رضي الله عنه "الناس من الخوف من الذل في ذل !! "

وقف دكتور منصور عبد الرحمن في إشارة المرور المزدحمة , تأفف و أغلق زجاج نافذة سيارته لم يرد أن يسمع ضوضاء أكثر من ضوضاء عقله التي تزداد مع الوقت , تذكر محاضرة له من اللحظات التي لا تُنسى حينما أحضر معه كرة تنس ووضعها أمام التلاميذ و طلب منهم أن يحركوها من بعيد دون تدخل !! وحينما فشل الجميع بالطبع قال مقهقها :

– طبعاً مستحيل ! .. ده قانون نيوتن المبدئي , الماده محتاجه قوة دفع عشان تتحرك !

فأمسك كره أخرى و رماها في مسار الكرة الأولى الموضوعه فلما إصدمت بها تحركت بعيداً , فقال :

– كمان الجسم المتحرك عمره ما يقف إلا لو في قوة مناسبة وقفته !

زي مثلاً عربية نازله على منحدر جبلي لأسفل ! لو مفيش حاجز يوقفها
هاتفضل تنزل لحد الأرض تحت !

إرتشف من كوب الماء بعضاً منه ثم أكمل بحماس :

– دي قوانين المادة يا شباب , و الإنسان مخلوق من إيه ؟! ... برافو عليكو
من الماده .. عشان كده بيكون في شخص كسلان ! واقف محلك سر !
هنا بقى يظهر دور "الدافع .. الشغف" .. القوة الدافعه و التحفيز عشان يتحرك !
وكذلك الإنسان اللي خد دفعه عمره ما يقف من نفسه ! لازم تحصل ظروف تعطله
أو مشكلة أو صدمه ! ولو كان إنسان طماع مثلاً مش هايوقفه غير كارثه !

و أخذ منصور الدفعه في الصباح وها هو يتحرك الآن و يتماشى مع قوانين الطبيعة , لن يوقفه شيء عن اللحاق بيحيى قبل موعد رحيله من الدنيا الذي يقترب !

كسر منصور الإشارة على غير العادة و بدى غير مكترث بأي أعراف و تقاليد و قوانين !

دخل هوفر على يحيى الذي ينظر له ويقول :

– عايز مني إيه تاني يا حقير !

– التكفير !

قالها هوفر و ترجمها المترجم , إنغلق الباب على هوفر و يحيى و المترجم فقط , أخرج هوفر الحقنة السابعة مع كلمته فنظر يحيى للسائل الأصفر الذي يعرفه جيداً و أراح رأسه على السرير و مد يده بإستسلام .

■■■

الساعة العشرون

3 ص

– أنا مش هافضل قاعد هنا ! يحيى زمانه طلع معاش !

قالها دكتور منصور الجالس في إستراحة المستشفى مع سالي التي تعرفه جيداً , قام منصور و توجه أمام الغرفة التي بها يحيى , شعر بالعجز لأنه لن يستطع فتح الباب بدون إذن من الكهل الألماني المدجج بالرأي العام العالمي ! إكتفى منصور بالوقوف و إنتظار الفرج الإلهي الذي يكلل كل إنتظار طويل مُجهد !

عاد شعر يحيى لبياضه ولكن هذه المره أكثر مما سبق , زحفت التجاعيد على وجهه و إزداد الهالات السوداء حول عينيه , يحيى الستيني لم يتكلم كثيراً مع هوفر و تركه ينظر في أوراقه و أبحاثه و بجواره طبيبين

يفحصون يحيى و أقدامه و جميع أعضاء جسمه بلا حياء , برود الأطباء نعمه يتمناها الجميع في هذا الزمن !

– ألا تتكلم ؟!

– ...

– يحيى ! هل أنت على ما يرام

– ...

– إخرجوا و إتركوني معه

خرج الطبيبان و تركا يحيى و المترجم و هوفر فقط , قال هوفر :

– كان نفسي أساعدك ! للأسف !

– بجد ؟!

– أعرف أنني تسببت لك في ألم شديد و ..

– إخرس أرجوك .. مش طايق صوتك !

– هل تعلم أنك الن تشبه والدي في عمر الستين ؟!

– كنت سيبني أعيش زي ما أنا اللي فاضل لي ! .. منك لله !

– الله يعلم أنني كنت أنفذ مشيئته !

– هل لديك أبناء ؟!

– نعم ! ولداً وبنتاً !

– هل ستقبل أن يحدث لهم هذا

و أشار يحيى على قدمه بأصابع مرتعشه و أكمل بصوت مبحوح متهالك :

– لو كنت تحبني مثل أولادك ما كنت فعلت !

– بل كنت فعلت !

– أنا هاتكلم بالفصحى عشان تنقل له كل كلمة صح ! ....ربما لأنك تحب العلم أكثر من أولادك أيها الأناني ! كم مره قبّلت فيها طفلاً ؟! فكرت فيها بغيرك ؟!

– لا أتذكر

– لكنك تتذكر جيداً آلام ضحاياك ومع ذلك لا تتوقف !

– لقد وهبت حياتي للعلم و الإنسانية !

– قل لي لماذا هجرتك الإنسانية ؟! لماذا تعيش في عزله !

لماذا لا يتشاور معك تلاميذك ولا ينطقون كأنهم آلات ؟!

حتى هؤلاء إخترتهم بعنايه أيها المسكين !

– إصمت !

– تألمت ؟! حقاً ؟!

أرح يحيى رأسه وهو يشعر بلهيب في حنجرته و أعصابه بينما أطلق يحيى العنان لذاكرة هوفر التي عرضت عليه لقطات سريعة خاطفه لكل ما مره به في حياته , عراكه مع زوجته , والده الذي قام بطرده من المنزل في جنح الليل , مديره في شبابه الذي سرق منه بحثاً كان كفيل بإختصار الطريق على هوفر ليتعرف عليه الوسط الطبي مبكراً ! .. رأى أولاده الذين ظلمهم دون أن يشعر بذرة ندم إلا الآن , رأى الطفل الصغير الذي أسماه بيتر و هو يصرخ من الألم حينما حاول مايكل علاجه من "التريفاموجا" , حتى هذا المصطلح الغريب هو الذي إخترعه , يتذكر الآن هوفر ما قاله الطفل بوضوح في دعواته الأخيرة !

– يا إلهي !! كيف لم ألحظ ذلك إلا الآن !!

قالها هوفر فقال يحيى :

– هو قال إيه ؟!

– يقول يا إلهي كيف لم ألحظ ذلك إلا الآن !

– يلحظ إيه ؟!

إستعاد هوفر نص الكلمات الأخيرة لبيتر فوجده يدعو عليه حرفياً ! يتمنى من الله ألا يستطيع هوفر تحضير عقاره أبداً ! و هذا سبب فشل العقار غالباً مع يحيى !

إن أردت أن ترفض فكرة الميثولوجيا و التدخل الإلهي المباشر فبالطبع سماع هوفر للدعوه جعله يعيش حالة النبوءة التي تحقق ذاتها ! أي أنه كان يرتبك و يخطيء و يتسرع عن قصد ! ليحقق ما قاله الطفل دون أن يدري !

– ممكن أطلب منك طلب !

– تفضل نحن الآن في نعاني من نفس الشيخوخة يا صغيري !

قالها هوفر بيأس أبوي فقال يحيى :

– لو لقيت حاله زينا .. أرجوك سيبنا نعيش للآخر !

سيبنا نعيش يومنا لآخره !

– أعدك بذلك !

– هاتعمل إيه لما تطلع لهم ؟!

حرّك هوفر يده بحركة تنم عن لامبالاه :

– ليست أول خيبة ! .. هذه المره نجحت أكثر .. و النتيجة مشابهه !

فليذهبوا بكاميراتهم للجحيم .. سأعتزل الطب !

– المهم ألا تعتزل الحياة ! .. ترجم له بظبط

– هاها .. حياة ؟! أنا على مشارف الموت !

– و أنا أحدثك من قلب الموت نفسه !

– سامحني قبل أن ترى الإله !

– من يرى الإله في حياته لا يعرف الكراهية !

– تذكرني بكلام شقيقي الراحل ! كان قس محبوب !

– تاره أشبه والدك و تاره أشبه شقيقك ! غادر الغرفة قبل أن تقول أنني أذكرك بأمك !

إنفجر هوفر في الضحك و قام وقبّل رأس يحيى و قال :

– هل تريد مني شيئاً يا عجوز ؟!

– ورينا جمال خطوتك .. ترجم له بظبط

– هاها .. بيني و بينك ما زالت هناك حقنة !

– ما تاخدها إنت و ريحنا ! أنا فاضل لي يادوب !

– ربما هي قبلة الحياة الأخيرة لك !

– قبّل أولادك حينما تعود إليهم ! .. لو تبقى لك في الحياة يوم فأقضيه

كما تحب و مع من تحب !

دمعت عين هوفر وهو يودع يحيى على أمل اللقاء الأخير بعد قليل , لملم هوفر أوراقه و رحل و غادر الغرفة

بينما دخل مرزوق قبل الجميع و أخذ يتكلم مع يحيى حول حالته و بما يشعر ثم تكلم عن الآخره

و كيف سيستعد لها ؟! و كيف سيرى ملك الموت ؟! لو كان صالحاً أم طالحاً , و ماذا سيحدث في القبر , و أشراط الساعة هنا تدخل يحيى :

– أشراط إيه أنا مسافة ما تعمل صنية كيك في الفرن هاكون قابلت وجه كريم !

ضحك مرزوق رغماً عنه و فهم أنها مزحه من يحيى يغير بها الموضوع , قام مرزوق و ترك سالي تدخل , وترك يحيى بقلب إحتلته المخاوف حقاً .. هل حقاً هناك موت و قبر ؟! كيف غابت عني تلك الحقائق طوال اليوم ؟! كيف إنشغلت بكل شيء عدا أحداث نهايتي ؟!

شعر برغبة عارمه في الصلاة و لكنها كتمها لأنه لا يريد زيادة أعباء من حوله , فهو قعيد الآن , صلى بقلبه و كان ظنه في الله جميلاً !

– عامل إيه يا حبيبي دلوقت ؟!

– دلوقت حالاً .. أحسن واحد في الدنيا !

– عمو شعره إبيض !

– بس لسه صحتي زي الفل النص اللي فوق كفاءة !

ضحكت وهي تتألم وتنظر له مسحت على كتفه , قبضت بيدها على ذراعه و رفضت تخيل ما سيحدث قريباً من مراسم الوداع و الفراق التي تكرهها و تخاف منها حد الموت منذ نعومة أظافرها !

دعى يحيى بصوت لا يسمعه إلا هو أثناء إنشغال سالي على الباب مع نرجس :

– يا رب ونبي إرزق أمي و أبويا بطفل تاني سليم يعوضهم !

■■■

Buddy you're an old man

poor man

Pleading with your eyes

gonna make You some peace some day

You got mud on your face

Big disgrace

Somebody betta put you back into your place We will we will rock you

Pink – we will rock you

الساعة الثانية و العشرون

5 ص

كان عمره الجسدي يقارب السادسة و الستين تزامناً مع تدفق السائل الأصفر مع آخر حقنة في يد هوفر , كتم يحيى ألمه و كأنه يكن إحتراماً لهذا العقار الذى أطال به الله عمره ليوم كامل .

أغلق هوفر حقائبه و أمر الأطباء الذين جاءوا معه بأن يسبقوه للخارج , ودع يحيى بعنق حار ووعده بأن يعود لألمانيا بحال مغاير و أنه على العهد معه إذا ظهرت حالة تريفاموجا جديدة و لو أنه يشك في ظهورها في سنوات حياته المتبقيه !

إختفى فريد تماماً فغادر هوفر المكان في صمت و رفض الحديث مع أي وسيلة إعلامية !

كانت نرجس بالخارج و تقوم بتشغيل الراديو الخاص بهاتفها فطلب يحيى من سالي أن تجعلها ترفع الصوت ! أعجب يحيى بشده بالتواشيح و وصوت الشيخ نصر الدين طوبار , فنظر من على سريرة إلى الشمس التي بدأت تنشر نورها مع إبتهال بصوت خاشع يدخل القلب :

"موقظاً بالنور أجفان الحياة

الضحى من نور من ؟!

الله

و الندى من فيض من ؟!

الله

سبحت لله في العش الطيور

ترسل الأنغام عطراً في الزهور

تصنع العش وتسعى في البكور

عيشها في رزق من ؟!

الله

وهي أيضاً صنع من ؟!

الله "

سمح يحيى لدموعه أن تنزل بغزاره و لم يمنعها , يشعر بأنها تغسله و هو في أمس الحاجة لأن يتطهر تطهيرا

تمنى لو كان على البحر و يستمع لهذا الإبتهال , يلمس بقدمه المياة الباردة و ينعم بالشمس الدافئة , يتأمل الطيور المغرده و الرمال الساخنة التي تغير طبقات الجلد الميته بأخرى حيه مجاناً !

هدايا الطبيعة التي لا تختفي و لا تتوقف إلا بأيدينا ! إما أن نقتلها أو ننشغل عنها بمتع صناعية تافهه لامعنى لها و لا طعم

خرجت سالي لتحضر حقيبة الملابس البلاستيكية التي نستها على المقاعد في الطرقه لتفاجيء بدكتور منصور بجوارها نائماً ! شهقت وقالت بخجل ضاحكة :

– دكتور منصور

فرد بصوت شخص شبه نائم لم ينم منذ سنوات :

– هاه

– دكتور منصور

– أيوه

– إصحى يا دكتور أنا آسفه

– مين ؟!

– حضرتك نمت و ..

– يا خبر أبيض !! الساعة كام دلوقت ؟! .. يحيى يحيى فين ؟! عايش ؟!

– ما تقلقش الحمد لله عايش جوه و زي الفل !

طار منصور ودخل غرفة يحيى فإبتسم يحيى وقال :

– أهلاً وسهلاً جيت في وقتك .. لسه كنت بتابع تأثير شروق الشمس الحراري

– قلبي إنخلع ! راحت عليا نومه بره !

– نوم الهنا يا دكتور .. إنت جيت إمتى ؟!

جاي تودعني ؟!

– الحقيقة لأ !

أخرج منصور ورقة من جيبه فصاح يحيى ساخراً :

– يادي العلم ! هو أنا مخلوق عشان أحل معادلات ويتجرب فيا معادلات ؟!

– ليه لأ ! حد عارف حكمة ربنا فين بظبط ؟!

– يا عم سيبوني أرتاح الساعتين تلاته اللي فاضلين !

– بص

أشار منصور للورقه فأشار له يحيى على ساعة سالي التي في يده فسكت منصور و زم شفتاه بيأس و قال :

– مش عايز تحمي مليارات ممكن يموتوا في المستقبل ؟!

– مليارات ؟!

حكى له منصور بسرعه عن خطورة الحروب النووية التي على وشك الوقوع فقال يحيى :

– يعني إحنا اللي هانجيبه لنفسنا ! .. ظهر الفساد في البر و البحر

بما كسبت أيدي الناس !

– صدق الله العظيم قولت إيه ؟!

– قولتها وهاقولها تاني ! ..

سعل بشده و لمده طويلة فجاءت سالي ومعها حقيبة الملابس مهروله على يحيى الذي قال :

– الطلبه اللي بتشيلهم الماده يا دكتور .. يمكن يطلع منهم زويل جديد !
المعادلة ممكن يعملها شباب كتير على القهاوي و في بيوت اليأس مستنيين
فرصه .. مجرد فرصة ! .. لولا إنك حددت لي الكتب الصبح وسالي كانت واثقه
فيا عمري .. ما كنت ها أحل حاجه ولا أفهم ! .. إتبناهم يا دكتور و
إسمك إنت اللي هايتخلد في التاريخ ! .. و إسمهم و إسمي ! أنا ممكن أكون المعادلة
و أموت إنما هما ممكن يكونوا ألف معادلة و يحققوا معجزات .. بس إديهم الدافع إنت !

أخفض منصور يده ووضع الورقه في جيبه بعدما تأكد من النتيجة , إقترب من يحيى وودعه و إنصرف و شكره على كل شيء فعله و كل شيء لم يفعله , ساعدت سالي يحيى في تغيير ملابسه فكان هناك قميصان بنفس الحجم , إختلط الأمر على سالي فتركت الأبيض الساده و أحضرت الأبيض في أحمر "مشجر" الشابي !!

ضحكت حينما إرتداه يحيى و سخر هو من منظره حينما رآه في المرآة و قال :

– مراهقة متأخرة ! .. يبقى هاتجوز عليكي !

– جرب كده تعملها ! .. من ساعة ما شربت سيجارة و عيارك فلت !

– أنا شربت سيجارة ؟!

– إستعبط يا جدو إستعبط !

– والله بجد ؟!

ضحكت رغماً عنها لتجعله يبتسم , النسيان نعمه يكرهها عديمي الخبرة بمصائب الحياة و نوازلها , أحضرن له الممرضات كرسي متحرك فجلس و عدّل من ملابسة و برزت إبتسامته , جلس على الكرسي و بدى كأنه زعيم سياسي يمر في طرقات المستشفى ويحيى الجماهير !

كان مغاوري الشاب يجلس على نفس المقهى بالدقي , يشاهد أخبار يحيى في التلفاز و عرضت مشيرة حكيم أحدث صورة ليحيى بملابس شبابيه تم إلتقاطها وتسريبها بهاتف محمول من داخل المستشفى , صدق الوزير حين قال أنك لو أردت إختراق منزل فإختار أتفه من فيه ليساعدك !

فرت دمعه من عين مغاوري و لم يصدق جنون ما يحدث ! الطفل الصغير الذي غلبه في الدومينو منذ ساعات أصبح شيخ كبير قعيد على كرسي متحرك ! , أمسك ورقه و قلم و أخذ يكتب :

"إنسان

يا عم الخلق

يا ضعيف كما الورقه

في شبابك

تدوس عالخلق

و بكره تنول شفقه

يا جبان و أشجع مقاتل

حقاني و كمان أناني

أنا ليه أشتهي حاجه

رافضة تستناني ؟!

قلبك يساعي الكون

مالهوش سقف ولا حد

مش راضي تنسى إمبارح

و أملك رهينة الغد

إصحى قبل الأوان

قوم صلي و عيشها صح

ساعة القضى عاميه

لا بتقدم ولا تأخر !

هاتلاقي نفسك لوحدك

كما جئت مش أكتر "

دس مغاوري الورقه في جيبه وسكت قليلاً ثم صاح :

– السحلب يا مسعود و ماتنساش المكسرات

■■■

جلست دلال شقيقة حسين في شرفة منزلها بمفردها فجاء زوجها مرتديا بيجامته وهو يقول :

– إيه يا ماما إيه اللي مصحيكي لحد دلوقت ؟!

– مش جايلي نوم بس

– كنتي روحتي و اللي يحصل يحصل !

نظرت له بعتاب ساخر وقالت :

– عشان يقولوا دلال حسدت الواد !

– هاتحسدي إبن أخوكي ؟!

– قول لهم هما الكلام ده ! .. أنا راضيه إن ربنا ما رزقناش بطفل بس مين يصدق !

– طب معلش تعالى حاولي تنامي الجو فيه لسعة برد !

– عايز الحق ؟!

– إيه !

– أنا لو روحت كنت ها أحسد الواد نفسه !

– ...

– مين فينا جه الدنيا و هايعيش عمره كله بيعمل اللي نفسه فيه ؟!
لا ها يلحق يندم ولا يتعب ولا يحلم ويفشل ولا يخسر حبيب !

– و تعيشي يوم واحد بس ؟! .. وتسيبيني لوحدي يا قمر إنتي ؟!

– يوم يوم المهم نعيشه على قد ما نقدر !

■■■

كانت سالي تقود يحيى الجالس على كرسية المتحرك و يلوّح بيده ساخراً للمرضات و العاملين و الحاضرين توقفت سالي فجأة أمام وجه سيده تعرفها جيداً ! تعرفها و تعرف الكدمات و السجات التي في وجهها !

كانت تقف السيدة التي إرتطمت سيارتها بسيارة حسين حينما كان يحيى يقودها و نزل و تعارك معها مُكبراً و صائحاً و ترك في جسدها أثر لن ينساه الدهر !

كان وجهها مُلون و تضع شاش على رأسها و لاصقه طبيه أسفل خدها الأيمن , نظر لها يحيى و لم يتذكرها فإقتربت منه وقالت :

– إزيك يا رامبو !

– مين دي ؟! إنتي مين ؟! سلامتك !

– الله يسلمك ! مالك كده مخستع ؟!

– مين دي يا سالي ؟!

فردت سالي بصوت منخفض :

– دي بتاعة الكاراتيه اللي ضربتها الصبح !

فصاحت السيدة مُهلله ورافعه ذراعيها ويدها لأعلى :

– شوفت ربنا يا مفتري ؟! قاعد قدامي لا حول ولا قوة !

– تعالى قربي .. مش قادر أعلي صوتي !

– يمهل و لا يهمل .. أدينا قربنا !

– أنا ضربتك جامد الصبح ؟!

– إنت إتعميت كمان ؟!

– والله يا ..

– هبه

– والله يا هبه لو رجع بيا الزمن .. هاضربك تاني .. يلا بينا يا سالي !

ضحكت سالي بحياء و أكملوا طريقهم إلى غرفة سُعاد بينما تابعت السيدة يحيى بنصف عين و قالت في نفسها :

– إيده تقيله بس إيد ربنا أتقل يستاهل !

دخل يحيى غرفة سعاد , قفزت من نومتها و حاولت القيام ولكنها تعرف النتيجة , بكى يحيى كالطفل الصغير و جرى بعجلات كرسية بيده ليقترب منها , حملت سالي قدمه هي وحسين و مرزوق و فاطمة فرقد يحيى بجوار أمه التي إحتضنته و أخذت تقبل رأسه و شعره الشائب , تشتم منه رائحة ذكيه فلذة كبدها , أخذت تحركه بيدها و تهزه من كتفه مثل الأطفال فيضحك وهو يتألم بينما هي تبكي وتقول بصوت متقطع :

– حج حجيجه حج الله .. والكعبه و رسول الله .. نفسي أزورك يا نبي .. يالي بلادك بعيدة !

ثم غطت في بكاء شديد فواستها ثريا و قالت ليحيى :

– تشرب حاجه يا حبيبي ؟! حاسس بإيه ؟!

– فنجان قهوة !

كانت سالي تقف وحالتها يرثى لها , جسدها في المكان و روحها تريد الهروب من هذا العذاب , تنظر إلى ثيابها التي تبدلت بفعل هذا المخلوق في يوم واحد ! لو كانت هي أرض فبسبب يحيى تبدلت الأرض غير الأرض ! إننا نحب من يغيرنا للأفضل دون أن نشعر ! دون أن نُهان أو نُمتهن ! دون أن نعاني مرارة التغيير الإضطراري !

لم تتمالك نفسها فخرجت قبل أن تبكي ووقفت أمام باب الغرفة محاولة التماسك , فقال يحيى بيأس ساخر :

– مسكت الفلوس , و العلم ! روحي لمست السما و إتغرست في دناوة الأرض !
لعبت وكسبت و عيني ما نامتش غير دقيقة ! , وخايف أروحله لوحدي !

– أكيد بيحبك يا حبيبي

قالتها فاطمة و أكملت :

– إنت مالحقتش تزعله ! ربنا إبتلاك و المُبتلى محبوب !

– نفسي أشوفه و خايف من غضبه !

كانت يده مقبوضه فبسطها في إستسلام و أسند ظهره بجوار أمه وهو يتنفس بصعوبة و ينظر للسماء التي تبدو من النافذة , تقل مطالبنا تدريجياً كلما مر بنا العمر حتى تتوحد في طلب وحيد أخير ! المغفرة !

شهق فجأة و مد يده إلى عنقه و شعر أن الدماء تغلي نافوخه , برزت عروق وجهه الذي إحمر فهرولت فاطمة عليه بينما هرول حسين للخارج مستدعياً الأطباء

– مالك يا يحيى ؟! في إيه ؟!

قالتها فاطمة بينما ضغطت ثريا على يده و قامت بتديلك صدره وتمزيق قميصه الأبيض والأحمر الشبابي , كان يتنفس بالكاد و يسعل بينما كانت سعاد عاجزة عن الكلام تنظر ليحيى برعب و تضع يدها على فمها وتقول :

– لأ .. لأ والنبي يا يحيى !

كان حسين يجري في الطرقة كالمجنون هو وسالي , حتى عادوا بصحبة د.فريد الذي طلب جهاز تنفس صناعي بسرعه , وضعوا يحيى على الجهاز فإرتاح و بدأ يتنفس و يهدىء , إطمأنت أمه و أخذت تمسح على شعره الطويل الأبيض , بينما جلس حسين عند قدمه و أخذ يبكي في صمت , أما ثريا لم تحتمل فحملت مصحفاً و خرجت إلى الطرقه بجوار سالي التي تقول :

– مش قادره أشوفه كده .. الله يلعن أبو الموت !!

– بس يا حبيبتي .. إحنا مؤمنين إهدي بقى !

كان يصدر يحيى صوتاً ينم عن عدم راحة , أزيز كأنه يتألم فقال حسين :

– عايز حاجة ؟! شاور لي طيب ؟!

دخلت سالي بعدما مسحت دموعها فهدأ تماماً و إبتسم , فنظرت لها سُعاد و أمسكت يد سالي البارده فقبضت كل منهما على كف الأخرى المرتعشه !

■■■

أمام المستشفى كانت تقف مشيرة حكيم في بث حصري لقناة PU من وسط الواقفين من المدنيين و الإعلاميين و الكاميرات , تمسك بالميكرفون وتقول وهي ترتدي ثوب أبيض :

– الحقيقة أنا غيرت رأيّ ! أنا قررت إننا نودع يحيى بالأبيض !

حدثت جلبه فبعدت خطوات و أكملت :

– إنسان نقي قلبه أبيض .. المفروض نفرح له و ندعي ربنا إنه يثبتهو يجمعنا بيه في الجنة !

ضغطت على سماعة أذنها لتسمع الكونترول فصاحت مندهشة :

– ومعانا دلوقت حد من قرايب يحيى ..

كان يحيى يتنفس من جهاز التنفس الصناعي و يتذوق طعم الأكسجين الذي كان مجاني و لا يزال للأصحاء , تابع بعينه التي ضعفت كثيراً شاشة التلفاز فرأى مشيرة و هي تقف في بث مباشر و تقول لسيدة غريبة تقف بجوارها وترتدي ثياب أنيقه :

– مدام سهير خالة يحيى !

نظرت ثريا للتفاز بإحتقار و أغلقت مصحفها , عادت ثريا للغرفة رغماً عنها و فكرت في الخروج ثانية بعد رؤية سهير , بينما قالت سهير في التلفاز بعيون دامعه حمراء :

– شكراً يا أستاذه مشيرة , والله بنحب حضرتك ونتفرج على كل حلقة ..

إحنا عيلته حزننا ما يتوصفش ! طفل بريء زي آآ ..

– يحيى

– زي يحيى يادوب ما يكملش يوم و تتدهور حالته كده !

مكنتش مصدقه حالته لحد ما شوفت لقاء حضرتك معاه !

– شوفتي يحيى يا مدام سهير ؟!

– الحقيقة لأ .. أنا جايه مخصوص من سفر ..

قال حسين وهو يقبض على حديد السرير الأمامي :

– سفر يا بنت الكدابة ؟!! لامؤاخذه يا سُعاد

– دي واطيه براحتك يا أبو يحيى

ضحك يحيى , و أكملوا بث اللقاء حتى غادرت سهير و بعد دقائق طرقت الباب ففتحت سالي و نظرت ليحيى ليأذن لخالته بالدخول فرفع يده و سبابته وحركها معبراً عن رفضة رؤيتها فقالت لها سالي :

– معلش أصل يحيى تعبان !

فردت سهير :

– مانا عارفه وبعدين إنتي مين إنتي إوعي من وشي !

أزاحت سالي بعنف و دخلت فقامت فاطمة بإمساك سهير و أخرجتها عنوه , بالكاد لمحت سهير وجه يحيى و جسده فهالها المنظر ثم إستسلمت لرغبة فاطمة التي من الواضح أنها رغبة جماعية !

الأسوأ من الغياب هو التجاهل أما التأخر بدون سبب فهي جريمة لا تمحوها الأيام و السنين !

ربطت سُعاد على قلبها و لم تنطق أو تدافع عن شقيقتها , فالألم جعلها أكثر صلابة رغماً عنها !

■■■

My sweet Lord

Oh My Lord

My Lord

I really wanna see you

I really wanna be with you

I really wanna see you,

Lord

But it takes so long, my Lord

My sweet Lord

Oh my Lord

George Harrison

الساعة الأخيرة

7 ص

غادر وزير الصحة بموكبة المستشفى بعدما ودع يحيى وداعاً حاراً و ترك رقمه الخاص لحسين و شدد على أنه يريد أن يراه قريباً فشكره حسين , و حينما قابل الوزير د.فريد قال :

– اللي حصل حصل .. ركز في اللي جاي مش عايزين مشاكل تاني !

رأت سالي الرجل الخمسيني غريب الأطوار السكران فصاحت في إحدى الممرضات كان الرجل يقول :

– أم سمير .. عايز أم سمير

قالت سالي :

– مش قولت يطلع بره ؟!

– حاضر و الله يا دكتورة إحنا آسفين

أخذته الممرضة و ساعدها في عم عوض التمرجي , غسلوا وجه الرجل عنوة و أخرجوه خارج المستشفى فجلس يبكي و ملابسه القذره مُبلله ينادي على أم سمير و ينظر إلى الصباح الذي بزغ ولا يعرف في أي يوم هو ؟!!

■■■

زاد الألم على يحيى أكثر من أي وقت مضى , إنقبض قلب سُعاد فعلمت و أدركت و فضلت عدم البوح بأنها لحظات النهاية !

كان يحيى ينظر للأعلى و حركة عينه أصبحت بطيئة جداً , يرسلها نحو سالي تاره و تاره نحو أمه و أبيه

– أمي يا رب .. أمي

كان ينظر لأعلى ويقولها فتضمه سُعاد , تشعر بألم ناري يحرق أسفل بطنها من أثر العملية ولكنها تتناسى الألم الأصغر أمام الألم الأكبر !

طرقات على الباب قامت سالي بفتحه فوجدت زهرة الممرضة ووراءها وجه الجميع يعرفه ! و ما زالت أهدافه حيه في القلوب , صاحت سالي :

– كابتن غزال !

قفز حسين من مكانة و جرى على الباب و رحب أيما ترحيب باللاعب الكبير الذي أصبح بطيء الحركة إلى درجة تثير الشفقه ! الرجل الذي كان يسبق الريح بسرعته و لم يستطع أحد اللحاق به صار يسير مثل السلحفاه , يتكأ على عصاه الحديدية و يوزع الإبتسامات حتى وقف أمام يحيى الراقد على فراشه بجوار أمه التي على الرغم من خجلها لم تبال من شدة قلقها على إبنها , إبتسم يحيى و أشار بيده فقال حسين :

– كابتن غزال يا يحيى أحسن لاعب كورة في مصر !

– كان يا أستاذ .. آآ .. حسين !

قالها غزال وهو يحاول الجلوس بالقرب من قدم يحيى , وضع يده عليهما و قال بصوت خافت :

– يا خسارة !

– أهلا يا كابتن ! .. أنا حبيت الكورة

– وهي كانت هاتحبك يا يحيى والله !

– بس أنا كبرت و معنديش كرش !

قالها يحيى بصوت متقطع مداعباً كابتن غزال الذي إصطنع الضحك محاولاً تخفيف الأجواء وقال :

– لا الكرش ده من الأكل و الدوا مش الكورة !

... مش عايز حاجة يا يحيى ؟!

– شكراً يا كابتن

تفرّس غزال في وجه يحيى و قبل أن تدمع عيناه قال :

– أنا لو كان ليا أمنية واحده باقيه .. كنت عايز أدربك !

ثم نظر إلى جسده و سخر منه قائلاً :

– ما يغركش جسمي دلوقت أنا كنت رهوان !

ضحكت سعاد بفتور فأكمل غزال :

– اللعيب اللي كان بيشيب كل المدافعين قدامه بقى يدخل الحمام بمعجزة !

حتى في إيطاليا ما شوفتش لعيب زيك !

– صحيح رجعت ليه يا كابتن من هناك ؟!

قالها حسين متسائلاً فنظر غزال ليحيى و ربت على قدمه وهو يقول :

– أنا عشت سنه بالعمر كله !

– سمعت إن إيطاليا حلوه !

قالها يحيى مبتسما فوكزته سالي و قال غزال :

– فردوس ربنا على الأرض ! .. أغنيلك بالإيطالي ؟!

قاطعت سالي الحوار وقالت بعناد طفولي :

– إنت بتبالغ في حب إيطاليا أوي يا كابتن ! مع إن مصر بلدك مذكوره في القرآن يعني !

نظر لها غزال بشماته وقال :

– طب ما أهل إيطاليا مذكورين كمان في القرآن !

إنزعج حسين و تسمّر مكانه بينما قالت سالي بصوت حاد حاسم :

– مفيش تهريج في الدين يا كابتن ده مش هزار !

إعتدل الكابتن في جلسته و نظر لها و قال بجدية :

– هزار إيه يا بنتي ! ده في سورة بإسمهم كمان !

– كمان ؟! إستغفر الله العظيم !

– مش في سورة إسمها "الروم" يا دكتورة ؟!

سكتت سالي فضحك يحيى رغم ألمه و نظر لها ثم نظر إلى غزال الذي كرر عرضه :

– أغنيلك بالإيطالي ؟!

أومأ يحيى برأسه بسعادة طفولية فإنطلق غزال بصوت مبحوح مستعيداً بذاكرته صوت ليزا :

Che confusion

"يا لها من فوضى"

Sara perche ti amo

"ربما لأنني أحبك"

شعر بتأثر و أكمل بحماس مستعيداً باقي الكلمات :

E un'emozione

"إنه شعور"

Che cresce piano piano

"ينمو شيئاً فشيئاً"

و يشير بيده بسعاده فتبتسم سالي و تصل العدوى ليحيى و يكمل غزال وهو يحتضن الهواء :

Stringimi forte

"إحضني بشده"

e stammi piu vicino

"و إقترب مني أكثر"

Se ci sto bene

"إذا أحببت ذلك"

Sara perche ti amo

"ربما لأنني أحبك"

Io canto al ritmo

"أنا أغني على إيقاع"

del dolce tuo respire

"نَفسك اللطيف"

E primavera

"إنه الربيع"

يرفع غزال كفه الأيمن فتنتبه سالي على الرغم من أنها لا تفهم أي كلمة ! ولكن جدية غزال و حنينه الذي يزيد مع كل كلمة يشعرها بأن الكلمات رومانسية حالمه فيكمل غزال :

Sara perche ti amo

"ربما لأنني أحبك"

Cade una stella

"نجمة تسقط"

Ma dimmi dove siamo

"و لكن قل لي أين نحن ؟ "

Che te ne frega

"لماذا قد يهمك ذلك ؟! "

Sara perche ti amo

"ربما لأنني أحبك"

يضع غزال يده على قلبه و هنا تفهم سالي أن المقطع يحتوى على كلمة "أحبك" فتضحك حتى يرفع غزال كفيه و يديه و يجعلهما كأنهما طائران يطيران في الهواء و يقول و يشير على سالي و يحيى :

E vola vola si sa

" و طير ثم طير , نحن نعلم "

Sempre piu in alto si va

"دائماً للأعلى سنذهب"

E vola vola con me

" و طير , طير معي "

Il mondo e matto perche

" العالم مجنون , لماذا ؟! "

E se l'amore non c'e

"وحتى إذا لم يكن هناك حب "

Basta una sola canzone

"أغنية واحدة تكفي"

Per far cunfusione

"لكي تتسبب في إرتباك"

Fuori e dentro di te

"خارج و داخل نفسك"

E vola vola si va

"و بالطيران و الطيران سنذهب "

Sempre piu in alto si va

"دائماً لأعلى سنذهب "

إبتسم يحيى مع نهاية الأغنية و أوجز غزال للجميع معناها فدمعت عين سالي و كأنها لم تكن في حاجة لمزيد من الألم , إرتعشت يدها وهي تمسح دمعتها خوفاً من أن يراها يحيى في حالته هذه , حتى قال غزال :

– كل أملي في الحياة إني أسيب لعيب زيك !

– أنا ؟! .. في الشارع في لعيبة كتير !

– زيك ؟! مستحيل !

سعل يحيى بشده فإنخلع قلب حسين و قام غزال بصعوبة شاعراً بالأسف لأنه أجهد يحيى بالكلام فقال يحيى كلماته القليلة وهو يتنفس بصعوبة :

– لعيبة زيك إنت يا كابتن !

هز غزال رأسه و إتكأ على عصاه و ودع حسين و سعاد و الحاضرين بالغرفة ثم رحل بخطوات بطيئة إعتاد عليها , كان يريد الخروج بأقصى سرعه ممكنه و لكن ليت المطالب بالتمنى !

كان غزال يضرب بعصاه في الأرض بعصبية و لا يحاول إقناع نفسه بأن كل هذا مجرد كابوس من الكوابيس التي تأتيه بعد العمليات الصعبة التي يجريها ! , يتعجب من هذا الكائن الذي لو إجتمع عظماء عصر النهضة لوجدوا فيه ما يأخذ بتلابيب عقلهم ! فيرسمه دافنشي العبقري ربما يكون يحيى نسخة جديدة من الرجل الفيتروفي الشهير , و يدرس جاليلليو حالته الجسدية بدقه و يصنع له رفائيل تمثالاً خالداً ! لماذا يفكر غزال دائماً كأنه إيطالي ؟! هل هو غرور ؟! أم وجد نفسه هناك و وجد لحياته معنى ؟! فهو مؤمن أن للروح وطن غير الوطن ! أينما نجد لحياتنا معنى فهذا هو وطن الروح .

أشار يحيى لحسين و سالي ليقتربا و هو يبتسم كأنه شامتاً فيهما وقال بصوت أنهكته الشيخوخة , أزاح جهاز التنفس مؤقتاً وقال بصوت متقطع :

– حجرة السجلات السرية

لمعت عين والده فقال بتردد :

– مالها !

– هي إيه دي ؟!

سألت سُعاد و نظرت سالي بعدم فهم فقال حسين :

– دي مكان أسطوري بيرويه العلماء .. بيقولوا إنه الفراعنة و الكهنه عاينين فيه معارفهم و أسرارهم خاصة أسرار السحر الخطيرة و إكتشافاتهم و سجلوها على ورق بردي و سجلات دهبية ! .. مالها يا يحيى ؟!

سعل يحيى فوضع الجهاز ليتنفس ثم هم بالكلام فقالت سالي :

– بلاش تجهد نفسك !

– مفيش وقت .. الحجرة موجوده وعرفنا مكانها !

– نعم ؟!!!

قالها حسين مذهولاً فإبتسم يحيى و أخذ ينقر بإصبعه على حرف السرير بنفس اللحن الذي كان يعزف به على الطبله وهو يروض الثعبان , بعد ثواني إستوعبت سالي و كذلك حسين فشهقت و شعرت أنها تريد المزيد من الأكسجين من شدة المفاجآة !

– إوعوا السر ده يقع في إيد حد ! .. يمكن يطلع صح !

هز حسين رأسه و مسح على صدر يحيى و قام حسين ليقلب قنوات التلفاز فلمح يحيى صورة دراكولا وسط القنوات فضحك وتذكر الكارثة التي حدثت في الملاهي و منظر دراكولا وهو يصرخ كالنساء !

بعد دقائق من الصمت بدأ يحيى يرى طيف قوي من الضوء يحوم في الغرفة , يتابعه بعينه و يتذكر شريط اليوم من بدايته فمر على كل لقطة و لحظة و كأنه يجلس أمام ماكينة مونتاج عملاقة , ولكن هنا ليس بإمكانك حذف أي لقطة أو إخفاءها أو تعديلها ووضع بعض الرتوش التجميلية ! فقط تكتفي بدور المشاهد و تحصد ما زرعت يداك و رسمت !

فيرى الصبى الذي كان يلعب معه الكره في ظهر الأمس و هو يكاد يبكي من الغيظ حينما قام يحيى بإهانته أمام رفقائة وهم يلعبون الكره !
ثم رأى مغاوري الذي هزمه هو الآخر , في لحظات مثل هذه نرى ما لم نلحظه في وقتها ! نرى الحقد و الحزن و الخداع و المكر و الضعف و الشفقه في عيون غيرنا و كيف كانوا يحاولون إخفاء مشاعرهم عنا و إنفضح الآن كل شيء ليزيد ندمنا على ما فرطنا و يزيد فرحنا بما قررنا !

إبتسم يحيى وهو ينظر لسالي أمسكت يده بيد مرتعشه فأشار لها بعينه ففهمت أنه يريدها أن تأخذ ساعتها من يده قبل أن تضيع , مرت لحظات ثم سكت و غط في سبات عميق , عينه مفتوحه على إتساعها , ولكنها جامده تم إنتزاع الحياة منها !

برقت عين سالي و أخذت تهز يحيى بقوة و تبكي , أغمض حسين عين ولده و حاول إبعاد سالي عنه و طلب الأطباء لإبعاد الجثمان عن سُعاد , قبّل حسين يد يحيى و كذلك سعاد نامت على صدره و رفضت إعطاءها أي مخدر للألم وقالت :

– أنا كويسه محدش يقرب لي !

و لم تكذب فهي بالفعل لم تعد تشعر بالألم قط ! كأنها كانت الدعوة التي إختارها يحيى ! ظلت سعاد متمسكه بذراع يحيى وهم ينتزعوه منها , من أين جاءت بتلك القوة ؟!

أمسك حسين زوجته و حملوا يحيى و غادروا به خارج الغرفة , كانت نرجس تبكي و تنظر إلى غرفة الأم التي تُقابل حضانة الأطفال التي كان فيها يحيى طفلاً يحبو منذ ساعات !!

أما سالي فهربت من المستشفى و من المنطقة كلها و هي تسير في الشوارع غير مكترثه بأي شيء , تبكي مثل الأطفال و تعتصر عينيها بالدموع !

كانت سالي تشق الحشد الواقف بالكاميرات أمام المستشفى بلا مبالاة و ربما إحتقار , هنيئاً لكم بالسبق الصحفى و المجد المزيف , إدخلوا و صوروا الجثه و إجنوا الأموال و إتركوا لنا آدميتنا ولو يوم واحد في عمرنا !

■■■

تريفاموجا - محمد شويطر

بعد ما ادى وبعد ما خد

بعد هد وبنى واحتد

شد لحاف الشتا من البرد

بعد ما لف وبعد ما دار

بعد ما هدى وبعد ما ثار

بعد ما داب واشتاق واحتار

حط الدبلة وحط الساعة

حط سجايره والولاعة

علق حلمه على الشماعة

شد لحاف الشتا على جسمه

دحرج حلمه و همه واسمه

دارى عيون عايزين يبتسموا

اللى قضى العمر هزار

واللى قضى العمر بجد

شد لحاف الشتا من البرد

محمد منير

ما بعد اليوم الواحد بعام

– على مهلك يا حسين الرادار !

قالتها سعاد لحسين الذي يضحك ويقول :

– معايا رقم الوزير لسه !

وبعدين مدام يحيى مبسوط خلاص !

و مد يده مداعباً طفل صغير عمره أسابيع قليلة تحمله سُعاد , طفل كالقمر أحمر البشرة مائل للبياض , شعره ناعم و شديد السواد , لديه أذنان طويلتان !

– بس البت سالي دي أصيله !

– اه والله يا سوسو .. حركة إنها تكتب لنا نص الجاليري دي فاجئتني !

– على أساس إنك قبلت ؟!

– تفتكري يحيى الله يرحمه كان هايوافق ؟!

أمسك بكوب القهوة البلاستيكي ليرتشف منه فصاحت سعاد :

– حاسب ونبي بلاش جنان !

– تحبي تسمعي إيه ؟!

– ثومه طبعاً !

– يادوب على ما الموسيقى تخلص نكون وصلنا مارينا !

ضحكت سعاد فقام حسين بالضغط على زر التشغيل لتدور أغنية "أيوا أيوا لدارين" !! فتعالت ضحكات سُعاد وحسين يرقص و يغني على طريقة يحيى :

– غنوا معايا أيوا أيوا

– إنت إتجننت يا راجل إنت ؟!

نظر لها بجدية و بعد صمت قليل قال وكأنه يعتذر :

– بحبك !

– كده إتجننت صح ! .. بس خليك كده أرجوك !

وصلا بعد رحله ليست بالقصيرة ولكنها مرت بسرعة و لم يشعرا بالوقت ! وصلا إلى مقر الجاليري الخاص بسالي الذي إشتراه لها يحيى قبل وفاته , كان المكان ساحر بحق و راقي بحق , إضاءته هادئة و موزعه بشكل إحترافي , كانت هناك لوحات عديدة قديمة وحديثة قامت سالي برسمها و أخرى ساعدها فيها رسّام مصري يكبرها بأعوام كثيرة قرر معاونتها , حاول هذا الرسّام التقرب من سالي أكثر فوجد بينه وبينها حاجز معنوي ضخم يُدعى "يحيى" فقرر الإكتفاء بمساعدتها في أمور المعرض فقط , كان هناك سبع لوحات كامله قامت فيها سالي برسم يحيى !

" واحدة له وهو طفل في السابعة ويلعب الكره و يضحك ويقف كابتن غزال في شبابه يراقبه , و أخرى وهو طفل رضيع , و أخرى له وهو يرسمها ولكن كان حينها مراهق و ليس طفلاً كما حدث في الحقيقة , وواحده له وهو شاب ثلاثيني , و واحده له وهو ناضج خمسيني و واحده وهو يسبح في البحر , أما الأخيرة له و هو كهل شائب الشعر جميل الإبتسامة "

– ماما سعاااااد

قالتها سالي التي ترتدي فستاناً أزرق أنيق و في يدها الساعة التي أعطتها ليحيى ما زالت تحتفظ بها , بدت سالي في أجمل صورة و أحسن حال و تعلو ملامحها الحيوية و السعادة , إحتضنت سعاد وحملت يحيى الصغير برهبه و شوق كبيرين :

– بسم الله ما شاء الله .. إيه يا سُكر !

قبلته و أخذت تداعبه و ضمته بشده للحظات ثم تذكرت حسين فسلمت عليه بخجل وهي تحمل يحيى وقالت :

– معلش يا بابا أنا بعض قدام يحيى !

– براحتك يا دوكت... فنانة اليوم يومك !

تنفست الصعدات و بدى عليها الإرتياح وهي تشير للمكان الذي تكسوا الأشجار مدخله فتجعله مثل الجنة المطله على البحر , بدأت تدور أغنية إختارتها سالي تحديداً ليوم الإفتتاح الكبير هذا

La la la la la

life

la la la la la

Life is life

When we all give the power

We all give the best

Every minute of an hour

Don't think about a rest

When everypne gives everything

and every song every body sings

Then it's life

Life is life

When we all feel the power

Life is life

Come on stand up and dance

Life is life

When the feeling of the people

Is the feeling of the band

Life is life

Life is life

Life

Life is life

Life is life

And you call when it's over

You call it should last

Every minute of the future

Is a memory of the past

'Cause we all gave the power

We all gave the best

When everyone gave everything

And every song everybody sings

" Life is life

حضرت الإعلامية مشيرة حكيم بدعوة من سالي فجاءت ومعها طاقم التصوير لتسجل فقرة كاملة عن المعرض و الحدث , أشادت مشيرة بأناقة سالي و إنبهرت بالمعرض

– بعشق الديكور الإيطالي !! فانتستيك يا سالي ! مبروك !

– الله يبارك فيكي يا أستاذة

إلتف المدعووين حول سالي في منتصف المعرض ووسط اللوحات مع نسائم الهواء المنعش القادم من البحر و رائحة اليود يتنتشر في المكان فتجعله ساحر للأعصاب و الروح و تشعر انك ستطير من النشوة .

قالت سالي وهي تنظر لإحدى اللوحات :

– يحيى .. حبيبي .. و مُلهمي ! .. لولا كان زماني لسه مدفونه في مستشفى نسيت إسمها !

ضحك الحضور وعلى رأسهم سُعاد التي نظرت لحسين الذي يحمل يحيى الصغير , حضر حاتم إبن شقيق سُعاد متأخراً كعادته في كل مواعيده , فرحت عمته بشده و عانقه حسين , كان حاتم ينظر لوجه منسي في اللوحات و يشعر انه من لحم ودم وليس مجرد ورق و ألوان ! فرت دمعه من عينه ولكنها دموع الرضاء , مدت سالي ذراعيها ففهم حسين و تقدم نحوها و أعطاها يحيى , حملته بحنان و سعادة شديدة و قالت :

– يحيى الصغير .. الهدية اللي ربنا بعتها بسرعه عشان تعوضنا عن حاجة لا يمكن تتعوض !
يحيى الله يرحمه مش بس حبيبي و مُلهمي .. ده علمني من وهو طفل يعني إيه أعيش !
يعني إيه ألحق حياتي قبل ما تضيع ! يعني إيه أنتهز أي فرصة و أعمل اللي أنا عايزاه !

أجرت معها مشيرة حوار مُسجل طويل تم بثه بعد يوم تقريباً , ستمر الأيام و ينسى الكثيرين يحيى حالة التريفاموجا .. أما من يعرفه بأنه يحيى الحبيب أو الإبن أو الصديق فلن ينساه قط !

حاولت مشيرة شراء إحدى اللوحات التي بها يحيى فرفضت سالي و قالت بأن جميع هذه اللوحات للعرض فقط أما باقي اللوحات فهي للبيع فإشترت مشيرة لوحتان واحده لمنزلها وواحده لديكور البرنامج مؤقتاً حتى ينسى الناس صاحب اللوحة !

أفضل أثر يمكن أن تتركه في الحياة لن يكون حجاره أو مباني عملاقه أو ماركه يتوارثها أحفادك وربما يضيعوا سُمعتك !
أفضل أثر تتركه في قلوب الناس الذين أحببتهم و أحبوك من دون مصالح أو أغراض فقط لأن حياتهم كانت أفضل معك ... حينها سيكون إسمك خالداً !!

\hamada.chwitar

chwitarofficial@gmail.com

/Hamadachwitar1

- محمد شويطر